ISSN: 2348-2613
No. 10-2023

دراسات عربية

[مجلة سنوية محكمة]

تصدر عن مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية اللغة
والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

العدد العا لا 1444 هـ الاوافق 2023 م

داخ ل العدد:

الدراسات الاسلامية
الدراسات اللغوية والنقدية
الدراسات الادبية والفكرية والثقافية

ISSN: 2348-2613
No. 10-2023

دراسات عربية

(مجلة سنوية محكمة)

تصدر عن مركز الدراسات العربية والإفريقية
كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيودلهي، الهند

العدد العاشر 1444 هـ الموافق 2023م

داخل العدد:

الدراسات الإسلامية
الدراسات اللغوية والنقدية
الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية

شروط النشر في المجلة

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعني المجلة بنشرها.
- أن يتحرى الباحث في عمله الجدة والعمق والقصد، والالتزام بالشروط العلمية والمنهجية المتبعة أكاديميا.
- أن لا يكون البحث قد نُشر أو قُدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر وندوة.
- أن يُرفق مع البحث ملخص لا يزيد على 160 كلمة، وبحجم خط 14.
- أن يُرفق الملخص بكلمات مفتاحية لا تزيد على 6 كلمات ترتب هجائياً.
- أن يكون البحث خاليا من الأخطاء اللغوية والنحوية والصرفية والإملائية.
- أن يكون المقال مطبوعا ببرنامج (Word)، ونوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط 18 في كتابة المتن، بمسافة 1.15 بين سطور المتن، وحجم 20 في العناوين الرئيسية والفرعية للمتن، و14 للحواشي. وفي اللغة الأجنبية، نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط 16 في المتن، وفي الهوامش نفس الخط مع حجم 12.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على 15 صفحة، بما فيها المصادر والمراجع والجداول والرسوم وكافة الملحقات.
- أن تُوضع لكل صفحة أرقام هوامشها الخاصة بها في الأسفل.
- ستخضع جميع البحوث للجنة علمية متخصصة للتحكيم وفق المعايير المعتبرة.
- للجنة العلمية الحق في الاعتذار عن قبول أي بحث ونشره دون إبداء أسباب، ودون الالتزام بإعادة البحث.
- تحتفظ المجلة بحقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تتناسب مع أسلوبها في النشر.
- تعبّر الآراء العلمية المنشورة في البحوث عن آراء كاتبيها، واجتهاداتهم الشخصية، ولاتمثل بالضرورة وجهات نظر هيئة التحرير أو المجلة.
- يُرجى في تدوين الهوامش في البحث مراعاة الخطوات التالية:
- عند ذكر المرجع للمرة الأولى:
- الكتب: لقب المؤلف، اسم المؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ (مكان النشر: الناشر، عدد الطبعة إن وجد، تاريخ النشر)، ج، ص. مثلا: الندوي، أشفاق أحمد، تطور الآداب العربية ومراكزها في الهند (نيودلهي، دار عمر للطباعة والنشر، 2013) ص:25.
- المقالات: اسم المؤلف، عنوان المقال "بين فاصلتين مزدوجتين"، اسم المجلة بخط غليظ، السنة، العدد، الصفحة.
- عند تكرار المرجع في الهامش التالي مباشرة تتبع الطريقة الآتية: المرجع نفسه، ج، ص.
- عند تكرار المرجع في موضع آخر من البحث، اسم الشهرة للمؤلف، عنوان الكتاب بخط غليظ أو المقال، ج، ص.
- تُخرج الآيات في متن الحديث، وليس في الهوامش، ويكون التخريج كالآتي: (النساء: 1).
- أن تُرسل البحوث المطبوعة على عنوان المجلة: dirasatarabiajnu2014@gmail.com

دراسات عربية

(مجلة سنوية محكمة)

ISSN 2348-2613
No. 10-2023

رئيس التحرير
الأستاذ الدكتور رضوان الرحمن
رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية

هيئة التحرير

أ.د. مجيب الرحمن
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

أ.د. رضوان الرحمن
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

د. عبيد الرحمن طيب
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

د. محمد قطب الدين
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

د. خورشيد إمام
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

د. محمد أكرم نواز
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

د. محمد أجمل
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

د. أختر عالم
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

د. زر نغار
مركز الدراسات العربية والإفريقية، كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند

تصدر عن:
مركز الدراسات العربية والإفريقية
كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة
جامعة جواهر لال نهرو
نيودلهي، الهند-110067

دراسات عربية

(مجلة سنوية محكمة)

ISSN 2348-2613
No. 10-2023

الهيئة الاستشارية	
أ.د. خلدون سعيد صبح جامعة دمشق، سوريا	**أ.د. أحمد فرحات** مؤسسة الفكر العربي، بيروت، لبنان
أ.د. جلال سعيد الحفناوي جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية	**أ.د. أنيس الرحمن منظور الحق** جامعة المدينة العالمية، ماليزيا
أ.د. سناء الشعلان الجامعة الأدرنية، عمان	**أ.د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي** جامعة الفلوجة، العراق
د. وفاء عبد الرزاق شاعرة وروائية من لندن	**أ.د. طارق ثابت** جامعة باتنة، الجزائر
أ.د. عبد العزيز يوسف اللودي جامعة أوبسالا، السويد	**أ.د. أمين مصرني** جامعة تلمسان، الجزائر

تصدر عن:

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيودلهي، الهند-110067

المحتويات

رقم	البحث	الكاتب	صفحة
1	كلمة العدد	أ. د. رضوان الرحمن	7
	الدراسات الإسلامية		
2	الشيخ علاء الدين علي المهائمي وتفسيره تبصير الرحمن وتيسير المنان	د. محمد مهدي حسن	9
3	جهود الألمان في إثراء السيرة النبوية: آنا ماري شيمل أنموذجاً	محمد عبد الواحد	23
	الدراسات اللغوية والنقدية		
4	هل "السِّوَاكُ" لفظ مذكّر أم مؤنّث؟	د. أورنك زيب الأعظمي	38
5	البروفيسور غلام أحمد الحريري، وما له من خدمات في نقل الكتب العربية المهمة إلى اللغة الأردية	د. محمد قاسم العادل ود. محمد عبيد الله محي الدين	48
6	جمالية البناء الفني في كتابة الرواية عند واسيني الأعرج	د. مسعود عالم	65
7	مشكلات تعليم وتعلم اللغة العربية في الهند سبل تحديدها والتغلب عليها	د. عائشة شهناز فاطمة	83
8	الترجمة الآلية الإحصائية: تحديات وآفاق	د. كاشف جمال	95
9	موسيقية الإبداع النقدي في الكتاب "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية" دراسة تحليلية	نسرين مندول	121
	الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية		
10	أبو ليلى محمد بن ميران ودوره في تطور	د. م. بشير	131

	الشعر العربي في كيرالا		
11	البحث العلمي: مناهجه ومبادئه الأخلاقية- دراسة استعراضية	د. عبد القدوس	141
12	حديث عن حقيقة الحياة ومعنى الوجود الإنساني في ضوء التراث الشعري العربي	د. محمد سليم	159
13	العلامة فضل حق الخير آبادي شاعراً عربياً هندياً	د. محمد هاشم رضا	176
14	قضية الهوية والعمالة الوافدة كما تتجلى في رواية ساق البامبو	د. أنوار الحسن	186
15	المرأة والنضال الوطني الفلسطيني	د. مخلص الرحمن	196
16	تطور البيئة الأدبية في فلسطين خلال القرن العشرين	د. محمد سليم أختر	209
17	الدكتور رضاء الله المباركفوري في ضوء دراسته وتحقيقه "كتاب العظمة" لأبي الشيخ الأصفهاني	د. نسيم أحمد د. أختر عالم	219
18	آليات السرد الحديثة في الفضاء الرقمي: رواية فيسبوكية "على بعد مليمتر واحد فقط" أنموذجا	د. محمد فواز ك.	235
19	قضايا مسر حية الأطفال في الأردن في القرن الحادي والعشرين مسرحية "خضراء يا بلادي خضراء" نموذجا	محمد مظهر	246
20	أمل الرندي: وإسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية	قمر الإسلام	261

كلمة العدد

يتضمن العدد العاشر من مجلة "دراسات عربية" لعام 2023م مجموعة متميزة من البحوث الأكاديمية، موزعة على ثلاثة أقسام رئيسية: الدراسات الإسلامية، الدراسات اللغوية والنقدية، والدراسات الأدبية والفكرية والثقافية.

في القسم الأول، يحتوي العدد على بحثين هامين. يتناول البحث الأول، الذي قدمه محمد مهدي حسن، دراسة حول "الشيخ علاء الدين علي المهائمي وتفسيره تبصير الرحمن وتيسير المنان". أما البحث الثاني، الذي أعده محمد عبد الواحد، فهو دراسة شاملة بعنوان "جهود الألمان في إثراء السيرة النبوية: آنا ماري شيمل أنموذجًا".

أما في القسم الثاني، فيضم العدد ستة بحوث قيّمة. قدم د. أورنك زيب الأعظمي دراسة بعنوان "هل السواك لفظ مذكر أم مؤنث؟"، بينما تناول د. محمد قاسم العادل و د. محمد عبيد الله محي الدين موضوع "البروفيسور غلام أحمد الحريري وخدماته في نقل الكتب العربية المهمة إلى اللغة الأردية". كما ناقش د. مسعود عالم "جمالية البناء الفني في كتابة الرواية عند واسيني الأعرج"، وتناولت د. عائشة شهناز فاطمة "مشكلات تعليم وتعلم اللغة العربية في الهند: سبل تحديدها والتغلب عليها". ركز د. كاشف جمال على "الترجمة الآلية الإحصائية: تحديات وآفاق"، وألقت نسرين مندول الضوء على "موسيقية الإبداع النقدي في الكتاب: شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية".

ويتميز القسم الثالث، الخاص بالدراسات الأدبية والفكرية والثقافية، بتقديم 11 بحثًا مميزًا من قبل باحثين بارزين. أجاد د. م. بشير في تناول موضوع "أبو ليلى محمد بن ميران ودوره في تطور الشعر العربي في كيرالا". واختار د. عبد القدوس موضوع "البحث العلمي: مناهجه ومبادئه الأخلاقية"، بينما قدم د. محمد سليم بحثًا قيّمًا حول "حقيقة الحياة ومعنى الوجود الإنساني في ضوء التراث الشعري العربي". كما ناقش محمد هاشم رضا "العلامة فضل حق الخير آبادي كشاعر عربي هندي". وقدم د. أنوار الحسن بحثًا حول "قضية الهوية والعمالة الوافدة كما تتجلى في رواية ساق البامبو". وكتب د. مخلص الرحمن حول "المرأة والنضال الوطني الفلسطيني". كما

استعرض د. محمد سليم أختر "تطور البيئة الأدبية في فلسطين خلال القرن العشرين". أما د. نسيم أحمد ود. أختر عالم فقدما دراسة حول "الدكتور رضا الله المباركفوري في ضوء دراسته وتحقيقه 'كتاب العظمة' لأبي الشيخ الأصفهاني". كما تناول د. محمد فواز ك. "آليات السرد الحديثة في الفضاء الرقمي: رواية فيسبوكية 'على بعد مليمتر واحد فقط' أنموذجًا"، في دراسة قيّمة. وحلل محمد مظهر "قضايا مسرحية الأطفال في الأردن في القرن الحادي والعشرين: مسرحية 'خضراء يا بلادي خضراء' نموذجًا". وأتم قمر الإسلام العدد ببحث حول "أمل الرندي وإسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية".

البحوث العلمية القيّمة التي يتضمنها العدد العاشر من مجلة "دراسات عربية" تثري تراثنا العلمي بشكل كبير. تقدر هيئة التحرير، والهيئة الاستشارية، ولجنة التحكيم جهود الباحثين والباحثات في إعداد هذه البحوث العلمية، وتثمن مشاركتهم القيمة. مع هذه الانطباعات المتواضعة، نجدد دعوتنا للمشاركة في أعداد المجلة المقبلة.

أ.د. رضوان الرحمن
رئيس التحرير

الدراسات الإسلامية

الشيخ علاء الدين علي المهائمي وتفسيره تبصير الرحمن وتيسير المنان

د. محمد مهدي حسن

جهود الألمان في إثراء السيرة النبوية: آنا ماري شيمل أنموذجاً

محمد عبد الواحد

الشيخ علاء الدين علي المهائمي وتفسيره تبصير الرحمن وتيسير المنان

د. محمد مهدي حسن*
mehedi5@gmail.com

ملخص البحث: *يعدّ علم التفسير من أهم العلوم الدينية وأجلها، لكون موضوعه كتاب الله، ولهذا اهتم به الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من العلماء الربانيين غاية الاهتمام، ولم يستثنِ منهم علماء الهند وفضلائها في هذا المجال، وقد أنجبت أرض الهند كثيرا من المفسرين البارزين الذين لهم دور ملموس وإسهامات قيمة في علم التفسير باللغة العربية، حتى شهد لهم علماء العرب بالفضل والتقدير. واهتم العلماء الهنود بتفسير كتاب الله العزيز تدريسًا وتحقيقا وترتيبا وإقراء وتأليفاً، وبذلوا كل ما كانوا يملكونه من مواهب وكفاءات في تطوير علم التفسير.*

ومن بين هؤلاء العلماء الهنود الأفاضل كان الشيخ علاء الدين علي بن أحمد المهائمي، فقد لعب الشيخ دورا بارزا مهما في مجال التفسير وله إسهامات قيمة في هذا المجال.

وهذا البحث يسلط الضوء على حياة الشيخ المهائمي بالإيجاز ويبيّن دوره القيم في إثراء علم التفسير في أرض الهند كما يلقي الضوء على أهم خصائص تفسيره الشهير "تبصير الرحمن وتيسير المنان".

كلمات مفتاحية: *التفسير، علاء الدين المهائمي، تبصير الرحمن وتيسير المنان، الدراسات الإسلامية، القرآن.*

المقدمة: إن الهند كانت لها علاقات قوية وثيقة مع العالم العربي واللغة العربية منذ القدم، ولو ألقينا النظر إلى صفحات التاريخ لوجدنا أن الهند ما زالت ولا تزال تلعب دورا مهما في تنمية وتطوير اللغة العربية وآدابها، خاصة في مجال علم الحديث والتفسير. فقد أنجبت هذه الأرض الخصبة عددا كبيرا من العباقرة والعمالقة أمثال العلامة أبي الحسن الندوي، والشاه ولي الله الدهلوي، والنواب صديق حسن خان القنوجي، وعبد الحميد الفراهي، وغلام علي آزاد البلغرامي وغيرهم. ومن هؤلاء الأعلام كان الشيخ علاء الدين المهائمي، وقد ألف الشيخ كتبا كثيرة ممتعة في

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، جامعة غور بنغا، مالده، بنغال الغربية، الهند

مختلف الموضوعات لا سيما التفسير، وقد قضى حظا وافرا من حياته في التصنيف والتأليف. وقد نالت كتبه صيتا وافرا بين الأوساط العلمية والدينية في ذلك العصر. ومن أهم مؤلفاته تفسيره الشهير تبصير الرحمن وتيسير المنان، وقبل أن أدخل في صلب الموضوع أرى من المناسب أن أسلط الضوء على حياته بشكل موجز.

المؤلف في سطور[1]: هو العلامة الشيخ علي بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن إسماعيل الشافعي[2] المهائمي. كنيته أبو الحسن، ولقبه زين الدين، واشتهر بـ "المخدوم" لغزارة علمه بالفقه والشريعة.

ولد هذه الشخصية المتميزة في 10 من شهر المحرم 776هـ الموافق 1372م في "مَهَائم" في أسرة معروفة بالحسب والشرف والعلم؛ و"مهائم" (كعظائم)- بندر من بنادر كوكن وهي ناحية من الدكن مجاورة للبحر المحيط[3] وهي الآن تعرف بـ "ماهم" وهي قرية قريبة من مومباي، عاصمة ولاية ماهاراشترا (Maharashtra) على مسافة ثلاثة أميال منها[4].

أسرته ونسبه: كان والده الشريف الشيخ أحمد من العلماء البارزين والأولياء الربانيين ويُعد من التجَّار الأغنياء. فترعرع الشيخ المهائمي في ظل رخاء ورغد. وكانت أمه فاطمة امراة صالحة زاهدة. وتنتمي أسرته إلى أسرة "نوائت" أو "النوائط" في قبيلة مرو، وهم قوم في بلاد الدكن وغُجرات.[5] وقال الطبري: طائفة من قريش خرجوا من المدينة خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي، فبلغوا ساحل بحر الهند وسكنوا به.[6] وفي نسب الشيخ قولان: الأول: مخدوم علي بن أحمد بن علي بن أحمد المشهور بـ "بنت حسين ناخدا". والثاني: علي بن حسن بن إبراهيم بن إسماعيل مصنف "إلهام الرحمان ومتمم تبصير الرحمان بن محمد بن أحمد المقلب بـ كودر.[7] وقد رجّح المولوي محمد يوسف الكهتكهتي القولَ الأول في كتابه "كشف المكتوم من حالات الفقيه المخدوم"، ولكن معظم المحققين رجحوا القول الثاني[8].

تعليمه: كان والد الشيخ أحمد من العلماء المشهورين والفضلاء البارزين، فاهتمّ بتربية ولده النبيل منذ صغره اهتماما بالغا. وذكر صاحب "تاريخ النوائط" بأن "والد الشيخ

المهائمي مولانا شاه أحمد اهتم بالتعليم العالي لولده الذكي نظراً إلى ذكائه وفطانته ورغبته في كسب العلم والحصول عليه، فأتقن الفقه والمنطق والفلسفة والحديث في وقت مبكر"[9] ويقال إنه تلمذ على حضرة خضر عليه السلام معلم نبيّنا موسى كليم الله عليه السلام[10].

حياته العملية: قضى الشيخ المهائمي سنوات في المطالعة والسفر في أيام شبابه، ثم تولى على منصب القضاء للمسلمين في ماهم (مهائم).[11] وكان في أنحاء غجرات مدارس كثيرة يدرّس فيها الأساتذةُ لوجه الله تعالى، وكان الشيخ المهائمي ليس مستثنيا منهم، فكان مدرساً في إحدى مدارس مهائم، وكان يدرس الطلاب العلوم الظاهرية والباطنية ويقضي جلّ أوقاته في التصنيف والتأليف. يُوجد اسم أحد تلامذته محمد سعيد الرتناغيري في كتب التراجم[12].

المهائمي الصوفي: كان الشيخ المهائمي من أشهر الصوفيين الهنود وأشدهم تأثيرا لابن العربي. وكان يقول بوحدة الوجود.[13] يقول الشيخ محمد حسن الغوثي المندوي في كتابه "غلزار أبرار": "كان الشيخ المهائمي عارفاً بحقائق العالمين وأسرارهما، وكان من متّبعي الشيخ محي الدين ابن العربي والشيخ صدر الدين القونوي، وقد شرح كتبهما أحسن الشرح وعلّق عليها تعليقا قيما مفيدا"[14].

ويقول الشيخ غلام علي آزاد البلغرامي: كان الشيخ مثبتا للتوحيد الوجودي مقتفيا بالشيخ محي الدين بن العربي قدس سره"[15].

ثناء العلماء على الشيخ المهائمي: قال الشيخ عبد الحي الحسيني: "لا يوجد نظير للشيخ المهائمي عندي في الحقائق إلا الشاه ولي الله في تاريخ الهند في ألف سنة"[16]، وأطلق عليه لقب "ابن العربي الثاني"، ويستمر قائلا: لو وُلد في بلد آخر لكانت كُتبت ترجمتُه في كتب وعنى به المؤرخون مفتخرين".

وأثنى عليه صاحب "معجم المطبوعات" يوسف سركيس قائلا: "كان من كمال علماء الهند ذا شهرة باهرة ومحاسن زاهرة ومن كبار أرباب الطريقة أهل النفس المطمئنة"[17].

وقال العلامة صديق حسن خان مثنيا على مؤلفاته: "له مصنفات تدل على عزارة علمه وكمال قدرته على العلوم"[18].

وفاته: انتقل الشيخ المهائمي إلى الرفيق الأعلى يوم الجمعة في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة[19] سنة خمس وثلاثين وثمانمائة (835هـ الموافق 1432م)، بالغا من العمر تسعة وخمسين عاماً، ودفن بمهائم ثم يزار ويتبرك بمرقده[20].

مؤلفاته: كانت للشيخ المهائمي اليد الطولى في التأليف لا سيما التفسير، وقد قضى حظا وافرا من حياته في التصنيف والتأليف. فله مؤلفات كثيرة نفيسة ممتعة، وقد مزج في تآليفه الفلسفة بالتصوف، وألقى الضوء على مباحث التصوف أمثال وحدة الوجود والجبر والاختيار والفنا والبقاء وغيرها بالدقة، وذهبت ببعض كتبه حوادث الزمان، وأما الكتب الباقية فهي ما بين المطبوع والمخطوط في مختلف المكتبات في أنحاء الهند.

فمن أشهر مؤلفاته: 1- "تبصير الرحمان وتيسير المنان في تفسير القرآن بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن"- في التفسير، وهو من أحسن كتبه، ويعرف هذا الكتاب بـ "التفسير الرحماني" و"تفسير المهائمي" أيضاً. وسيأتي ذكره مفصلا إن شاء الله.

2- "زوارف اللطائف في شرح عوارف المعارف" مخطوطة، وهو شرح لكتاب شهاب الدين السهروردي، والمخطوطة موجودة في مكتبة ممبائ، وحيدر آباد، ورام بور، وبتنه.

3- "خصوص النعم في شرح فصوص الحكم لابن العربي وفي مقدمته الدر الثمين، وإحدى مخطوطاته موجودة في مكتبة دار العلوم بديوبند[21]، وطبع الكتاب من "دار الكتب العلمية" ببيروت، في 728 صفحة بتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي. ويعد هذا الكتاب من أهم ذخائر التراث الصوفي يمثل شرحا لكتاب فصوص الحكم للشيخ محيي الدين بن العربي.

8- "إنعام الملك العلام بإحكام حكم الأحكام" في أسرار الفقه ومحاسن الشريعة.

9- "لمعات العراقي"، وهو كتاب لفخر الدين العراقي، ترجمه المهائمي من الفارسية إلى العربية ثم شرحه. وهو مفقود الآن.

10- "إراءة الدقائق في شرح مرآة الحقائق" وهو مطبوع، قال الزركلي: "رسالة، رسالة شرحها تنعت بـ"جام جهان نما" ذكرها صاحب نزهة الخواطر بـ" آراء الدقائق في شرح مرآة الحقائق" وقال بذلك. وقال د. أحمد خان: " وهو في التصوف وطبع باهتمام ابن عبد القادر الحِيْتِيْكَرْ، ببمبئ: مطبعة الترقي، بدون تأريخ، 55ص، طبع الحجر."[22]

11- "مشرع الخصوص إلى معاني النصوص" وهو كتاب ' النصوص في تحقيق الطور المخصوص، للإمام صدر الدين القونوي، طبع هذا الكتاب من "دار الكتب العلمية" ببيروت في 272 صفحة بتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي.

15- "أمحاض النصيحة" للرد على طاعن الشيخ الأكبر ابن العربي، والمخطوطة الوحيدة موجودة في مكتبة خدا بخش، بِبَتنة.

16- "الرتبة الرفيعة في الجمع والتوفيق بين أسرار الحقيقة وأنوار الشريعة": مخطوطة، وهي موجودة في مكتبة درغاه بير محمد شاه، بأحمد آباد. وتمت كتابتها في حياة المهائمي.

تفسير "تبصير الرحمان وتيسير المنّان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن": هو أشهر وأجل وأهم مؤلفات الشيخ المهائمي. ويعرف هذا التفسير بـ"التفسير الرحماني" و"تفسير المهائمي" أيضاً. ومن أهم خصائصه أنه بيّن ربط الآيات والسور بعضها ببعض وأجاد في ذلك كل الإجادة. ويحتل هذا التفسير مكانة مرموقة بين التفاسير العربية الهندية، وتقبله العلماء بتقدير واهتمام.

طبع هذا التفسير بدلهي من المطبعة المجتبائية، سنة 1286هـ/ 1969م. وطبع بمطبعة بولاق بمصر في جزئين سنة 1295هـ بإجازة الوزير الكبير الخطيب الشهير مولانا الشيخ محمد جمال الدين الدهلوي وبهامشه نزهة القلوب في تفسير غريب

القرآن للإمام أبي بكر السّجستاني. فالجزء الأول يشتمل على 457 صفحة ويضمّ مقدمة (في ثماني صفحات) وثمانية عشر سوراً، من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف. والجزء الثاني يحتوي على 424 صفحة ويضم سورة مريم إلى سورة الناس.

وطبع هذا التفسير من "دار الكتب العلمية" ببيروت، لبنان، سنة 2011م في ثلاثة أجزاء، مشتملا على 1792 صفحة بتحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي.

مقدمة التفسير: فيبدأ المقدمة بحمد الله سبحانه وتعالى حيث قال" الحمد لله الذي أنار بكلامه قلوب الألباب ليبصروا به مع عقولهم طريق الصواب يفصل لنا ظاهره من الأقوال والأعمال وباطنه من الاعتقادات والأخلاق والمقامات والأحوال، فيحل عنها قيود النقائص لتسرع إلى غاية الكمال وجعل شمسه بحيث يحتملها أبصارهم بأن حجبها بمظاهرها من الكلمات والآيات..."[23].

ثم صلى وسلم على النبي ص وعلى آله وذكر معجزاته فيقول: " فخروج الماء من الأصابع أغرب من خروجه من الحجر وشق البحر دون شق القمر والبراق الرافع إلى ما فوق السماوات بليلة مع الرجوع قبل الفجر أجل من ريح غدوها شهر ورواحها شهر ... لذلك كان ناسخ الملل وفاسخ الدول صلى الله عليه وعلى آله الذين فاقوا سائر الأمم مما استنبطوا من الكتاب والسنة من العلوم المهمة التي أناروا بها قلوب العالمين وزينوا بها ألسن العاملين وقوموا بها أعضاء العابدين صلاة تنمو إلى أبد الآبدين وسلم كثيراً"[24].

تسمية التفسير: وبعد ذلك بيّن سبب تسمية التفسير فيقول: "مع أنني لم أغص غمارهم ولم أشق غبارهم ولم أقف آثارهم وبضاعة علومي وأعمالي مزجاة وأستار الجهل والكسل عليّ مرخاة ولكن الله غالب على أمره يمن على من يشاء فوق قدره تفضل على من موجبات شكره أن بصرني ما يتميز به لباب كتابه من قشره ويسر لي الاطلاع على بعض ما خفي من سره، لذلك سميته بـ"تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن"[25].

منهجه في التفسير: وقد وضح المهائمي منهجه في تفسيره في المقدمة حيث قال إنّه لا يرى حرجا أن يُفسّر أحد القرآنَ بالرأي والعقل حتى لا يتجاوز حدود الشريعة، فقال الشيخ بعد نقل قول الرسول عليه الصلاة والسلام 'من فسر القرآن فليتبوأ مقعده من النار'-"قال الإمام حجة الإسلام في الاحياء تحريم التكلم بغير المسموع باطل إذ لا يصادف السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا في بعض الآيات والصحابة رضى الله عنهم، ومن بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع ويمتنع سماع الجميع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، والأخبار والآثار تدل على اتساع معانيه، قال عليه السلام لابن عباس رضى الله عنه 'اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل'؛ فلو كان مسموعا فلا وجه للتخصيص"[26] ثم نقل أقوال جملة من الصحابة في تأييد موقفه، فالتدبر والتفقه واستعمال العقل في تفسير القرآن ضروري عند المهائمي لأن "لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر" و"آخر القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وفي القرآن إشارة إلى مجامع العلوم وكل ما أشكل على النظار ففي القرآن رموز إليه"[27].

ولأن "التأويل بيان ما يحتمل اللفظ وقد جعل الله القرآن أصلا لجميع ما يحتاج إليه وليس كله منصوصا فلا بد من الاستخراج بالرأي بالعرض على الأصول"[28].

خصائص تفسير المهائمي: لتفسير المهائمي عدة خصائص، ويقول الدكتور زبيد أحمد: وهناك ميزتان استطاع المفسر أن يحافظ عليها دائماً: الأولى أنه يذكر باختصار سبب التسمية لكل سورة والثانية أنه يصر على تغيير البسملة في بداية كل سورة تغييراً ينسجم مع موضوع السورة"[29].

ومن أهم خصائص هذا التفسير

1. **بيان ربط الآيات والسور:** فقد تصدى المهائمي في تفسيره لربط الآيات بعضها ببعض، وقد أجاد في ذلك. قال الإمام عبد الحميد الفراهي"ترى المخدوم المهائمي الهندي الذي خص تفسيره لبيان مناسبات الآيات استعظم هذه النعمة عن قدره

مستصغرا نفسه، معترفاً لها بالتدنس حتى قال إنها من محض منن الله تعالى، وسمى تفسيره بـ"تبصير الرحمن وتيسير المنان"[30].

2. **تفسير القرآن بالرأي**: وقد استعمل الشيخ عقله ورأيه في التفسير غير متجاوز حدود الشريعة.

3. **الاستشهاد بالأحاديث وأقوال الصحابة**: وبجانب استعمال العقل والرأي استشهد المهائمي بالأحاديث وأقوال الصحابة أيضاً، فعلى سبيل المثال نراه في تفسير قوله تعالى" حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى"[31] يستشهد بالأحاديث ويقول: "والصَّلاَةِ الْوُسْطَى" وهي الصبح الواقعة بين صلاتى الليل والنهار المشهودة للملائكة النازلين والصاعدين، وقيل العصر كقوله عليه السلام شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا"[32].

4. **بيان أسباب النزول:** وقد بين الشيخ المهائمي أسباب النزول لبعض الآيات والسور كما نراه يفعل ذلك في تفسير قوله تعالى: " ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ"[33] حيث قال: قيل نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب"[34].

وذكر أن سورة آل عمران نزلت لتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال عليه الصلاة والسلام لوفد نصارى نجران في عيسى عليه السلام[35].

5. **حمدُ الله والصلاة على رسوله بعد إتمام تفسير كل سورة:** وقد حمد اللهَ الشيخُ المهائمي وصلى على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام على إتمام تفسير كل سورة. مثلاً يقول بعد انتهاء تفسير سورة آل عمران "تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين"[36]. ومثله يقول عند إتمام كل سورة.

6. **التعريف بالسور وبيان سبب تسميتها:** وفي بداية كل سورة عرفها الشيخ المهائمي بالإيجاز، وبين سبب تسميتها به، وإن كانت التسمية لسبب نبي أو رسول أو واقعة فأشار إليها على الاختصار، ففي بداية سورة آل عمران يقول:

"سميت بها لأن اصطفاء آل عمران وهم عيسى ويحي ومريم وأمها نزل فيه منها ما لم ينزل في غيره إذ هو بضع وثمانون آية وقد جعل هذا الاصطفاء دليلا على اصطفاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله متبوعاً لكل محب لله ومحبوب له"[37].

وقد ذكر المهائمي لهذه السورة أسماء أخرى وهي "الزهراء" و"الأمان" و"الكنز" و"مجادله"، و"الاستغفار" و"الطيبة"؛ وبيّن سبب تسميتها بها فيقول: "وتسمى "**الزهراء**" لأنها كشف عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام؛ و"**الأمان**" لأن من تمسك بما فيها أمن من الغلظ في شأنه؛ و"**الكنز**" لتضمنها الأسرار العيسوية؛ و"**المجادلة**" لنزول نيف وثمانين آية منها في مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران إذ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم...وتسمى "**سورة الاستغفار**" لما فيها من قوله " ذث"[38]، و"**طيبة**" لجمعها من أصناف الطيبين في قوله " يث[39]...إلى آخره[40].

وكذلك ذكر لسورة الفاتحة أسماء كثيرة تدل على شرفها، فمنها: "فاتحة الكتاب" و"الفاتحة" و"سورة الحمد" و"سورة الشكر" و"القرآن العظيم" والمثاني" و"سورة الكنز" و"سورة تعليم المسئلة والدعاء" و"سورة المناجاة" و"سورة الوافية" و"سورة الشفاء والشافية" و"الرقية" و"أم الكتاب" و"أم القرآن" و"سورة الأساس" و"سورة الصلاة" و"سورة النور" وغيرها؛ وبين سبب تسميتها بكل واحد منها.

وهكذا بين الشيخ المهائمي لكل سورة سبب تسميتها بها وذكر أسمائها المعددة.

7. **شرح البسملة بمعان مختلفة:** لقد انفرد الشيخ المهائمي بين المفسرين في تفسير البسملة بحيث أنه فسر البسملة في بداية كل سورة بوجه جديد، ناظراً إلى موضوعات تلك السور.

فهذا يدل على ملكته الكاملة على اللغة العربية لأن شرح جملة واحدة بوجه جديد لكل سورة ليس أمرا سهلا، ولا يقدر عليه إلا من كان له اليد الطولى في تلك اللغة. والآن نقدم على سبيل المثال أمثالاً منها، فانظر إليها:

يقول في شرح البسملة في سورة آل عمران: "بسم الله" الجامع للكمالات: اللطفية والقهرية، إذ لطف بعيسى قوما آمنوا برسالته وقهر به قوما كذبوه أو جعله إلها أو ولده"[41].

8. **الإيجاز والاختصار:** ومن أهم خصائص هذا التفسير أنه تفسير موجز. فقد فسر المهائمي كتاب الله عز وجل بالإيجاز الاختصار ما عدا سورة الفاتحة. فقد أطال البحث في سورة الفاتحة: في بيان أسمائها وسبب تسميتها بها، وفسر الآيات تفسيراً مفصلا طويلا. لكنه فسر معظم القرآن بالإيجاز، فهو في هذه الناحية شبيه بالجلالين والبيضاوي إلا أنه اختلف البيضاوي في بعض مواضيع: مثالاً يقول المهائمي في تفسير الآية: " ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ"[42] "وفسر البيضاوي المغضوب عليهم بالعصاة والضالين بالجاهلين بالله لأن المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فيقابله من أخل بأحدهما فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه وبالعقل جاهل ضال، وأقول المغضوب عليه المعاند في الكفر تقليدا أو تقصيرا والمتعمد بالمعاصي، والضال الواقع في الكفر تقليدا أو تقصيرا في النظر وفي المعاصي اعتمادا على كرم الله وعفوه أو المغضوب عليه الكافر الضال المبتدع أو المغضوب عليه المنتقم منه والضال المخطئ أعم منه ومن المعفو عنه"[43].

9. **تفسير الحروف المقطعات:** وقد حاول المهائمي أن يفسر الحروف المقطعات في ضوء عقله وفهمه إذ أعرض عنه الصحابة والتابعون ومعظم السلف. فبيْن يديك أمثال من تفسيره-

ويقول في تفسير " ﷺ ": أي آيات لوامع الرشد أو أجل لطائف الربوبية أو أخص لباب الرحمة أو أعلى لواء الرفعة"[44].

ويقول في تفسير " ﷺ": أي يا طاهرا عن النقائض وأسباب الشقاوة وهاديا إلى الكمالات وأسباب السعادة أو يا طالع الهمة أو يا طالبا للحق هاربا عما سواه أو يا طيبا هبة استعداده أو نحو ذلك مما يناسب المقام[45].

وجدير بالذكر أن المهائمي فسّر حروفا مقطعة واحدة بمعان مختلقة في سور مختلفة، كما نراه يفعل ذلك في تفسير " الٓ" في سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة؛ وفي تفسير " الٓ" في سورة يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر؛ وفي تفسير "حم" في سورة غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف كما يفعل ذلك في تفسير البسملة.

10. **الاستدلال بأقوال النحاة:** وقد ذكر المهائمي أقوال النحاة أمثال سيبويه والأخفش والزجاج في مواضيع مختلفة في تفسيره. فعلى سبيل المثال نراه يفسر قوله تعالى " ٱ ذ ذ"[46] في ضوء أقوال النحاة، يقول: "وَأَرْجُلَكُمْ" أي اغسلوها وهو على قراءة النصب وهي قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب ظاهر[47].

11. **الاجتناب من الإسرائيليات:** وقد ذكر الشيخ المهائمي قصص القرآن بالإيجاز مع الاجتناب التام من الإسرائيليات، إذ كثير من المفسرين خاضوا بالتفصيل في بيان عدد أصحاب الكهف ووصف كلبهم، وفي قصة يوسف مع امرأة ملك، وقصة تضحية إسماعيل وغيرها.

12. **موقفه من المسائل الفقهية:** كانت للشيخ المهائمي مهارة تامة في الفقه، لكنه عموماً لا يخوض في المسائل الفقهية وما كان مقلدا لأحد الأئمة الأربعة، بل رجّح قولاً أقرب للقرآن والسنة، ويظهر من مطالعة تفسيره أنه كان مائلا إلى المذهب الشافعي بدون تقليده. يقول في تفسير " فاغْسلُواْ وُجُوهَكُمْ" مؤيدا الإمام الشافعي: والوجه ما بين منابت شعر الرأس غالباً إلى منتهى الذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا فيجب غسل جميعه."[48] ويستمر قائلا موافقا للإمام الشافعي أن الوضوء لا يصلح بدون النية ولا يصلح مفتاحا للصلاة بدونها"[49].

الخاتمة: يعد تفسير الشيخ المهائمي من أهم التفاسير التي كتبها أبناء الهند باللغة العربية، وهو متداول بين الأوساط العلمية والدينية لا سيما الصوفية، وقد استفاد منه ونقل قوله أعلام من المفسرين الهنود أمثال العلامة طاهر السندي في "مجمع البحرين" والشاه عبد العزيز الدهلوي في "فتح العزيز" ومولانا محمد عمر الحسيني

في "كشف القلوب" ومولانا أشرف علي التهانوي في "بيان القرآن" ومولانا إبراهيم السيالكوتي في تفسير واضح البيان"، ولهذا التفسير عدة خصائص وميزات، فقد شرح المهائمي آيات القرآن وفسر غريبها مسلطا الضوء على إبراز وجوه الإعجاز القرآني من خلال التفسير للآيات وللألفاظ والمعاني الغريبة.

الهوامش

[1] انظر ترجمته في (العربية): أبجد العلوم، ص: 695؛ ونزهة الخواطر، ج 3، ص: 261؛ وسبحة المرجان في آثار هندوستان، ص: 39؛ والأعلام، ج 4، ص: 257؛ ومعجم المطبوعات، ص: 2، ص: 1717؛ ومعجم المؤلفين، ج 7، ص: 9؛ وهدية العارفين، ج 1، ص: 730؛ وكشف الظنون، ج 1، ص: 339، ومعجم المفسرين، ص: 353.
و(الأردية) تذكره مفسرين هند، ج-1، ص: 28؛ وهندوستانى مفسرين اور ان كي عربي تفسيرين، ص: 34.

[2] سبه صاحب نزهة خواطر ود. زبيد أحمد إلى المذهب الشافعي، ولكن صاحب هدية العارفين ومعجم المؤلفين نسبه إلى المذهب الحنفي.

[3] سبحة المرجان في آثار هندوستان، للشيخ غلام علي آزاد البلغرامي، ص: 40، وكانت "مهائم" في ذلك الوقت في ولاية كجرات وهي الآن في ولاية مهاراشترا.

[4] تذكره مفسرين هند، ج1، ص: 28، وترجمته في بداية كتاب تبصير الرحمان المطبوع ببولاق بمصر؛ ومعجم المطبوعات، ج2، ص: 1717.

[5] نزهة الخواطر، ج 3، ص: 261.

[6] الأعلام للزركلي، ج 4، ص: 257.

[7] تذكره مفسرين هند، ج1، ص: 28-29.

[8] المرجع نفسه، ص: 29.

[9] . تاريخ النوائط لنواب عزيز يار جنغ، ص: 354؛ نقلا عن تذكره مفسرين هند، ص: 29.

[10] وقد ذكر الشيخ إكرام صاحب "آب كوثر" كراماته الكثيرة نقلا عن رسالة "ضمير الإنسان" للسيد إبراهيم المدني، فارجع إليه للتفاصيل.

[11] بمبئ غزيتر، ج 3، ص: 301؛ نقلا عن تذكره مفسرين هند، ص: 32.

[12] تاريخ الأولياء، ص: 733 نقلا عن تذكره مفسرين هند، ص: 33.

[13] الأعلام، ج 4، ص: 257.

[14] غلزار أبرار لمحمد حسن الغوثي، ص: 39، نقلا عن "تذكره مفسرين هند"، ص: 34.

[15] سبحة المرجان في آثار هندوستان، ص: 40.

[16] ياد أيام، لعبد الحي، ص: 59، نقلا عن تذكره مفسرين هند، ص: 35.

[17] معجم المطبوعات، ج 2، ص: 1717.

[18] أبجد العلوم، ص: 695.

[19] نزهة الخواطر، ج 3، ص: 261. وذكر صاحب "سبحة المرجان" أنه "توفي في جمادي الأولى"، ص: 40.

[20] سبحة المرجان في آثار هندوستان، ص: 40، ونزهة الخواطر، ج 3، ص: 261.

[21] تذكره مفسرين هند، ص: 36.

[22] معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية، ص: 466.

[23] تبصير الرحمان وتيسير المنان، مقدمة، ص: 2.

[24] المرجع نفسه، ص: 3.

[25] المرجع نفسه،

[26] المرجع نفسه، ص: 5.

[27] مقدمة تبصير الرحمن، ص: 5.

[28] المرجع نفسه، ص: 6.

[29] "There are two characteristics which the author has very ably maintained throughout: one is that in the beginning of each surah he briefly mentions the reason why the surah is so named; and the other is that he invariably paraphrases Bismillah in each surah in accordance with the subject-matter of the surah." (The Contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature, p. 18).

[30] ديباجة نظام القرآن، ص: 21، الدائرة الحميدية، أعظم كره، الطبعة الأولى: 2008.

[31] سورة البقرة، رقم الآية: 238.

[32] تبصير الرحمن: ج 1، ص: 86.

[33] سورة الأحزاب: 36.

[34] تبصير الرحمن: ج 2، ص: 159.

[35] المرجع نفسه، ج 1، ص: 101.

[36] تبصير الرحمن: ج 1، ص: 138.

[37] المرجع نفسه، ص: 101.

[38] سورة آل عمران: 17.

[39] سورة آل عمران: 17.

[40] تبصير الرحمن: ج 1 ص: 101.

[41] تبصير الرحمن: ج 1، ص: 101.

[42] سورة الفاتحة: 7.

[43] تبصير الرحمن: ج 1 ص: 30.

[44] تبصير الرحمن، سورة يوسف، ج 1، ص: 356.

[45] تبصير الرحمن: ج 2، ص: 14.

[46] سورة المائدة: 6.

[47] تبصير الرحمن: ج1، ص: 180.

[48] تبصير الرحمن، ج 1، ص: 180.

[49] المرجع نفسه.

المصادر والمراجع

- المهائمي، علاء الدين. **تبصير الرحمان وتيسير المنّان ببعض ما تشير إلى إعجاز القرآن**، مصر: مطبعة بولاق. بدون تاريخ.
- البغدادي، إسماعيل بن محمد الباباني. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: 2.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام**. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.
- د. أحمر خان. **معجم المطبوعات العربية في شبه القارة الهندية الباكستانية**. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000م.
- د. زبيد أحمد. **الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ط2**. ترجمه عن الإنجليزية وعلق عليه د. عبد المقصود محمد شلقامي، مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوضيع.
- القنَّوجي، صديق حسن خان. **أبجد العلوم**. بيروت: دار ابن حزم، 2002م.
- نويهض، عادل. **معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**. بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، 1988م.
- الحسني، عبد الحي. **الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام**، بيروت: دار ابن حزم، 1999م.
- الدمشقي، عمر كحالة. **معجم المؤلفين**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- البلغرامي، غلام علي آزاد. **سبحة المرجان في آثار هندوستان**، بمبئ: طبع الحجر، 1885م.
- حاجي خليفة، مصطفى. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1941م.
- العمري، محمد عارف الأعظمي. **تذكره مفسرين هند**. أعظم كره: دار المصنفين شبلي أكيدمي، الهند، 2006م.
- الحسيني، عبد الحي. **ياد أيام**. عليكره كالج: مطبع انستي تيوت، بدون تاريخ.
- القدوائى، محمد سالم. **هندوستاني مفسرين اور ان كي عربى تفسرين**. نيو دهلى: إسلامك بك فاؤنديشن، 2006م.
- أكرم، محمد. **آب كوثر**. لاهور: اداره ثقافت إسلامية، 2006.
- Ahmad, Zubaid. ***The Contribution of Indo-Pakistan to Arabic literature from ancient times to 1857,*** Lahore: Ashraf Press, 1968.

جهود المستشرقين الألمان في السيرة النبوية: آنا ماري شيمل أنموذجاً

محمد عبد الواحد*
mohdabdulwahid9@gmail.com

ملخص البحث: *اهتم المستشرقون الألمان بحياة محمد صلى الله عليه وسلم من خلال التأليف والترجمة، ومن بينهم اشتهرت آنا ماري شيمل بالثقافة العربية، ولها أكثر من مائة كتاب ودراسة ومقالة في مجال الدراسات الإسلامية ومن أبرزها "وأن محمدا رسول الله" في السيرة النبوية، شرحت المؤلفة فيه المكانة المركزية للنبي صلى الله عليه السلام في حياة المسلمين، من خلال استخدام النصوص الشعرية والتعبيرات الفنية. يهدف هذا البحث إلى إبراز إسهامات آنا ماري شيمل في الدراسات العربية الإسلامية، وبيان جهودها القصوى تجاه السيرة النبوية من خلال دراسة كتابها. تشتمل هذه المقالة على الجزأين بجانب مقدمة وخاتمة. سيناقش الباحث في الجزء الأول عن جهود الألمان في السيرة النبوية، والجزء الثاني سيسلط الضوء على كتاب "وأن محمدا رسول الله" لآنا ماري شيمل بجانب حياتها العلمية.*

كلمات مفتاحية: آنا ماري شيمل، التراث العربي، الاستشراق الألماني، السيرة النبوية، محمد صلى الله عليه السلام.

المقدمة: منذ بداية الاستشراق كان موضوع حياة الرسول من الأولويات لدى الألمان، ولهم مجموعة من البحوث والدراسات في هذا المجال، واستجابوا من خلال الأساليب التحليلية والنقدية لثقافتهم ورؤيتهم، ولكنها لم تحظ بشعبية كبيرة بين الأكاديميين العرب، ويفتقر معظم الكتب المتعلقة بالسيرة النبوية التي تستهدف الجمهور العام إلى الدقة العلمية والتاريخية والموضوعية. كما أنها عموما لا تعتمد على مراجع أصلية. ولكننا وجدنا الدراسات القيمة والمعتدلة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين التي مقبولة لدى الباحثين في الدراسة الإسلامية لعدالتهم إلى حياة الرسول ولتسجيل تاريخ الإسلام. ولعل التغيير الذي طرأ على دراسات المستشرقين الألمان في السيرة النبوية يرجع إلى توفر مادة غنية في المصادر التاريخية التي جمعها المؤرخون العرب. وأبرز المستشرقين الألمان في سيرة الرسول ومؤلفاتهم فيما يلي:

* باحث الدكتوراه في مركز الدرسات العربة والإفريقية بجامعة جواهرلال نهرو، نيو دلهي، الهند

جوستاف فايل (Gustav Weil) له عدة أعمال في هذا المجال كتابا ورسالة، كما نشرت رسالته الأولى تتعلق بالنبي محمد صلى الله عليه السلام في المجلة الآسيوية في شهر مايو (1843م). وهو من أوائل المؤلفات التي كتبها المستشرقون الألمان عن السيرة النبوية، قد اعتمد السيد فايل في تكميل هذا الكتاب على "السيرة النبوية " لابن هشام. وقد اشتهرت ترجمته تحت العنوان (Das Leben Mohammed' s nach Mohammed Ibn Ishak)[1]، هذه الترجمة من السيرة النبوية لابن إسحاق[2] التي نشرت من مدينة شتوتغارت في مجلدين (1864م)، ويشتمل المجلد الأول على 390 صفحة، ويسجل الوقائع منذ ولادة محمد صلى الله عليه السلام (571م) إلى غزوة بني سليم (624م). والمجلد الثاني يحتوي على 364 صفحة، وهو يبين من غزوة سويك التي حدثت في عام 624م إلى وفاته (632م). وتمتاز هذه النسخة بالدقة العلمية بالرغم من تجاوز الوقت للأسلوب اللغوي الذي تتبعه.[3].

كتابة أوجست فيشَر (August Fischer) حول الرسول صلى الله عليه السلام بعنوان "محمد وأحمد اسمان للنبي العربي" من أوائل البحث الاستشراقي عن السيرة النبوية التي نشرت في عام 1932م[4]. وجوزيف هورفتس (Joseph Horowitz) وله مقالان في المصادر الأولية للسيرة النبوية ومؤلفيها، وفيما بعد قد تم طبع كلاهما في شكل كتاب مستقل تحت العنوان (The Earliest Biographies of The Prophet and Their Authors)، مشتمل على 128 صفحة (2002م)[5].

وكتب أوتو برتسل (Otto Pretzl) في السيرة بحثه الموسوم بـ"محمد بوصفه شخصية تاريخية" (Muhammed als Geschichtlic Personlichkeit in Hisetorische Zeitschrift) وأصدره في عام 1940م[6]. وقام الاستاذ جرنوت رتر (Gernot Rotter) بترجمة السيرة النبوية لابن إسحاق إلى اللغة الألمانية (1976م)، وهي مشتملة على 288 صفحة ومتميزة بأسلوب موضوعي، أصبحت تحظى بشعبية كبيرة بين القراء الألمان من المسلمين وغيرهم سواء وإن كانت قصيرة في حجمها. يحتوي الكتاب على الهوامش والملاحظات المهمة وفهرس الأسماء وخريطة الجزيرة العربية وقائمة الأحداث التاريخية في حياة النبي صلى الله عليه السلام[7]. ولا يمكن إنكار مساهمة بعض المستشرقين الألمان في تحقيق المخطوطة العربية التي تتعلق

بالسيرة النبوية. كما قام فردناند وستنفلد (Ferdinand Wüstenfeld) بتدوين كتاب في السيرة النبوية معتمدا على المخطوطات التي كانت موجودة في المكتبات المختلفة بألمانيا، على سبيل المثال، برلين وليبزج وفرانكفورت وغيرها، ونشرت تحقيقه (1858م) في 3 مجلدات.

كتاب غيرهرد كونزلمن (Gerhard Konzelmann) "محمد نبي الله وقائده الميداني"[8]. مترجم هذا الكتاب صحفي ألماني، كان مراسل الشرق الأوسط لقناة (ARD) الألمانية، من حصل على "وسام الاستحقاق من جمهورية ألمانيا الاتحادية" (Verdienstorden der Bundesrepublik Deutschland) لتغطيته الحرب الأهلية اللبنانية (1977م)، ولكن في عام 1990م قد اتُهم بالسرقة الأدبية من قبل خبير الشرق الأوسط غيرنوت روتر (Gernot Rotter) الذي فضح أيضًا حقيقة أن كونزيلمان لا يستطيع التحدث باللغة العربية، إلى جانب الكتابة غير الخيالية، كتب كونزيلمان أيضًا أوبرا. أوضح روتر أن كونسلمان قد سرق بشكل مكثف ترجمته لعمل ابن إسحاق في عمله "محمد نبي الله وقائده الميداني". كما أضاف معلومات غير صحيحة من حيث الوقائع، على سبيل المثال، اختراع محتويات القرآن أو نسب ميول الاستغلال الجنسي للأطفال إلى محمد، لم يدافع غيرهرد كونزلمن عن نفسه ضد هذه المزاعم في المحكمة وطلب من ناشره عدم عرضه، لأنه وجد بعض العيوب في كتابه.

يوهان فوك (Johann W. Fuck) نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة فرانكفورت برسالته "ابن اسحاق مؤلف سيرة النبي" (1925م)[9]، قد نشر المؤلف عدة من المقالات والبحوث العلمية عن النبي صلى الله عليه السلام في المجلات وأبرز منها "أصالة النبي العربي"، تناول فيها الكتابات الأوروبية حول السيرة النبوية التي سعت إلى إثبات تبعية الرسول للديانتين السماويتين مثل اليهودية والنصرانية، محاولاً تصحيح شخصية النبي محمد، ودافعاً عن أهمية تعاليمه، مؤكداً أن إنجازات الإسلام وحضارته المستمرة عبر القرون هو ظهور نبيه فقط[10]. و"محمد شخصية وتأسيس دين" عالج الكاتب في هذا المقال مجموعة واسعة جدًا من القضايا المتعلقة بصحة محمد كنبي، مؤكدًا على بعض صفاته البارزة وملامح دينه التي بدأ يدعو إليها.

وكتاب آلويس شبغنجر (Aloys Sprenger) المسمى بـ "سيرة وتعليم محمد صلى الله عليه وسلم" وفي اللغة الألمانية (Das Leben und die Lehre des Mohammed. Nach bisher grösstentheils unbenutzten Quellen)[11]، قد عاش المؤلف في العالم الاسلامي، الذي لم يمنعه من تردد الأقاويل والأحكام المسبقة السيئة عن الرسول التي كانت ولا تزال محل تداول في الغرب، ويُزعم الشجنغر قد ركز على "الوجوه السلبية" في السيرة النبوية ليظهرها للناس، بعد أن تجاهل المراجع الأصلية. الكتاب موجه للباحثين غير العرب الذي يقصد الدراسات العميقة للإسلام، والقارئ غير المدقق الذي ينتج فقط أبحاث الآخرين. في الواقع، ويدرك القارئ جيدًا قلة المعلومات الحقيقية التي يقدمها الكاتب، كما يتجلى بشكل خاص في كتابات قبل القرن العشرين، ويتميز هذا بالدقة العلمية في ترجمة النصوص الأصلية بأقلام المستشرقين الألمان.

آنا ماري شيمل وحياتها العلمية: قد تخصصت المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل في الدراسة الإسلامية وثقافتها، وهبت حياتها لدراسة التراث الإسلامي، وقضت نصفا من حياتها في تدريس الطلاب في البلاد المختلفة، وألقت مائة محاضرة عن التصوف الإسلامي في أوروبا والبلدان العربية وشبه القارة الهندية. وأصدرت مجلة عربية في ألمانيا الموسومة بـ "فكر وفن" في عام 1963م. لقد وهبت حياتها للعلم ووسعت دائماً إلى إقامة الجسور بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب فلذا لقبت بـ" عميدة الاستشراق الألماني". وقبل الدخول في صلب الموضوع علينا أن نتعلم بإيجاز عن حياة آنا ماري شيمل في السطور التالية.

وُلدت آنا ماري شيمل في مدينة إيرفورت في السابع من شهر مارس عام 1922م، حيث كان والدها يشغل وظيفة في خدمة البريد. وهي نشأت في زمن الحربين العالميتين، فترعرعت في عالم مليء بالتطرف والعنصرية، وصراعات سياسية وعسكرية وفكرية. ورغم التحديات التي واجهتها، اتخذت قرارًا جريئًا بتلقي دروس خاصة في اللغة العربية واللغات السامية الأخرى تحت إشراف المستشرق الألماني البارع، الدكتور ريتشارد هارتمان (Richard Hartmann)، هو كان شخصًا فريدًا بشكل كبير فيما يتعلق بالثقافة العربية والدين الإسلامي، تركت شخصيته البارزة تأثيرًا كبيراً على حياتها. قد حصلت السيدة شيمل على درجة الدكتوراه الأولى في عام 1945م، وفي

بداية الخمسينيات تعرفت على أعمال ابن خلدون وقامت بترجمة بعض فصول مقدمته الشهيرة. واستمرت في دراستها في مجالات الأدب العربي والتركي والفارسي، وحصلت على وظيفة أستاذة في قسم العلوم الإسلامية واللغات الشرقية في جامعة بون، حيث كانت تركز بشكل خاص على دراسة الشعر الصوفي. وحصلت على شهادة الدكتوراه الثانية في الفلسفة الإسلامية (1952م). شخصيتها تتميز بثراء لغوي وأدبي، وهي تقدمت بخطى ثابتة في السلم الأكاديمي، حيث نجحت بسرعة في تحقيق إنجازات متميزة بعد انتهاء الحرب حيث حصلت على درجة الأستاذية في العلوم الإسلامية من جامعة ماربورغ عندما كانت في الثالثة والعشرين من عمرها.

قامت بتدريس العلوم الإسلامية في جامعة أنقرة (1945م)، وعادت إلى ألمانيا حيث أصبحت أستاذة الأدب العربي في جامعة بون (1961م). وتلقت آنا ماري شيمل عرضًا لتولي كرسي الثقافة الإسلامية في الهند في جامعة هارفارد خلال زيارتها للولايات المتحدة الأمريكية للمشاركة في مؤتمر الأديان في جامعة كالفورنيا (1965م). خلال هذه الفترة، قامت بتدريس مادة الخط الإسلامي وأثر الخطوط العربية على الفن الأوروبي المعاصر[12]. وقادت السيدة شيمل مسيرة تدريس متعددة في معاهد وجامعات متعددة حول العالم، بما في ذلك إنكلترا والهند وباكستان والسويد وغيرها. حيث قامت بتدريس مختلف العلوم مثل الآداب العربية والفارسية والتركية والهندية، بالإضافة إلى الفنون الشرقية والتصوف الإسلامي.

وكانت تشغل آنا ماري شيمل منصب مستشارة لشؤون الخط الإسلامي في متحف نيويورك العالمي لمدة عشر سنوات، وبالإضافة إلى ذلك، شغلت أيضًا منصب مديرة معهد "غوته" في بيروت بلبنان. وكانت عضوة في العديد من الأكاديميات العالمية، خاصة في دائرة المعارف الإسلامية للأديان والتصوف الإسلامي والتاريخ الإسلامي. ومنحتها الحكومة الباكستانية جائزة مدنية بـ"هلال امتياز"، ثاني أعلى جائزة مدنية (1983م)[13]. وهي حصلت على جائزة السلام (1995م)، أكبر جائزة ثقافية وفكرية في ألمانيا، في حفل توزيع الجوائز الذي أقيم في كنيسة القديس بول في مدينة فرانكفورت[14].

المؤلفات: أتقنت آنا ماري شيمل العديد من اللغات الغربية، بالإضافة إلى اللغات الشرقية، وكانت معرفتها الواسعة بالثقافات المتنوعة عاملاً مساهماً في نشر أكثر من مائة كتاب، منها ثمانون يتناول تاريخ الشرق وشعره والتصوف الإسلامي وفكره[15]،

وترجمت هذه النصوص من اللغات الشرقية إلى الألمانية والإنكليزية، ومن أبرزها: "صوت الناي" وهو ديوان الشعر (1948م)، و"مختارات من مقدمة ابن خلدون" (1951م) نقلت من اللغة العربية إلى العربية، و"الأبعاد الصوفية في الإسلام" (1974م)، و"مختارات من الشعر العربي المعاصر" (1975م) و"محمد إقبال اللاهوري" و"محمد رسول الله" (1981م) وبالإنجليزية (1987م)، و"الإسلام في الهند وباكستان" و"كتاب عن الفن الاسلامي وفن الخط العربي"، (1982م)، و"الإسلام في شبه القارة الهندية" (1983م)، و"مركز الثقافة الإسلامية في السند" (1983) وغيرها.

كتاب "وأن محمداً رسول الله"

"وأن محمداً رسول الله" هي نسخة موسعة أو ممتدة من كتاب آنا ماري شيمل، الذي نُشر أولاً باللغة الألمانية تحت الاسم (Und Muhammad ist sein Prophet: Die Verehrung der Propheten in der islamischen Frömmigkeit) في عام 1981م[16]، وقد ترجمه الدكتور عيسى علي العاكوب إلى اللغة العربية (2008م). يتميز الكتاب بعدم التحيز ويتسم بالموضوعية الفائقة، حيث يهدف إلى تسليط الضوء على تقاليد الدين الإسلامي من خلال تقديس النبي بشكل خاص، ويتطلع إلى تعزيز فهم عميق ومتوازن للرسول صلى الله عليه وسلم، مسعىً جادًا لتحقيق توازن في التعاطي مع التصوّرات السلبية التي قد تنشأ حول السيرة النبوية في ذهنيات الجماهير الغربية.

يتفوق الكتاب على جميع الأعمال الأخرى من قبل المستشرقين في السيرة النبوية من حيث محتواه وطريقة عرضه، لأنه مكتوب بأسلوب جميل، ويقتبس بسلاسة من الصوفيين والشعراء الذين يحللون تجاربهم ومشاعرهم وأفكارهم، حول الجانب الكامل من شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله وخطاباته ومعجزاته وحياته، وتحدثت المؤلفة في مقدمة الكتاب هو ثمرة اهتمامها بشكل نبي الإسلام ورحلاتها الفكرية والروحية عبر الأماكن المختلفة مثل تركيا والهند وباكستان وغيرها. وفي الحقيقة هذا ليس كتابًا يبحث فقط عن "محمد التاريخي" كما فعل معظم الكتب في السيرة النبوية، ولكنه يبحث عن العوالم الصوفية للنبوة والروايات الأدبية التاريخية عن تبجيل

النبي، كما يقول ابن حزام: "كيف لا يكون نبي الإسلام حيا؟ بما أن المرء يقول (محمد رسول الله) وليس (كان رسول الله). كما يلقي عنوان فرعي للكتاب (تعظيم النبي في التقوى الإسلامية) الضوء على تمثيل النبي في شعائر المؤمنين. نظرًا لأن شيمل كانت مؤمنة بروتستانتية راسخة، فإن سعيها هو دليل مطلق على حقيقة أن أي فهم موضوعي للحياة النبوية سينتهي بلا شك إلى تقدير إيجابي للنبي باعتباره الشخص الكامل أو رحمة للعالمين"[17]. وربطت المؤلفة رفق محمد صلى الله عليه السلام واعتداله مع المسلم وغير المسلم بالإضافة إلى إنجازاته في نهضة المجتمع وتخليصه من كل مظالم الطائفية والعنصرية. بينت المؤلفة آداب النبي وأخلاقه وتعاليمه وأهدافه ووصاياه فيه، هكذا صار الكتاب ذات القيمة العلمية. ويبرز الكتاب الإيجابيات أكثر مما يعتقد معظم الغربيين، دون تحييد في مضمونه. وأشاد بها رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا على استمرارها في كتاباتها وترجماتها الموضوعية عن الإسلام[18]. تقدم الدكتوراه شيمل في خطوطها العريضة ميزات رئيسية للنبي صلى الله عليه وسلم، حيث تعتمد على مجموعة واسعة من المصادر واللغات المتنوعة، مثل الفارسية والعربية والأردية والتركية والسندية والبنغالية وغيرها. ويتسم هذا الكتاب بعدة مزايا، سنلقي الضوء على بعضها فيما يلي:

تنظيم الفصول: يُفتتح الكتاب بمذكرات السيرة النبوية، حيث يلخص بإيجاز فصول حياة الرسول، وهو يتكون من اثني عشر فصلاً وكل فصل يحتوي على عنوان فريد مثل "محمد الأسوة الحسنة" والمنزلة الفذّة لمحمد" و"نورُ محمد والتقليد الصوفي" و"محمد الشفيع والصلاةُ عليه" و"إسراء النبي ومعراجه" و"الشعر في مدح النبي" و"النبي محمد في آثار محمد إقبال" وغيرها[19]. تتميز فصول الكتاب عن سائر المؤلَفات في مجال السيرة النبوية، حيث يتطرق كل فصل إلى جانب مهم من منظور المسلمين لحياة النبي، مع انعكاس ذلك في الأدب التعبدي. تقدم الدكتوراه شيمل مقدمة موجزة حول شخصية النبي في الفصل الأول، مركزًا بشكل خاص على تفاصيل السيرة الأدبية المستمدة من الروايات المبكرة. ويتناول بشكل خاص أبرز أصحاب النبي في سياق القرآن الكريم والتقاليد الإسلامية. كما من الفصل الثاني حتى الفصل السابع، تقوم المؤلفة بتناول موضوعات عديدة، على سبيل المثال، الجمال المادي والجمال الروحي للنبي ونوره وأساطيره ومعجزاته، وتتناول الفصول التالية في

هذا العمل مقامه وشخصياته، ومعجزاته، وأسماؤه الحسنى، مبرزًا من خلال ذلك مكانته كنموذج جميل للمسلمين. تكرس الفصلان الثامن والتاسع من الكتاب لاستكشاف ذكرى ميلاد النبي، ويسلطان الضوء على جوانب حياته الأسرية وتجربته في المعراج، ويتناولان هذه الجوانب بمزيج من التأمل والتفصيل العميق، كما يظهر ذلك بوضوح في السياق الأدبي التعبدي. والفصل العاشر يسلط الضوء على شعر تكريم النبي في التراث العربي والفارسي والشعبي. يسجل الكتاب في الفصلين الحادي عشر والثاني عشر جهود المسلمين في القرون الأخيرة لإعادة تعريف أهمية النبي. تقوم هذه الفصول بتحليل شخصيات النبي التي صاغها الحداثيون والقادة الإصلاحيون، كما تسلط الضوء على الأفكار التي قدمها العلامة محمد إقبال في هذا السياق.

التعبير عن النبي الأمي: اتخذت السيدة شيمل أفكار الصوفيين في مقارنة جميلة حين تعبّر عن مفهوم "أمّي" الذي يعبر عند الصوفية عن النبوة الخالية من أي عيوب أو تلوث، بل تكون طاهرة من كل فكرة مسبقة. بل تعبّر هذه الكلمة عن النقاء الروحي والعقلي، حيث يكون قلبه وعقله نظيفًا وطاهرًا، يكون مهيأً لاستقبال الوحي، كما يُظهر ذلك في طهارة مريم عليها السلام "ومثلما أن مريم ينبغي أن تكون عذراء لكي تستطيع أن تحمل بطهارة الكلمة الإلهية الى تجسيدها لابد من أن يكون محمد أُمياً لكي يحدث تنزيلُ الكلام الإلهي في الكتاب من دون تدخّل فعاليته العقلية بوصفه فعلاً من أفعال الفضل الصرف"[20].

لمسة رائعة من الأفكار: نجد احترام المسلمين تجاه النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب كما تعتمد مؤلفته على نطاق واسع من النثر والشعر من خلال إتقانها للغة العربية والفارسية والتركية والسندية وغيرها، بهدف توضيح وجهة نظرها. وتسلط الضوء على أهمية النبي الكريم في الحياة الاجتماعية والدينية للمسلمين. كما نعلم، يشكل الشعر مصدرًا عظيمًا للتعبير عن الحب، كما تم ذكره في الفصل الأول بعد مناقشة سيرة الرسول لغير المسلمين. ولا تقتصر الأمر على الشعر باللغات الكلاسيكية، بل اهتمت بذكر الآيات الشعبية في مختلف اللغات الإسلامية المحلية أيضاً. هذه هي القصائد التي يحفظها الأولاد والتي تنمي فيهم حب النبي منذ طفولتهم. إن تلك القصائد لعبت دورًا هامًا في تشكيل صورة خاتم الأنبياء المنير في قلوب جماهير المسلمين.

حتى في يومنا هذا، يستمرون الأطفال المسلمون في صياغة قصائد صغيرة باستخدام الصور التقليدية للتعبير عن حبهم للنبي وثقتهم به[21].

استخدام الأشعار الجميلة: الشعر هو جزء لا يتجزأ من التبجيل، فاهتمت الدكتوراه شيمل بتقديم ترجمة لمختلف الشعراء ذات الشهرة العالمية مثل الإمام البوصيري والشيخ سعدي الشيرازي وأمير خسرو والعلامة محمد إقبال وغيرهم، وبهذه الطريقة قارئ اللغة الأوروبية الذي لا يستطيع قراءة الشعر الشرقي، يمكنه بسهولة أن يعرف أبيات هذه اللغات. بعض العينات من هذه الترجمات مذكورة أدناه. كما تنقل هذه الجملة عن رائحة عطر النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسحر شذاه، مستعرضة في ذلك أروع القصائد الصوفية التي خطها جلال الدين الرومي:

جذر الورد وفرعه هما عرق المصطفى الطب

وبقوته يصير هلال الوردة الآن بدرا

وهكذا يغدو عندها النبي الأصل لكل كمال بشري[22].

قامت السيدة شيمل بترجمة الأبيات العربية الشهيرة من القصيدة المعروفة باسم "البردة" إلى الألمانية للإمام البوصيري. ويُقال إنه بعد إصابة الشاعر بـ"الشلل النصفي"، قرر أن يكتب هذه القصيدة بهدف الشفاء. وعند اكتمالها، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه، حيث قرأ الإمام البوصيري نص القصيدة على النبي صلى الله عليه وسلم. في تلك اللحظة، مسح النبي صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة على جسد الإمام، فاستيقظ من نومه، وقد شفي تماماً بإذن الله تعالى[23]. يصف الإمام البوصيري في هذه القصيدة الشعبية صفات النبي ومكانته الرفيعة وشفاعته ومكانته الفريدة بين الأنبياء.

محمد سيد الكونين والثقلين

والفريقين من عرب ومن عجم

نبينا الآمر الناهي فلا أحد

أبر في قول لا منه ولا نعم

تأتي المؤلفة ترجمة القصائد الشعبية للعلامة محمد إقبال مُقَدَّمة بأسلوب مذهل يسلط الضوء على جمال اللغة وعمق المفاهيم بطريقة استثنائية:

قوت عشق سے ہر پست کو بالا کر دے

دہر میں اسم محمد سے اجالا کر دے[24]

باستخدام قوة الحب، أرفع كل شيء واجعل اسم محمد معروفًا إلى الأبد.

تقدير النبي والتعامل معه بالاحترام: بالرغم من أن الدكتورة شيمل غير مسلمة، إلا أنها حافظت على موقف غير متحيز نسبيًا، وعبّرت عن مشاعر إيجابية تجاه النبي. تتجلى هذه النظرة الإيجابية في الحالات التالية:

أولًا، لم تكتف الدكتورة شيمل بتصوير رسول الله بشكل إيجابي فقط، بل قامت أيضًا بتسليط الضوء على السمات المميزة لسيرة النبي الكريم. وقد اعترفت بالمكانة الخاصة التي تحتلها تواريخ السيرة النبوية، مشيرة إلى أنها طويلة الأمد وتُعتبر الأكثر شهرة بين مؤسسي جميع الأديان. المعرفة والكشف، والاقتراب من الحضرة الإلهية، والاجتهاد في العبادة للوصول إلى الله، كل ذلك جعل من النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتفوق على غيره من الأنبياء "إنّ الأنبياء السابقين جميعاً لم يكونوا إلاّ مظاهر جزئية لنور محمد التي أصبحت شائعة جداً في الاتجاهات الصوفية بتأثير ابن عربي ويتغنّى جامي وهو نصيرٌ كبير لهذه الفكرة شعرياً بعظمة محمد مقارنةً بالأنبياء الآخرين، بينما مسَّ سليمان عرشَ ملكة سبأ بيده ومسَّتْ قدمُ النبي ذروة العرش، وخدمه جبريل وكما خدم الهُدهُد سُليمان"[25].

ثانياً. قدمت الدكتورة شيمل صورة ثاقبة لكيفية رؤية المسلمين للرسول الكريم وتأثيره العميق على حياتهم. ووصفته بأنه قدوة ونموذج للمجتمع الإسلامي، مبينة كيف يسعى المسلمون جاهدين لتقليده في جميع جوانب حياتهم. وأبرزت الضوء على الطريقة التي طور بها الصوفيون عقيدة "نور محمد" البدائية، وكيف قد نسبوا له مكانة كونية تقريبًا وأدوار المثل في سلسلة الأنبياء الطويلة.

انتقاد الغرب: أحد الجوانب المثيرة للإعجاب في عمل السيدة شيمل هو فحصها للسلوك الخاطئ للغرب وتحيزاتهم فيما يتعلق بشخصية النبي على الرغم من خلفيتها المسيحية والغربية. وتسلط الضوء على النواقص التي تلاحظها في الأدب الغربي فيما يتعلق بسيرة الرسول، عدة أمثلة على ذلك موضحة أدناه:

أولاً: في الفقرة التالية، تؤكد أن الشخصية النبيلة للنبي كانت مشوهة على نطاق واسع في الأدب الغربي في أوائل العصور الحديثة. وأعربت عن أن العالم الغربي قد ألقى

تقريبًا كل حكم سلبي يمكن تصوره على الرجل الذي بدأ واحدة من أنجح الحركات الدينية على وجه الأرض.

ثانيا: وتشير الدكتوراه شيمل إلى أنه خلال العصور ما قبل الحديثة، تم توجيه ادعاءات مختلفة ضد شخصية النبي، وفي العصور المظلمة، عندما لم يتمكن غالبية الغربيين من الوصول إلى الكتب الإسلامية الأصلية الكلاسيكية حول السيرة النبوية، تكاثرت هذه الادعاءات التي لا أساس لها من الصحة. وحتى مع تزايد المعرفة بالإسلام في أوروبا، وتوافر الوصول إلى المصادر العربية الأصلية في العصر الحديث، ظل الأدب الغربي حول سيرة النبي ملوثًا بالتحيز.

ثالثا: وبالنظر إلى الهيمنة العالمية للمسيحية والفتوحات التاريخية التي قام بها أصحاب النبي، تشير السيدة شيمل إلى أن هزيمة العديد من الدول المسيحية على يد المسلمين أدت إلى الاستياء بين المسيحيين الغربيين. وقد أدى هذا الاستياء إلى تغذية الدعاية السلبية ضد الرسول، حيث أنشأ ارتباكا حول شخصيته وسوء فهم دوره[26].

تفاصيل وافية: يتميز هذا الكتاب بمجموعة الملاحظات التفصيلية والمفيدة للغاية المصحوبة ببيليوغرافية موسعة، وملحق بأسماء النبي (تسعة وتسعون اسما)، وهذه الأسماء الكريمة مأخوذة من نسخة فلوجل الباحث الألماني لدراسة القرآن الكريم. هناك كل هذه العناصر المفيدة تزيد من قيمة الكتاب. في الفهرس من أسماء الأعلام هناك العديد من الإدخالات تحت كلمة "محمد" والتي تشكل في حد ذاتها علامة مؤشر مفيد للجوانب والخصائص المختلفة لشخصيته مثل معجزاته وعائلته ورحلته السماوية ولباسه وجمال جسده وجمال روحه وحبه للأطفال والحيوانات وغرها19.

نواقص رئيسية في الكتاب: بالرغم من الميزات العديدة التي يقدمها هذا الكتاب، إلا أنه، كأي أعمال للمستشرقين، يتسم ببعض النواقص. يُعترف بأن الإنسان لا يخلو من الخطأ، وفي هذا السياق، ارتكبت السيدة شيمل عدة أخطاء بسبب إنسانيتها، على سبيل المثال، اعتمدت على تقاليد ملفقة وضعيفة، وقدّمت مفاهيم غير دقيقة، واستخدمت مصطلحات أجنبية غير مألوفة، كما اعتمدت على ترقيم الآيات القرآنية بواسطة المستشرق الألماني فلوجل، وتفضلت المصادر الثانوية: الإنجليزية والألمانية على المصادر الأولية العربية[27].

الخاتمة: في النهاية، يُمكننا القول إن المستشرقين الألمان لعبوا دوراً بارزاً في إثراء أدب السيرة النبوية، حيث ساهموا بكتابة مقالات وتأليف عدة مؤلفات، منها "وأن محمدا

رسول الله" لآنا ماري شيمل. تسلط المؤلفة في كتابها الضوء على أهمية النبي كمحور رمزي للتقوى الشعبية وللدين الإسلامي، وتتناول فيه جوانب متعددة من تعظيم شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وتبجيله في إطار الدين الإسلامي، وقد ساعد عملها على تعزيز فهم الإسلام في الغرب. ويتميز كتابها بأسلوب بسيط وسهل، مما يجعله مفهومًا للقارئ العادي، يسهم هذا الأسلوب في نقل فهم عميق للجوانب المهمة حول شخصية النبي إلى الجمهور في الشرق والغرب. الكتاب يتسم بتصويره الجميل ويمتلئ بالمعرفة والإثارة، وقراءته ستكون ذات فائدة للقراء المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، حيث لا يحتوي على أي مواد غير أخلاقية. ويسهم في تعزيز الحب والاحترام المتبادل.

الهوامش

[1] Das Leben Mohammed's nach Mohammed Ibn Ishak; bearbeitet von Abd el- Malik Ibn Hischam, Bd.! Von Mohammed's Geburt bis zum Feldzug gegen die Banu Sulaim; and 2: Feldzug von Swik is zum Tode Mohammed's. Stuttgart, Verlag der J. Metzer' schen Buchhandlung, 1864.

[2] محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار المعروف بابن اسحاق (80-151ه)، وهو أوّل من ألّف في السيرة.

[3] بدوي، عبد الرحمن. **موسوعة المستشرقين**، ط3. بيروت: دار العلم للملايين، 1993م، ص: 390.

[4] فيشر، أوغست. "محمد واحمد اسمان للنبي العربي"، ليبتسك، عند الناشر Hirzel المجلد رقم 42، الكراسة 3، 1932م.

[5] J. Horovitz. "The Earliest Biographies of the Prophet and Their Authors" translated by Marmaduke Pickthall, ***Islamic Culture,*** Vol. 1, 1927, P: 535-559.

[6] العبادي، صادق. "المستشرقون والإسلام" **مجلة الفيصل**، ع322، 1424هـ، ص: 53-54.

[7] Ibn Ishaq. ***Das Leben des Propheten aus dem Arabischen übertragen und Bearbeitet von Gernot Rotter***. Horst Erdmann Verlag, Tübingen und Basel, 1976, P: 288.

[8] Konzelmann, Gerhard. ***Mohammed. Allahs Prophet und Feldherr***. Luebbe Verlag, 1981.

[9] العقيقي، نجيب. **المستشرقون، ط3.** ج2، القاهرة: دار المعارف، 1964م، ص: 798.

[10] J. Fuck. "Die Originalitat des arabischen Propheten", ***Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft,*** Vol, 90, P: 1936.

[11] ألويس سبرينغر: لين وتعاليم محمد. وفقا لمصادر غير مستخدمة إلى حد كبير في السابق. حرره أ. سبرينغر، ط2. برلين: 1861م، (A. Effert & Nicolaische Verlagsbuchhandlung L. Lindtner)

[12] بوفلاقة، سعيد. "الاستشراق الألماني وأثره في الثقافة العربية آنا ماري شيمل أنموذجاً"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، 2011م، ع73، ص: 68-69.

[13] Waghmar, Burzine K. "Obituary: Professor Annemarie Schimmel" ***Journal of the Royal Asiatic Society***, Vol: 13, No: 3, 2003, pp. 378.

[14] البنا،رجب. **المنصفون للإسلام في الغرب.** القاهرة: دار المعارف، 2005م، ص: 111.

[15] المشهدان، ياسر. "الهند الإسلامية من الفتح وحتى نهاية عصر السلطنة في دراسات المستشرقين مع التركيز على جهود المستشرقة آنا ماري شيمل أنموذجاً"، **مجلة التربية والعلم للعلوم الإنسانية والتربوية**، جامعة الموصل، كلية التربية، مجلد 17، 2010م، ع 2، ص: 24.

[16] Schimmel, Annemarie***. Und Muhammad ist sein Prophet: Die Verehrung des Propheten in der islamischen Frömmigkeit.*** Diedrichs Verlag, 1981.

[17] يماني، الشيخ أحمد زكي. مجلة البريد الإسلامي العدد الصادر في 25/ 6/ 1963.، ويرى الكاتب أنها قد أسلمت ولكنها كانت تخفي إسلامها.

[18] جريدة عكاظ، ع10961، 1417ه.

[19] الظالمي، حامد ناصر. "المستشرقة الألمانية وكتابها وأن محمدا رسول الله"، **دراسات استشراقية**، ع5، 2015م، ص: 31-32.

[20] شيمل، آنا ماري. **وأن محمداً رسول الله.** (ترجمة: عيسى علي العاكوب)، دمشق: دار ننينوى، 2017م. ص: 115.

[21] Schimmel, Annemarie. ***And Muhammad is his messenger.*** Lahore: Vanguard Books Ltd, 1987, P: 7.

[22] شيمل، آنا ماري. **وأن محمداً رسول الله.** (ترجمة: عيسى علي العاكوب)، دمشق: دار ننينوى، 2017م، ص: 66.

[23] الشريف، أحمد إبراهيم. "المولود النبوي...محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم"، **اليوم السابع**، تاريخ النشر: 27 سبتمبر، 2024م، من الموقع: https: //www.youm7.com

[24] Schimmel, Annemarie. ***And Muhammad is his messenger.*** Lahore: Vanguard Books Ltd, 1987, P: 245.

[25] شيمل، آنا ماري. **وأن محمداً رسول الله.** (ترجمة: عيسى علي العاكوب)، دمشق: دار ننينوى، 2017م. ص: 105.

[26] Ahmad, Saeed. and Misbah ul Hassan. "Critical Study of Dr. Annemarie Schimmel's (And Muhammad Is His Messenger)", ***Webology,*** Vol: 19, 2022, P: 7912-7913.

[27] Ahmad, Saeed. and Misbah ul Hassan. "Critical Study of Dr. Annemarie Schimmel's (And Muhammad Is His Messenger)", ***Webology,*** Vol: 19, 2022, P: 7915-7919.

المصادر والمراجع

- البنا، رجب. **المنصفون للإسلام في الغرب.** القاهرة: دار المعارف، 2005م.
- زقزوق، محمود حمدي. **الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.** القاهرة: دار المعارف، 2008م.
- سنو، عبد الرؤوف. **ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين.** بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، 2007م.
- شيمل، آنا ماري. **وأن محمداً رسول الله.** (ترجمة: عيسى علي العاكوب)، دمشق: دار نينوى، 2017م.
- العقيقي، نجيب. **المستشرقون، ط3.** ج2، القاهرة: دار المعارف، 1964م.
- المنجد، صلاح الدين. **المستشرقون الألمان تراجمهم وما أسهموا في الدراسات العربية، ط1.** بيروت: دار الكتاب الجديد، 1978م.
- الندوي، أبو الحسن علي. **الإسلاميات بين كتابة المستشرقين والباحثين المسلمين، ط3.** بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م.

المجلات والدوريات

- بوفلاقة، سعيد. "الاستشراق الألماني وأثره في الثقافة العربية آنا ماري شيمل أنموذجاً"، **مجلة آفاق الثقافة والتراث**، 2011م، ع73.
- العبادي، صادق. "المستشرقون والإسلام" **مجلة الفيصل**، ع322، 1424هـ.
- فيشر، أوغست. "محمد واحمد اسمان للنبي العربي"، ليبتسك، عند الناشر Hirzel المجلد رقم 42، الكراسة 3، 1932م.
- المشهداني، ياسر. "الهند الإسلامية من الفتح وحتى نهاية عصر السلطنة في دراسات المستشرقين مع التركيز على جهود المستشرقة آنا ماري شيمل أنموذجاً"، **مجلة التربية والعلم للعلوم الإنسانية والتربوية**، جامعة الموصل، كلية التربية، مجلد 17، 2010م، ع 2.

المراجع الأجنبية

- Ahmad, Saeed. and Misbah ul Hassan. "Critical Study of Dr. Annemarie Schimmel's (And Muhammad Is His Messenger)", ***Webology,*** Vol: 19, 2022.

- Schimmel, Annemarie. ***And Muhammad is his messenger***. Lahore: Vanguard Books Ltd, 1987.
- Suzanne L. Marchand. ***German Orientalism in the Age of Empire: Religion Race and Scholarship.*** UK: Cambridge University Press, 2010.

الدراسات اللغوية والنقدية

هل "السِّوَاكُ" لفظ مذكّر أم مؤنّث؟

د. أورنك زيب الأعظمي

البروفيسور غلام أحمد الحريري، وما له من خدمات في نقل الكتب العربية المهمة إلى اللغة الأردية

د. محمد قاسم العادل ود. محمد عبيد الله محي الدين

جمالية البناء الفني في كتابة الرواية عند واسيني الأعرج

د. مسعود عالم

مشكلات تعليم وتعلم اللغة العربية في الهند سبل تحديدها والتغلب عليها

د. عائشة شهناز فاطمة

الترجمة الآلية الإحصائية: تحديات وآفاق

د. كاشف جمال

موسيقية الإبداع النقدي في الكتاب "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية" دراسة تحليلية

نسرين مندول

هل "السِّوَاكُ" لفظ مذكّر أم مؤنّث؟

د. أورنك زيب الأعظمي*
azebazmi@gmail.com

ملخص البحث: *من الألفاظ العربية التي أغفلها أصحابُ كتب المذكر والمؤنث واعتنى بها اللغويّون والمعجميّون لفظُ "السِّواك"؛ فبحثت عنه في الكتب المتداولة عن المذكر والمؤنث ولكن لم أجده وهي صامتة عنه إذ وجدتهم ينطقون عن ألفاظ عربية ليست معروفة بل هي من غرائب اللغة ولا يستخدمها الكتّاب العرب إلا قليلًا نادرًا.*

ففي الصفحات التالية المعدودات أحاول أنْ أتناول هذا اللفظ بالدراسة بشكل موجز وأفتح المجال للباحثين أنْ يزيدوا فيها إذا شاءوا. وأقبلُ كلَّ زيادة بنّاءة تبلغني من قبل حضراتهم.

السّواك لغة: السِّوَاكُ (بكسر السين): ما تنظّف به الأسنان. وكثر ذكره في كلام العرب فقال سلامة بن جندل:

وعندنا قينةٌ بيضاءُ ناعمةٌ	مثلُ المهاة، من الحُور الخراعيب
تجُري السواكَ على غُرٍّ مُفَلّجةٍ	لم يغذُها دَنَسٌ تحت الجلابيب[1]

وقال عمرو بن قميئة:

تجُري السواكَ على بارد	يحُال السَيالَ وليس السيالا[2]

وقال ذو الرمة:

وتجلو بفرع من أراكٍ كأنه	من العنبر الهنديّ والمسك يصبح[3]

وقال أعشى قيس:

تجري السواكَ بالبنان على	ألمى كأطراف السيال رتل[4]

وقال جرير:

تجري السواك على أغرّ كأنه	بَرَدٌ تحدَّرَ من متون غمام[5]

وقال ابن ميادة:

تجري السواكَ على أغرَّ مفلّج	عذبِ المذاقة طيّبِ الأرواح[6]

* مدير تحرير "مجلة الهند" وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

وكانوا يتّخذون السواكَ من البشام والأراك والضرو وغيرها فقال الأصمعي: "تُتخذُ المساويك من البَشام والأراك والضرو: وهو شجر حبّة خضراء، والعُتُم: الزيتون، والإسحِل أيضًا"[7].

وهو لفظ مفرد وجمعه سُوْكٌ وأسْوِكَةٌ كما قال عبد الرحمن بن حسّان الأنصاري:

أغرُّ الثنايا أحمُّ اللِثا	تِ تمنحه سوكَ الإسحل[8]

وذكر الزبيدي جمع المِسْوَاكَ: مَسَاوِيْكُ.[9] فقال امرؤ القيس:

وتعطو برخصٍ غير شثنٍ كأنه	أساريع ظبي أو مساويك إسحل[10]

وقال بشّار بن برد:

يا أطيبَ الناس ريقًا غيرَ مُختَبَرٍ	إلا شهادةَ أطرافِ المساويك[11]

وكذا صاغوا منه الفعلَ فقال عدي بن الرقاع:

وكأنّ طعمَ الزنجبيل ولذّةً	صهباءَ سَاكَ بها المُسحَّرُ فاها[12]

وقالت عائشة (رضي الله عنها): "كان رسول الله ﷺ لا يرقد من ليل أو نهار فيستيقظ إلا تَسَوَّكَ قبل أنْ يتوضّأ"[13].

وقال ابن عباس (رضي الله عنه): "كان رسول الله ﷺ يصلّي بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف يَسْتَاكُ"[14].

فسَاكَ وتَسَوَّكَ واسْتَاكَ كلها يعني: أجرى السواكَ على الأسنان.

آراء اللغويين والمعجميّين عن تذكير "السواك" وتأنيثه: اختلف العلماء المعجميّون عن تذكير هذا اللفظ وتأنيثه فقال الخليل الفراهيدي (175هـ): "والسِّواك يؤنث"[15].

واستدلّ بالحديث: "السّواك مطهرة للفم مرضاة للرب"[16].

وقال الليث (190هـ): "وقيل: السّواك تؤنثه العرب"[17].

وقال الأزهري (370هـ): "والسواك مذكّر"[18].

وهناك علماء قالوا بالتذكير والتأنيث كليهما فقال ابن دريد (321هـ): "والمسواك يذكّر ويؤنث، والتذكير أعلى"[19].

وقال ابن منظور (711هـ): "المسواك يذكّر ويؤنث"[20].

وقال الزبيدي (1205هـ): "والسواك يؤنث ويذكّر، وظاهره أنّ التأنيث أكثر"[21].

وقال العلامة سعيد الشرتوتي (1330هـ): "السواك مؤنث ويذكّر (ج) سُوُك"[22].

ففي القائلين بكلا الجنسين يفضّل ابن دريد وابن منظور التذكير بينما يفضّل الزبيدي والشرتوتي التأنيث.

ورود "السواك" لدى الشعراء العرب: وقبل أنْ أحلّل دليل الخليل الفراهيدي أودّ أنْ أتتبع كلام العرب فنعرفَ هل ذكّروه أم أنّثوه فإنّ كلامهم هو الشاهد فقال المرقش الأكبر:

فناولتُها المسواكَ والقلبُ خائف،	وقلتُ لها: يا هند أهلكتِنا وجدا
فمدّتْ يدًا في حسنِ كلِّ تناوُلًا	إليهِ وقالت: ما أرى مثل ذا يُهدَى[23]

وقال مروان بن أبي حفصة:

شفاء الصدى ماءُ المساويك والذي	به الريقُ من من خَمَلٍ يغازلها طَفَلُ
فيا حبّذا ذاك السواكُ وحبّذا	به البرَدُ العذبُ الغريضُ الذي يجلو[24]

وقال الأخطل:

جرى منها السواك على تقي	كأن البرق إذ ضحكت تلألأ[25]

وقال ذو الرمة:

إذا أخذتْ مسواكَها صقلتْ بهِ	ثنايا كنوز الأقحوان المهطّل[26]

وقال محمد بن بشير الخارجي:

وكأنّ طعم سلافةٌ مشمولةٌ	تنصبّ في إثر السواك الأغيد
وترى مدامعها ترقرق مقلتًا	حوراء ترغب عن سواد الإثمد
ماذا إذا برزتْ غداةَ رحيلها	مِ الحسن تحت رقاق تلك الأبرُد[27]

وقال يزيد بن الطثرية:

إذا ورد المسواكُ ريّانَ بالضحى	عوارضَ منها ظلّ يخصره البرَدُ
وألينَ مَنْ مسَّ الرحى بات يلتقي	بمارنه الجاديُّ والعنبرُ الوردُ[28]

وقال الراعي النميري:

إذا مضغتْ مسواكَها عبِقتْ بهِ	سُلافٌ تغالاها التجارُ مزيج
فداءٌ لسعدى كلّ ذاتِ حشيّةٍ	وأخرى سبنتاةُ القيام خَروج[29]

وقال جران العود:

ذهبنَ بمسواكي وقد قلتُ قولةً:	سيوجَدُ هذا عندكنّ ويُعرَف[30]

وقال سراقة البارقي:

أيامَ تبسمُ عن نقيّ لونُه	صاف يُزيّنه سواكُ الإسحل[31]

وقال مهيار الديلمي:

يغتدي مسواكُها ريـ	حانةً غبَّ السواك[32]

وقال العباس بن الأحنف:

فأهدِي سواكًا مسَّ فاكِ فإنه	يسكّن نارًا في جوى القلب تلذَعُ[33]

وقال العباس بن الأحنف:

أرسلتْ باللُبان قد مضغتْه	فوق تفّاحةٍ على ريحان
وبمسواكها الذي اختاره اللـ	ـهُ لفيها من أطيب الأغصان
وكأنّ المسواكَ مسواكُ فوزٍ	أخلصُ النبت في رياض الجنان[34]

وقال الشاعر:

إذا أخذتْ مسواكَها ميّحتْ به	رضابًا كطعم الزنجبيل المُعَسَّل[35]

وقال شاعر آخر:

يخبّرنا المسواكُ عن طيب ثغرها	بما لم يخبّرنا به قطّ ذائقُ[36]

فكلّ هؤلاء الشعراء أوردوه مذكّرًا لا مؤنثًا. وبل أجد الأراك الذي استعملوه لهذا العمل قد ذكّروه أيضًا فقال سويد بن أبي كاهل اليشكري:

حرّةٌ تجلو شتيتًا واضحًا	كشعاع الشمس في الغيم سطَع
صقلتْه بقضيب ناضر	من أراكٍ طيّب حتى نصَع
أبيضَ اللون لذيذًا طعمُه	طيّبَ الريق إذا الريقُ خدَع[37]

وقال يزيد بن الطثرية:

وما أمُّ أحوى الطرّتين خلا لها	أراكٌ بذي الأحناء أجنى وأينعا
غدتْ مِنْ عَليه تنفضُ الطلّ بعدما	رأتْ حاجبَ الشمس استوى فترفّعا[38]

ورود السِّواك مذكّرًا في الأحاديث النبوية: وقد أكثرت الأحاديث النبوية من ذكر السواك وذلك لأنه ينظّف الأسنان ويزيل خلوف الفم فقال النبي ﷺ: "لولا أنْ أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كلّ صلاة"[39].

فنجد الرسول ﷺ يذكّر هذا اللفظ ولا يؤنثه فروى علقمة والأسود أنّ ابن مسعود رضي الله عنه دخل على عتبة أخيه وهو يصلّي على مسواك يرفعه إلى وجهه فأخذه فرمى به ثم قال أوم إيماء ولتكن ركعتك أرفع من سجدتك"[40].

وروى حميد بن هلال قال: قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أتيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومعي رجلان من قومي فانتهينا إليه ومعه مسواك يستاك به فسألاه العمل فقال: "يا أبا موسى ألهذا جئتم؟" قال: قلت: والله يا رسول الله ما لهذا جئت ولا اطلعاني على ما في أنفسهما قال: فرأيته رفع شفته العليا بسواكه وقال: "والله لا نعطيها من طلبها منكم"[41].

وقال محمد ابن كعب إنه سمع أخاه عبد الله بن كعب أنّ أبا أمامة الحارثي حدّثه أنه سمع رسول الله يقول: "لا يقتطع رجل حق امرئ مسلم بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقال رجل من القوم يا رسول الله وإنْ كان شيئًا يسيرًا؟ قال وإنْ كان سواكًا من أراك".[42]

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "وجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذلك اليوم فاضطجع في حجري فدخل عليّ رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر فنظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نظرًا عرفت أنه يريده قلت يا رسول الله أتحبّ أن أعطيك هذا السواك قال نعم قالت فأخذته فألنته ثم أعطيته إياه فاستنّ به ..."[43].

وقالت عائشة: "كان نبي الله ﷺ يستاك فيعطيني السواك لأغسله فأبدأ به فأستاك ثم أغسله وأدفعه إليه"[44].

وقال النبي ﷺ: "أمرتُ بالسواك حتى خشيت أن يكتب عليّ"[45].

هل تاء "المطهرة" للتأنيث؟ وأما دليل الخليل الفراهيدي (السّواك مطهرة للفم مرضاة للرب.) فقد التبست عليه تاء "المطهرة" فوهم أنها للتأنيث بينما هي على زنة (مَفْعَلَةٌ) بمعنى أنه يحمل على الفعل مثل (مجبنة): ما يجمل على الجبن ومجهلة ومبخلة كما قال النبي ﷺ حينما جاءه الحسن والحسين فضمّهما إليه: "إنّ الولد مَبخَلَةٌ مجَبنةٌ"[46]. وجاء في الحديث: "صلةُ الرحم مَثراةٌ في المال مَنسَأة في الأثر"[47]. وكذا جاء في الحديث: "اليمين حِنثٌ أو مَندمَةٌ"[48]. وجاء في حديث عمر رضي الله عنه: "ولا

تُلِثّوا بدار مَعْجِزَة"[49]. أي لا تقيموا بدار يُعجِزُكم فيها الرزق والكسب. وجاء في حديث عليّ رضي الله عنه: "اتّقوا الصُبْحةَ فإنها مجْفَرَةٌ ومَنْتَنَةٌ للجرم"[50].

ومن الأمثال الطبية السائرة "السفر مَصحّة" أي ما يحمل على الصحة[51]. وكذا "المال مَنبهةٌ للكريم، ويُستغنَى به عن اللئيم" أي مُشعر بقدر ومُعِل له[52]. وقال تأبط شرًا:

عاذلتي إنّ بعض اللوم مَعنَفة	وهل متاعٌ وإن أبقيتُه باق[53]

فالمعنفة: سبب للعنف.

وقال الفرزدق:

فقلتُ: إنّ الحَواريّاتِ مَعْطَبَةٌ،	إذا تفتّلنَ من بين الجلابيب[54]

معتبة: مهلكة.

ومنه "أرضٌ مزلقة": لا يثب عليها قَدَمٌ[55]. و"شرابٌ مَطيبة للنفس" أي تطيب النفس إذا شربتَه وطعام مطيبة للنفس أي تطيب عليه وبه[56].

فالمَفْعَلَةُ زنة تعني الشيء الذي يحمل على أمر سواء كان مذكّرًا أم مؤنثًا ومنه المطهرة الذي استدلّ به الخليل رحمه الله.

الخاتمة: ظهر مما سردناه من الشواهد أنّ "السواك" لفظٌ عرَفته العرب منذ الجاهلية وهو مفرد وجمعه سُوكٌ وأسوكةٌ و(مسواك جمعه: مَسَاوِيْكُ). اتّخذته العرب من البَشام والأراك والضرو والعُتُم والإسحِل، وأجروه لتنظيف الأسنان ولإزالة خلوف الفم. ولمّا جاء الإسلام أمر الرسول ﷺ أمّته بالسواك كما أكثر من إجرائه بعد كلّ يقظة من ليل أو نهار. وهو لفظ مذكّر ليس بمؤنث وأما الفعل منه فسَاكَ وتَسَوَّكَ واسْتَاكَ. وقد أورد له شعراء الجاهلية فعل "أجْرَى السواكَ".

ونحمد الله سبحانه على أنه وفّقنا لخدمة اللغة العربية التي هي لغة كتابه المبين ورسوله الأمين.

الهوامش

[1] ديوانه، ص: 226.

[2] ديوانه، ص: 112.

[3] ديوانه، ص: 45.
[4] جمهرة اللغة: رتل.
[5] ديوانه، ص: 452.
[6] شعره، ص: 99.
[7] ديوان جران العود، ص: 57، وقال النابغة الجعدي:

تستنّ بالضرو من براقش أو	هيلانَ أو ناضر من العُتُم

ديوانه، ص: 158.
[8] لسان العرب وتاج العروس: سوك.
[9] تاج العروس: سوك.
[10] ديوانه، ص: 116.
[11] الحماسة الشجرية، 2/ 672.
[12] لسان العرب: سوك.
[13] سنن أبي داود، رقم الحديث: 57.
[14] ابن ماجه والحاكم وصحّحه الألباني في حديث الترغيب، رقم الحديث: 208.
[15] كتاب العين: سوك.
[16] كنزل العمّال، رقم الحديث: 26156.
[17] تاج العروس: سوك.
[18] تاج العروس: سوك.
[19] جمهرة اللغة، 3/ 48.
[20] لسان العرب: سوك.
[21] تاج العروس: سوك.
[22] أقرب الموارد: سوك.
[23] ديوان المرقشين، ص: 49.
[24] ديوانه، ص: 90.
[25] ديوانه، ص: 226.
[26] ديوان الهذليين، 2/ 5.
[27] الأغاني، 16/ 73، ديوانه، ص: 12.
[28] شعره، ص: 66.
[29] ديوانه، ص: 53.
[30] ديوانه، ص: 18.
[31] ديوانه، ص: 57، نقيّ: بارق.
[32] ديوانه، 2/ 368 وفي موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (7/ 168) يروى "بعد" مكان "غب".
[33] ديوانه، ص: 180.
[34] ديوانه، ص 262

35 تاج العروس: سوك.
36 كتاب الأشباه والنظائر للخالديين، 2/ 62.
37 ديوان المفضليات، ص: 191.
38 شعره، ص: 46.
39 صحيح البخاري، رقم الحديث: 887.
40 مصنف عبد الرزاق، رقم الحديث: 4144.
41 مسند أبي داود الطيالسي، رقم الحديث: 533.
42 سنن ابن ماجة، رقم الحديث: 2324.
43 سنن النسائي الكبرى، رقم الحديث: 7102.
44 سنن أبي داود، رقم الحديث: 52.
45 صحيح الألباني، رقم الحديث: 1556.
46 صحيح ابن ماجه، رقم الحديث: 3666.
47 لسان العرب: نسأ.
48 لسان العرب: حنث.
49 لسان العرب: لثث.
50 لسان العرب: جرم.
51 أساس البلاغة: صحّ.
52 لسان العرب: نبه.
53 ديوان المفضليات، ص: 30.
54 ديوانه، ص 25، وفي لسان العرب (حور): "من تحت الجلابيب".
55 لسان العرب: زلق.
56 لسان العرب: طيب.

المصادر والمراجع

- ابن الأحنف، العباس. **الديوان.** شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1954م.
- ابن جندل، سلامة. **الديوان، ط2.** صنعة: محمد بن الحسن الأحول، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
- ابن الشجري. **الحماسة الشجرية.** تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحميصي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1970م.
- ابن ميادة. ديوان الرماح ابن ميادة. جمع وتحقيق: د. حنا جميل حداد، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1982م.
- أبو حفصة، مروان بن. **الديوان، ط3.** جمع وتحقيق وتقديم: د. حسين عطوان، دار المعارف، 1982م.

- الأخطل. **الديوان، ط2.** شرح: مهدي محمّد ناصر الدين، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.
- الأصغر، سراقة البارقي. **الديوان، ط1.** تحقيق وشرح: حسين نصّار، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947م. الأصفهاني، أبو الفرج. **كتاب الأغاني، ط3.** تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عبّاس، بيروت: دار صادر، 2008م.
- الإفريقي، ابن منظور. **لسان العرب.** بيروت: دار صادر، د.ت.
- امرئ القيس، **الديوان.** ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.
- بشّار بن برد. **الديوان.** القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1996م.
- بن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن. **كتاب جمهرة اللغة، ط1.** تحقيق وتقديم: الدكتور رمزي منير بعلبكي، بيروت: دار العلم للملايين، نوفمبر 1987م.
- بن قَمِيْئَة، عمرو. **الديوان.** تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية: معهد المخطوطات العربية، 1965م.
- تأبط شرًا وأخباره، **الديوان، ط1.** جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، 1984م.
- جرير. **الديوان.** بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1986م.
- الجعدي، النابغة. **الديوان، ط1.** جمع وتحقيق: د. واضح الصمد، بيروت: دار صادر، 1998م.
- الخالديين. كتاب الأشباه والنظائر، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، د.ت.
- ذي الرمة. **الديوان، ط1.** تقديم وشرح: أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
- الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني. **تاج العروس من جواهر القاموس.** تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1965م.
- الزمخشري، أبو القاسم. **أساس البلاغة، ط1.** تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
- الشرتوني، العلامة سعيد الخوري. **أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد.** إيران: دار الأسوة للطباعة والنشر، 1374هـ.
- الضبي المفضل. **ديوان المفضليات، ط6.** تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف.
- الفراهيدي، الخليل. **كتاب العين، ط1.** ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.
- الفرزدق. **الديوان، ط1.** شرح الأستاذ علي فاعور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
- المرقشين. **الديوان، ط1.** تحقيق: كارين صادر، بيروت: دار صادر، 1998م.
- النميري، جران العود. **الديوان، ط3.** القاهرة: دار الكتب المصرية، 2000م.

- النميري، الراعي. **الديوان، ط1**. بتحقيق: واضح الصمد، بيروت: دار الجيل، 1995م.
- الهذليين. **الديوان.** الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، بيروت: طبعة دار الكتب، 1996م.

البروفيسور غلام أحمد الحريري، وما له من خدمات في نقل الكتب العربية المهمة إلى اللغة الأردية

د. محمد قاسم العادل*
qasim4arabic@gmail.com
د. محمد عبيد الله محي الدين
obaidullahqasmi@gmail.com

ملخص البحث: *لا يخفى على الباحثين أنه قد دخل في اللغة العربية من التطور والتوسع ما جعلها لغة عالمية ذات شأن كبير، حتى لدى غير المسلمين الذين يحرصون كل الحرص على تعلمها وإتقانها، وأن العوامل السياسية لتوطيد العلاقات بين الدول العربية وغيرها منحت اللغة العربية اتساعا باهرا وتطورا كبيرا، وجعلتها تساير العالم المعاصر جنبا إلى جنب في جميع المجالات الدولية والمحافل العالمية[1]. والمعلوم أيضا أن الهند شبهُ قارة تدفقت في رُبوعها علوم دينية وعقلية. ولها تاريخ عريق ممتد مع اللغة العربية، ليس في تلقيها وتعلمها فحسب، بل في الحفاظ عليها ونشرها، وتحقيق تراثها والعناية بعلومها، حتى نَبَه في شبه القارة هذا علماء صاروا أساتذة للغة العربية يشار إليهم بالبنان ويعدون إذا عُد جهابذتها والأعلام. ومنهم العالم الكبير المترجم الموفق القدير البروفيسور غلام أحمد الحريري (1920- 1990م) الذي قام بتأليف وترجمة كتب قيمة عربية إلى اللغة الأردية الفصحى لتعميم نفعها وتزويد المكتبات الإسلامية بها، من أمثال "التصوير الفني في القرآن" للأستاذ سيد قطب الشهيد (1906- 1966م) وسمّاه (قرآن کے فني محاسن)، و"مباحث في علوم القرآن" و"مباحث في علوم الحديث" للكاتب اللبناني الدكتور صُبحي الصالح (1926- 1986م) وسمّاهما (علوم الحديث) و(علوم القرآن) على التوالي، و"السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" للدكتور مصطفى السباعي السوريّ (1915- 1964م)، وسمّاه (حديث رسول کا تشريعي مقام)، و"المنتقى" للإمام محمد بن عثمان الذهبي (1274- 1348م)، وهو خلاصة كتاب "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية" لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (1263- 1328م) وسمّاه (المنتقى)، وما إلى ذلك. ونظرا إلى أهمية*

* **الأستاذ المشارك** ورئيس قسم اللغة العربية، كلية ذاكر حسين دلهي (جامعة دلهي) الهند
الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية ذاكر حسين دلهي (جامعة دلهي) الهند،

اللغة العربية ألف الأستاذ الحريري كتابا مهما في تعليم التعبير والمحادثة العربية والأردية، وسمّاه "عربی اردو بول چال"، وهو كتاب في علم النحو والصرف والمحادثة، كما ألف كتابا آخر في تاريخ التفسير وأشهر المفسرين؛ وستناقش هذه الورقة مفهوم الترجمة وخدمات البروفيسور الحريري في ترجمة الكتب العربية المهمة إلى اللغة الأردية وتأليف الكتابين المهمين في التعبير والمحادثة، وفي تاريخ التفسير والمفسرين، إن شاء الله وهو ولي التوفيق.

كلمات مفتاحية: *غلام أحمد الحريري، تاريخِ تفسير ومفسرين، الترجمة، حديث رسول کا تشریعي مقام، عربي اردو بول چال، علوم الحديث، علوم القرآن، قرآن کے فني محاسن، المنتقى*

مفهوم الترجمة: إن الترجمة قد بدأت بالإشارة، ومع مرور الزمن صارت فنا لكون اعتمادها على الأذواق والمشاعر الذاتية نحو اللغة المنقول منها والمنقول إليها، ثم صارت علما؛ وفي عصر العولمة هذا، حينما أصبح العالم قرية، الترجمة تلعب دورا هاما في ترقية العلوم والفنون كلها. وقد وضع المترجمون القواعد والقواميس الدقيقة للترجمة مهما كان قسمها؛ وكذلك كثرت مفاهيم الترجمة ومذاهبها لدى الباحثين عنها والعاملين في مجالها، فيقول صاحب "المنجد في اللغة والأعلام" الأب لويس معلوف (1867- 1946م) عن الترجمة: تَرْجَمَ الكلامَ: فسَّره بلسان آخر، فهو تَرْجُمان وتُرْجُمان ج تَراجِمة وتَرَاجِم، ويقال "تَرْجَمَهُ بالتركية" أي نَقَلَهُ إلى اللسان التركي[2]. ولعل الإمام الجاحظ[3]، (775- 868م) هو أول العلماء العرب الذين ناقشوا الترجمة والمترجمين، فهو يقول في كتابه "الحيوان": "لابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول منها والمنقول إليها حتى يكون منهما سواء وغاية"[4]. ويقول المترجم الخبير المعاصر الأستاذ سيد إحسان الرحمن في كتابه "فنّ الترجمة" نقلا عن جيه. سي. كاتفورد في معنى الترجمة: "الترجمة عملية يتم إجراءها على اللغات، وهي عملية استبدال نص في لغة بنص في لغة أخرى"[5] .

وفي الحديث عن الترجمة ومفهومها يعتبر ما قاله الدكتور جمال عبد الناصر أفضل كلام: "الترجمة علم وفن، علم بمعنى أنها تخضع لمبادئ ومقومات أساسية، ولها مناحٍ واتجاهات مختلفة، تنطلق من أصول ضاربة الجذور في التاريخ، وفن بمعنى أنها ذات

بعد إمتاعي إبداعي، بخاصة فيما يتعلق بترجمة الأجناس الأدبية بشكل عام، والشعر بشكل خاص، وإن كانت لترجمة الشعر معاناتها اللذيذة. أما التعريب فهو عملية إكلينيكية بُعدها النفعي يفوق بكثير بعدها الإبداعي الإمتاعي لما تنطوي عليه من أهمية بالغة في نقل المعارف والتقنية الحديثة في عصر الأقمار الصناعية هذا"[6] .

إن القرن الواحد والعشرين قد شاهد تطورا باهرا في ترجمة الكتب العربية إلى اللغة الأردية وبالعكس. وتم تأسيس عدد من المراكز والمؤسسات في الهند والدول العربية من أمثال هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة في الإمارات العربية المتحدة، ومؤسسة الفكر العربي في لبنان، والمركز الثقافي العربي الهندي بالجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي[7]، الذي قام بترجمة أكثر من 20 كتابا للكتّاب والأدباء الهنود الكبار؛ وكذلك تمت ترجمة بعض أعمال الكتاب والأدباء العرب إلى اللغات الهندية المحلية؛ وقد أشار إلى ذلك الدكتور آفتاب أحمد: "وانطلاقاً من أهمية الترجمة باعتبارها جسراً يربط بين الثقافات ووسيلة اتصال بين الأمم، بدأ المركز الثقافي العربي الهندي بالتعاون مع هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة مشروعا للترجمة من اللغة الهندية إلى العربية وعكسها. ونجح هذا المشروع نجاحاً باهراً بترجمة أكثر من عشرين مؤلفة هندية إلى اللغة العربية، وجزءاً لا بأس به من الأدب العربي إلى اللغة الأرديّة والهندية"[8]. وكذلك تقوم مؤسسة الفكر العربي بترجمة ونشر الكتب الأجنبية في اللغة العربية تحت شعار حضارة واحدة. وقد قامت المؤسسة بترجمة ونشر عدد من الكتب الهندية المهمة بما فيها كتاب "أبو الكلام آزاد وتشكل الأمة الهندية" (رضوان قيصر) و"أثر الإسلام في الثقافة الهندية" (تاراتشاند) و"تاريخ حضارة الهند" (محمد مجيب) و"أجنحة من النار" (اي بي جي عبد الكلام) و"تحت ظلال السيوف" (ايم جي أكبر) و"صور مسلمي الهند" (مشير الحسن) و"اختراع الهند" (شاشي تهرور) و"عصر الهند" (بون كي ورما) و"في أرض قديمة" (سونيل خلناني) و"أحفاد إبراهيم في حالة الحرب" (تلميذ أحمد) و"التراث الهندي" (همايون كبير) و"مواطن الحداثة" (ديبيش تشكرورتي) و"حصار الذكريات" (مجموعة القصص الهندية). وأما الكتب العربية التي ترجمت إلى اللغة الأرديّة والهندية، فهي تشمل "باص القيامة" لروضة البلوشي و"المرأة" لمنى عبد القادر

و"منينة" لمريم الناصر و"مريم والحظ السعيد" لمريم الساعدي و"ضوء يذهب للنوم" لإبتسام المعلى و"وجه أرملة فاتنة" لفاطمة المزروع وغيرها[9].

وفي شبه القارة الهندية كثير من الباحثين والمترجمين يهتمون بترجمة الكتب العربية المهمة إلى اللغات المحلية، وخاصة الأردية؛ فالبروفيسور الدكتور شمس كمال أنجم[10]، وهو أديب وشاعر ومترجم بارع قام بترجمة كتب عربية مهمة عديدة إلى اللغة الأردية ما أدى إلى تعريف الأدب العربي وأصحابه إلى أصحاب اللغة الأردية، وهي كتاب"جديد عربي ادب" ترجمة كتاب "الأدب العربي المعاصر في مصر" للدكتور شوقي ضيف (1910- 2005م)، و"عربي نثر كا فني ارتقاء" وهو ترجمة كتاب "الفن ومذاهبه في النثر العربي" للدكتور شوقي ضيف (1910- 2005م) أيضا. وكذلك نقل كتاب "تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري" للأستاذ الدكتور طه أحمد إبراهيم بعنوان "عربي تنقيد كا سفر"، وكتاب "تاريخ الأدب العربي" للأستاذ أحمد أمين (1886- 1954م) وأحمد الإسكندري (1875- 1938م) بعنوان "تاريخِ أدبِ عربي"، وكتاب "أسئلة بيانية في القرآن الكريم" للدكتور فاضل صالح السامرائي (1933م) بعنوان "بلاغت قرآن كريم"، وغيرها، ومن خلالها قام المترجم بإثراء المكتبة الأردية وتعريف أدباء العربية وشعراءها إلى أدباء وشعراء الأردية؛ وكذلك البروفيسور غلام أحمد الحريري (1920- 1990م) يحتل مكانة عالية بين هؤلاء المترجمين الموفقين.

نبذة عن حياة الأستاذ غلام أحمد الحريري (1920- 1990م)

هو الشيخ غلام أحمد الحريري بن التشودري حسين بخش، وتفتح زهر حياته في غرة سبتمبر عام 1920م بقرية "طالب فور" بمديرية "غورداس فور" بولاية "بنجاب"[11] في أسرة دينية متميزة بكرامتها وحسن سمعتها. وتلقى الشيخ الحريري دراسته الابتدائية من كُتّاب قريته، ثم التحق بالمدرسة الرسمية، وحصل على شهادة الثانوية المتوسطة عام 1932م. وإلى جانب دراسة العلوم العصرية في المدرسة الحكومية، حداه الولوع بالعلوم الإسلامية إلى العالم الرباني الشيخ عبد الحق إمام مسجد البلدة، لارتواء غلته من معينه العذب، وقرأ عليه وعلى الشيخ الحافظ عبد الحميد الكفور تهلوي الكتب المهمة من منهج "درسِ نظامي"، ثم تلمذ على المحدث الجليل الشيخ عبدالله

الويروواوي وتخرج على يده في الدراسات الإسلامية، ثم التحق الشيخ الحريري بجامعة بنجاب، وحصل على شهادة المولوي، ثم شهادة الفاضل، ثم شهادة الأديب الفاضل بدرجة ممتازة في عام 1945م.

ولما استقلت شبه القارة الهندية وانقسمت إلى جمهورية الهند وجمهورية باكستان الإسلامية، بدأ المسلمون في الهند عامة وفي ولاية بنجاب خاصة يهاجرون إلى باكستان، فشدّ الحريري رحاله وهاجر إليها، واستقرّ بمدينة "فيصل آباد". وحصل على شهادة الماجستير باللغة العربية في جامعة بنجاب عام 1954م. ثم اشتغل الحريري محاضرا في الكلية الإسلامية الشهيرة بـ"فيصل آباد"، وكان قلبه يتحرّق حزناً وأسى على ما صار إليه المسلمون من حالة ثقافية يرثى لها، فإلى جانب اشتغاله في الكلية، بدأ يدرِّس في أوقاته الفارغة بعض الكتب الإسلامية في المدارس الإسلامية الأهلية، وذلك لرغبته المتزايدة في العلوم الإسلامية السمحة أيضا.

وفي أيام تدريسه في المدارس الإسلامية الأهلية شعر الأستاذ الحريري بالحاجة الماسة إلى نقل بعض أمهات كتب العلوم الإسلامية إلى اللغة الأردية الفصحى ليسهل لطلاب العلوم الإسلامية الانتهالُ من معين التراث العربي القديم، فمال الشيخ إلى التأليف والترجمة في عام 1960م، وأصبح مترجما موفقا ممتازا، فكانت الكتب المترجمة تبدو كأنها ألفت باللغة الأردية في أصولها، وكان الشيخ قد جعل الدراسة والتعليم شغله الشاغل فقضى حياته كلها مشتغلا بالدراسة والتدريس، والترجمة والتأليف، ومازال يخدم الثقافة الإسلامية واللغة والأدب حتى لبى نداء ربه راضيا محتسبا في اليوم السابع من شهر مايو عام 1990م[12]. أغدق الله على قبره شآبيب الرحمة والرضوان.

كُتُب غلام أحمد الحريري المترجمة: كان الأستاذ غلام أحمد الحريري قد جُبِل على العلم والفكر، مطبوعا بالبحث والدراسة، فأكب على ترجمة المؤلفات المهمة في التفسير والحديث والفقه والتأريخ والسيَر والعلوم الأخرى، وقام بنشرها وتوزيعها من أقصى الدنيا إلى أقصاها، حتى بلغ العددُ إلى عشرات، فازدانت بها مكتبات العالم الإسلامي، وتهافتَ القُراء عليها كالفراش على النور، واستفادوا منها استفادة كثيرة. والحَقُّ أن العمل الجاد المدروس، يجد صداه في النفوس. ولا تزال تلك المؤلفات المترجمة ذخائر فكرية عظيمة ليس لها مثيل ولا بديل.

ومن أهم كتبه المترجمة: (1) قرآن کے فني محاسن (ترجمة كتاب "التصوير الفني في القرآن" لسيد قطب الشهيد المصري (1906- 1966م))، **(2)** علوم القرآن (ترجمة كتاب "مباحث في علوم الحديث" للدكتور صُبحي الصالح اللبناني (1926- 1986م))، **(3)** علوم الحديث (ترجمة كتاب "مباحث في علوم الحديث" للدكتور صُبحي الصالح اللبناني (1926- 1986م))، **(4)** حديث رسول کا تشريعي مقام (ترجمة كتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" للدكتور مصطفى السباعي السوري (1915- 1964م))، **(5)** المنتقى (ترجمة كتاب "المنتقى" لمحمد بن عثمان الذهبي (1274- 1348م))، **(6)** حيات حضرت إمام أبو حنيفة (ترجمة كتاب "أبو حنيفة: حياته وعصره - آراؤه وفقهه" لمحمد أبو زهرة المصري (1898- 1974م))، **(7)** حياتِ إمام ابن حزم (ترجمة كتاب "ابن حزم: حياته وعصره -آراؤه وفقهه" لمحمد أبي زهرة المصري (1898- 1974م))، **(8)** حياتِ إمام ابن القيم (ترجمة كتاب "ابن القيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده" للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد السعودي (1946- 2008م))، **(9)** إسلامي مذاهب (ترجمة كتاب "تاريخ المذاهب الإسلامية" لمحمد أبي زهرة المصري (1898- 1974م)).

كتاب "**قرآن کے فني محاسن**" وهو ترجمة كتاب جليل "التصوير الفني في القرآن" للكاتب المصري الشهير والأديب الألمعي والمفسر العظيم الأستاذ سيد قطب (1906- 1966م)[13]. وهو أروعُ ما كُتِب في الصورة الفنية والحسية في القرآن الكريم. وذكر سيد قطب في مقدمة الكتاب منهجه في التأليف: "لقد بدأت البحث ومرجعي الأول فيه هو المصحف، لأجمع الصور الفنية في القرآن، وأستعرضها، وأبين طريقة التصوير فيها، والتناسق الفني في إخراجها، إذ كان همي كله موجهاً إلى الجانب الفني الخالص، دون التعرض للمباحث اللغوية أو الكلامية أو الفقهية أو سواها من مباحث القرآن المطروقة"[14].

وذكر المترجم الشيخ الحريري نبذة عن أهمية الكتاب ومكانته في علوم القرآن، ثم قدم تعريفا موجزا عن صاحب الكتاب بقوله: "هذا الكتاب فريد من نوعه، درس فيه أديبنا المعاصر القرآن الكريم في ضوء العلوم والفنون الأدبية المعاصرة، وإنه قام بدراسة فصاحة وبلاغة القرآن الحكيم المتمثلة في التمثيلات والتشبيهات والاستعارات

القرآنية"[15]. وكذلك تحدث الشيخ الحريري عن الدافع وراء قيامه بترجمة هذا الكتاب في المقدمة: "إن معظم مؤلفات وكتب السيد قطب الشهيد قد. ترجمت إلى اللغة الأردية، ولقيت بالقبول والترحيب، ولكن هذا الكتاب ظل غائبا عن أهل اللغة الأردية لكونه باللغة العربية، فيتشرف العبد الفقير بتقديم هذا الكتاب بعد ترجمته إلى اللغة الأردية، وإنني سعيت بقدر المستطاع أن أوصّل إلى القراء بلغة سلسة ما يريد المؤلف إيصاله"[16].

فقام الأستاذ الحريري بنقل هذا الكتاب القيم إلى اللغة الأردية في أسلوب سهل رشيق. ومن محتويات الكتاب سحر البيان، وفهم القرآن، والتصوير الفني، والتخييل الحسي والتجسيم، والتناسق الفني، والقصة في القرآن، ورسم الشخصيات في القصة، وطريقة القرآن وغيرها. وقامت مكتبة فريد بمدينة "دلهي" بطبع هذا الكتاب أخيرا، محتويا على 360 صفحة[17].

كتاب **"علوم القرآن"** وهو ترجمة كتاب قيم مسمى "مباحث في علوم القرآن" للكاتب اللبناني، العلامة الفقيه، الأديب اللغوي، المفكّر الإسلامي، المجاهد الشهيد الدكتور صُبحي الصالح (1926- 1986م)[18]، وهو صاحب "مباحث في علوم الحديث". وهذا الكتاب يعتبر من أهم كتب المتأخرين في فن علوم القرآن بسبب أسلوبه العلمي السهل والمبسط، حتى يفهمه طلاب هذا الفن بسهولة. والمترجم الموفق الأستاذ غلام أحمد الحريري (1920- 1990م) يوضح سبب ترجمته لهذا الكتاب بعد ذكره للوضع التعليمي والتربوي في الجامعات الإسلامية والمدارس الدينية: "رأينا من الضروري تعريف شبابنا بعلوم القرآن حتى يرفعوا رؤوسهم المنخفضة، ويسيروا على طريق الحياة برحبة صدورهم تاركين الأفكار المضللة، ولما كانت هذه الأهداف في بالي ووجدت كتاب علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح الذي يعمل أستاذا لفقه اللغة والعلوم الإسلامية في كلية الآداب بجامعة لبنان؛ فرأيت أن هذا الكتاب يمكن أن يضيء شموع علوم القرآن في قلوب شبابنا الذين لا يهتمون كثيرا بعلوم القرآن وفنونه"[19].

ووضع المترجم أمام عينه هدفًا آخر وهو تقديم كتاب يمكن من خلاله تقييم الأعمال التفسيرية التي قام بها علماء هذه البلاد، كما يقول في مقدمته على الترجمة: "حتى تتضح حقيقة أولئك الذين يدعون فهم القرآن في بلادنا، وإلى أية درجة هم محقون في دعواهم؟ وهل يمكن لأحد الغوص في البحر العميق لعلوم القرآن من غير اقتباس النور

من أنوار النبوة؟"[20]. وترى الأستاذة السيدة أمة العزيز أن الشيخ المترجم بكلامه هذا في المقدمة ينتقد على منكري السنة من المفسرين الذين برزوا في شبه القارة الهندية، ويقول عنهم بأنهم ألحقوا الأضرار الكبيرة للإسلام وتعاليم القرآن حتى أكثر من المستشرقين[21].

وهذا الكتاب مجموعة من المحاضرات الجامعية التي تم إلقاءها في كلية الآداب بجامعة دمشق، وهي تعالج أدقّ المباحث القرآنية بأسلوب علمي بسيط يرضي أذواق الطلاب والباحثين. وقد تحدث الدكتور الصالح عن منهجه الجديد في تبويب هذه المباحث في المقدمة للطبعة العاشرة: "أما هذه الطبعة (العاشرة) فيكاد كل بحث فيها يكون جديدا، إن لم يكن فيما ألحق به من زيادات ففي صوغ بعض عبارته بأسلوب منقح أكثر أناقة وإشراقاً، فقد نهجت في تبويب هذه "المباحث" نهجا أرجو أن يجده القارئ طريفا مبتكرا، إذ جعلتها على أربعة أبواب تترادف هي وفصولها على رسْلها ترادفاً متسلسلاً منطقياً، وتتدرج خلال تعاقبها كل مسألة قرآنية لا يسع جهلها أحداً من العرب والمسلين"[22].

وكتاب "علوم القرآن" مشتمل على أربعة أبواب، في أولها بيان القرآن والوحي، وفي الباب الثاني حديث عن تاريخ القرآن وتدوينه، وفي الباب الثالث ذكر علوم القرآن، وفي الباب الرابع تسليط الضوء على علم التفسير والإعجاز القرآني؛ فهذا كتاب قيّم يحتل مكانا رفيعا في الأوساط العلمية، وتزدان به المكتبات الإسلامية. ونظرا إلى أهمية هذا الكتاب للشيخ صبحي الصالح (1926- 1986م)، قام الأستاذ غلام أحمد الحريري (1920- 1990م) بدراسته بدقة، وقدّر ما له من مكان في علوم القرآن أحسن التقدير، ونقله من اللغة العربية إلى اللغة الأردية نقلا بارعا في أسلوب سهل فصيح؛ وكتب المترجم في بعض الأماكن حواشي وتعليقات لتوضيح النقاط التي اعتبرها مبهمة وغامضة للدارسين. وهو يقول في المقدمة: "وخلاصة القول فإن هذا الكتاب كتاب مفصل في موضوعه، وجامع لمائة كتاب، والتي ذكرها المؤلف في مصادر كتابه، وقد تمّ مراعاة تفهيم المطالب بصورة خاصة، ولم أقصّر جهدي في تسهيل المباحث المبهمة أو المجملة. وإن الهم الحقيقي الذي كان في قلبي تجاه خدمة القرآن الكريم، فقد أظهرته لكم من خلال ترجمة كتاب علوم القرآن"[23]. وهذا الكتاب المترجم محتو على 437

صفحة. وطبع أولا في بلاد باكستان، وقامت مكتبة فريد بمدينة "دلهي" بطبع هذا الكتاب أخيرا، عام 2003م[24].

كتاب **"علوم الحديث"** وهو ترجمة كتاب "مباحث في علوم الحديث" للدكتور صُبحي الصالح (1926- 1986م). وذكر الدكتور الصالح في مقدمة الكتاب منهجه في التأليف: "كتابنا هذا في "علوم الحديث" - كصنوه "علوم القرآن" - طائفة من المباحث العلمية تنفض غبار السنين عن تراثنا الخالد، وتعرض أنفس روائع الفكر بأسلوب واضح بسيط أقرب إلى ذوق العصر... لا مفر من تحقيق النصوص يتعلق بعلوم الحديث، فما كان لكتابنا أن يستوفي أهم المباحث التي ينشدها المختصون لولا عكوفنا على أمهات المخطوطات في هذه العلوم، ننقلها بأمانة، ونلخصها بدقة، ونجمع شتاتها في كتاب واحد يضمها بين دفتيه... غير أننا لم نقف عند النقل الأمين، والتلخيص الدقيق، فقد درسنا آثار السلف في علوم الحديث دراسة تاريخية تحليلية، ووازنّا بين مؤلفيها وآرائهم من غير أن نشغل القارئ بالعقيم من جدلهم، وحاولنا أن نستخلص المقاييس النقدية التي نادوا بها من خلال المصطلحات الكثيرة المتفرقة في النفيس النادر من تصنيفاتهم"[25].

ويحتوي هذا الكتاب على خمسة أبواب، فالباب الأول يشمل عدة فصول مثل: ما هو الحديث والسنة؟ ونظرة على تدوين الحديث، والهجرة في الحصول على علم الحديث، وألقاب المحدثين، وطُرق أخذ الحديث وسماعه؛ وقد دار الحديث في الباب الثاني حول كتبِ الحديث المعترف بها في الأوساط العلمية حسب العلوم المتعلقة منه مثل الرجال والدراية، وتقييمِ مراتب الكتب المؤلفة في علم الحديث، والشرائط التي لابد من وجودها في الراوي لكونه ثقة؛ والباب الثالث يتألف من ثمانية فصول تحتوي على مواضيع مثل مصطلحات الحديث، وأقسامه المختلفة؛ وفي الباب الرابع ذكر المؤلف أهمية الحديث في القانون الإسلامي، وحجيته في ضوء الشريعة الإسلامية، ومكانته في اللغة والأدب وغيرها؛ والباب الخامس يتحدث في طبقات الرواة ويبدأ بذكر ابن سعد ومنهج التصنيف في طبقاته، وينتهي بتعريف أجلّ الصحابة الكرام وكبار التابعين، وبعض أتباع التابعين، وأتباع أتباع التابعين من الإمام أحمد بن حنبل، والإمام البخاري، والإمام مسلم، والإمام الترمذي.

ونظرا إلى أهمية الكتاب ومكانه في الأوساط العلمية حسب محتوياته قد ترجمه الأستاذ غلام أحمد الحريري (1920- 1990م) إلى اللغة الأردية. ومستوى لسانه في الترجمة يدل على براعته في فنّ الترجمة. وهو يحتوي على 452 صفحة. وطبع من جديد بـ"مكتبة فريد" بمدينة "دلهي" عام 2003م[26].

كتاب **"حديث رسول كا تشريعي مقام"** وهو ترجمة كتاب "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" للكاتب الشهير العالم الرباني الداعية العظيم الدكتور مصطفى السباعي السوريّ (1915- 1964م)[27]. هذا الكتاب هو الرسالة التي تقدم بها مصطفى السباعي لنيل الشهادة "العالمية من درجة أستاذ" في الفقه والأصول وتاريخ التشريع الإسلامي من كلية الشريعة في الجامع الأزهر عام 1949م[28].

إن مصادر التشريع الإسلامي معروفة لدى المسلمين موثوقة محفوظة، ولا شك في أن السنة المطهرة وهي ثانية هذه المصادر، أوسعها فروعاً، وأحفلها نظماً، وأرحبها صدراً. ولقد تعرضت السنة في العصر الحاضر لهجمات بعض المستشرقين المتعصبين من دعاة التبشير والاستعمار، ابتغاء الفتنة وابتغاء هدم هذا الركن المتين من أركان التشريع الإسلامي الوارف الظلال، وتابعهم على ذلك بعض المؤلفين من أبناء الأمة الإسلامية أيضا، لذا انبرى الدكتور مصطفى السباعي (1915- 1964م) للبحث في هذه الرسالة التي ضمّها هذا الكتاب عن السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مبيناً الأدوار التاريخية التي اجتازتها، وجهود علماء الإسلام في صيانتها وتمحيصها، مناقشاً ما أورد المتحاملون عليها في القديم والحديث بروح علمية هادئة يستبين بها وجه الحق، وتتضح بها طلعة السنة المطهَرة بيضاء مشرقة، مختتماً الرسالة بشذرات من تاريخ أشهر علماء الإسلام من مجتهدين ومحدثين ممن لهم دور بارز في حفظ السنة وتدوينها، أو في الرجوع إليها في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها. ونظرا إلى أهمية الكتاب ومكانه في الأوساط العلمية حسب محتوياته قد ترجمه الأستاذ غلام أحمد الحريري إلى اللغة الأردية. ومستوى لسانه في الترجمة يدل على براعته في مجال الترجمة الفنية.

كتاب **"المنتقى"** وهو ترجمة كتاب "المنتقى" في اللغة العربية. والاسم الكامل لهذا الكتاب هو "المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال" للحافظ محمد بن عثمان الذهبي (1274- 1348م)[29]، وهو مختصر كتاب "منهاج

السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية" (9مجلدات) من أعظم كتب الإمام الهمام أحمد بن تيمية (1263- 1328م)[30]. وذكر الذهبي غرض تأليف هذا الكتاب في مقدمته: "أما بعد، فهذه فوائد ونفائس اخترتها من كتاب منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال تأليف شيخنا الإمام العالم أبي العباس أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى، فذكر أنه أُحضر إليه كتاب لبعض الرافضة في عصرنا، يعني ابن المطهّر، منفِّقا لهذه البضاعة يدعو بها إلى مذهب الإمامية أهل الجاهلية ممن قلّت معرفتهم بالعلم والدين، فصنفه للملك المعروف الذي سماه فيه "خُدا بنده". فالأدلة إما نقلية وإما عقلية. والقوم من أكذب الناس في النقليات وأجهل الناس في العقليات، ولهذا كانوا عند العلماء أجهل الطوائف. وقد دخل منهم على الدين من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد"[31]. فنظرا إلى أهمية هذا الكتاب المتزايدة والحاجة الملحّة لترجمته، قام الأستاذ غلام أحمد الحريري (1920- 1990م) بنقله إلى اللغة الأردية العذبة، وسمّاه بنفس الاسم أي (المنتقى)[32].

أهم مؤلفات البروفيسور الحريري

عربى اردو بول چال: إن اللغة العربية لغة حية نشيطة يتداولها عشرات ملايين كلغة رسمية ومئات الملايين كلغة دينية، وهي أصبحت اليوم لغة العلم والمعرفة، والثقافة والتقدم، ولغة الصحافة والإذاعة، ولغة التكنولوجيا والكمبيوتر والعلوم المختلفة، وإن تعلمها وتعليمها يعد ويعتبر مجالا خصبا. فنظرا إلى أهمية هذه اللغة ألف الأستاذ الحريري كتابا مهما في تعليم التعبير والمحادثة العربية والأردية، وسمّاه: عربى اردو بول چال (المحادثة باللغة العربية والأردية). وهو كتاب في علم النحو والصرف والمحادثة، قد نال قبولا عاما وطبع مرارا وتكرارا ولا يزال يطبع حتى الآن.

ويقول المؤلف في افتتاحية الطبعة الجديدة للكتاب: "قد أكسب الله الكتابَ بفضله الخالص ومنّه المتزايد قبولا عاما لم أكن أتوقعه ولم يدر ببالي. فالآن أقدم الطبعة الحادية والعشرين من الكتاب للقرّاء بخطّ جلي وطباعة جذابة ومتحلِّية ببعض الإضافات. ونظرا إلى تطور اللغة العربية المستمر في العصر الراهن، والاحتياجات المُلحَّة لاستخدام التعبيرات الجديدة، أدخلت في الكتاب بعض التعديلات الحسنة حتى أصبح أكثر نفعا مما كان من قبل"[33].

ويبدأ الكتاب بمقالة كتبها المؤلف باللغة الأردية بعنوان "أهمية اللغة العربية". فناقش فيها علاقة المسلمين باللغة العربية. وأبرز أهميتها لكونها لغة القرآن، وردّ على الشبهات التي مازال أعداء الإسلام يثيرونها تجاه القرآن الكريم ولغته. وكذلك عد البلدان التي تُستخدم فيها اللغة العربية كلغتها الرسمية متحدثا عن قبولها العام. وقال إن الدنيا يسكنها بليانان ونصف من عامة الناس؛ إلا أن أكثر من بليون منهم المسلمون الذين يدينون بالديانة الإسلامية ويتلون القرآن المنزَّل باللغة العربية[34].

والكتاب يشتمل على أربعة وسبعين درسا، تحدث فيها المؤلف عن القواعد النحوية والصرفية المهمة؛ وفي نهاية الكتاب قاموس مشتمل على الألفاظ العربية مع مثيلاتها باللغة الأردية، بالإضافة إلى التعبيرات والجمل الصغيرة التي راج استخدامها في الحياة اليومية[35]، وغير ذلك كثير.

وبعد مجيئ الكتاب إلى النور وقبوله العام سأل المؤلفَ القراءُ والدراسون لإعداد مفتاح لتمريناته كي يسهل فهم القواعد النحوية وما زالوا يسألونه حينا بعد حين، فنظرا إلى إلحاحهم الشديد إنه أعدّ دليلا يساعد على حلّ تمارين الكتاب وتقريب القواعد العربية إلى أذهان الطلاب. فصاحب المطبعة التي طبع منها الكتاب يقول في كلمته للكتاب لدى طبعته الثالثة: "إن المؤلف لم يكن يحلّ التمارين التي ألحقها بالدروس في الكتاب مخافة أن يطول الكتاب وتثقل قراءته. فبدأ الطلاب والدارسون يراسلون المؤلف سائلين عن حلّ التمارين وتأليف دليل لها. فاضطر بهذا الضغط المتزائد إلى تأليف دليل، وبحمد الله تحققت أمنية الدارسين. ونحن نسعد بطباعة ذلك الدليل، كما سعدنا بطباعة الكتاب أصله. فنرجوا من القراء أنهم سيكرموننا بشراء الكتاب، كما كرمونا بشراء متنه من قبل"[36].

تاريخ تفسير ومفسرين: ومن المعلوم أن آلاف التفاسير للقرآن الكريم أُلّفت منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى العصر الحديث، وهناك أعمال أكاديمية وبحثية ومؤلفات مستقلة في كل علم من علوم القرآن الكريم في اللغة العربية، ولكنه لم يوجد كتاب شامل يمكن أن يقدِّم معرفة مفصلة عن تاريخ التفسير وأعمال المفسرين باللغة الأردية؛ فشمّر الأستاذ غلام أحمد الحريري (1920– 1990م) عن ساق الجِدّ، وملأ هذا الفراغ بكتابه "تاريخِ تفسير ومفسرين" إلى حد كبير؛ والمصدر الرئيسي لهذا الكتاب هو كتاب"التفسير والمفسرون" للعلامة محمد حسين الذهبي (1915–

1977م)[37]، فالشيخ الحريري ترك مباحث رآها غير ضرورية من الكتاب المصدر، وأضاف إليه مباحث أخرى رآها ضرورية مفيدة للدارسين والطلاب، وهكذا أصبح هذا الكتاب جامعا شاملا في تاريخ فن التفسير وأنواعه وأهم المؤلفات فيه باللغة الأردية الأنيقة، وقد امتدح أهل المعرفة هذا الكتاب الذي خدم العلم والعلماء، فأشادوا بأسلوبه الرائع وطريقته المقبولة؛ وقام بطبعه مطبعة ملك سنز بفيصل آباد، ويحمل بين دفتيه 760 صفحة؛ وقد شغف الدارسون بهذا الكتاب، وذاع صيته وانتشر، وطبع طبعات عديدة، ودار بين أيدي الدارسين والباحثين.

الخاتمة: وجملة القول إن البروفيسور غلام أحمد الحريري (1920- 1990م) قد استخدم لسانه وقلمه دائما لصالح الإنسانية ببالغ من شعور المسئولية والأمانة، وكفَّ اللسانَ والقلم عن كل ما لايعني ولايفيد، وكان يحمل في قالَبه قلبا ذكيا يتفاعل ويتأثر بكل ما تتعرض له الإنسانية في مشارق الأرض ومغاربها. وكانت شخصيته متعددة الجوانب واسعة المدارك، بعيدة الأغوار جمعت من الأوصاف الخلقية والسمات الفكرية والمعارف الإنسانية. هذا في جانب، وفي جانب آخر هو كان مترجما بارعا موفقا أثرى المكتبات الإسلامية بكتبه المترجمة في مختلف العلوم الإسلامية، والتي لم تزل ولاتزال أهميتُها باقية، فيها نبراس لكل دارس وطالب، وفيها هداية ونور لكل عصر ومصر؛ من أهمها (1) قرآن کے فنی محاسن (2) علوم القرآن (3) علوم الحديث (4) حديث رسول کا تشريعي مقام (5) المنتقى (6) اسلامي مذاهب وغيرها، وكذلك قام بتأليف وتقديم كتابين مهمين باللغة الأردية لأبناء بلاده، وهُما (1) عربی اردو بول چال (المحادثة باللغة العربية والأردية) و(2) تاريخِ تفسير ومفسرين لطلبة اللغة العربية والدراسات الإسلامية في أسلوب علمي سهل أنيق. فهو رجل صالح كريم، ومعلم داعية حكيم، ومترجم موفق قدير، وخدماته العلمية كشجرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها الكريم.

الهوامش

[1] الندوي، د. سعيد الرحمن الأعظمي. **اللغة العربية في الهند، ط2**. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، 1916م، ص: 54.

[2] معلوف، الأب لويس. **المنجد في اللغة والأعلام، ط42**. بيروت: دار المشرق، 2007م، ص: 60.

[3] هو الإمام أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري (775-868م)، ودائرة واسعة للمعارف، وأديب جعل العلم مادة لأدبه، يُعنى بألفاظه ومعانيه، ويتطلب الحقيقة بكل قواه، ويراعي أبداً بمقتضى الحال، ويمزج الجِدّ بالهزل، ويحسن تصيّد الألفاظ، ومن مولفاته المشهورة: كتاب البيان والتبيين، وكتاب البخلاء، وكتاب الحيوان وغيرها. انظر للتفصيل: الفاخوري، حنّا، **الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم**، (بيروت – لبنان: دار الجيل، الطبعة الأولى، 1986م)، ص: 551 – 579.

[4] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. **كتاب الحيوان، د ط.** بيروت: دار صعب، 1982م، ص:51.

[5] الرحمن، أ. د. سيد إحسان. **فن الترجمة، د ط.** القاهرة: دار الصحوة للنشر، حي البارودي، 1998م، ص: 37.

[6] د. عبد الناصر، جمال. "**الترجمة والتعريف**"، الرياض: **مجلة الفيصل**، ع:239، سبتمبر-أكتوبر، 1994م، ص: 27.

[7] يزار موقع المركز الثقافي العربي الهندي: https: / /jmi.ac.in /iacc

[8] د. أحمد، محمد آفتاب. مبادرة جديدة بين نيو دلهي وأبي ظبي لإحياء التبادل الثقافي والأدبي، نيو دلهي: **مجلة ثقافة الهند**، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، المجلد: 63، العدد: 1، 2012م، ص: 208.

[9] د. أحمد، محمد آفتاب، **الهند والعرب: ثقافة وحضارة**، ط1. تحرير: د. محمد آفتاب أحمد ود. محمد قاسم العادل، نيو دلهي: مركزي ببليكيشانز، 2021م، ص: 21-37.

[10] يزار الموقع الخاص للبروفيسور الدكتور شمس كمال أنجم: https: / /www.drskanjum.com /books/

[11] بهتي، محمد إسحق. **برصغير کے أهل حديث خدام قرآن**، دط. لاهور: مكتبة قدوسية، 1999م، ص: 420.

[12] عراقي، عبد الرشيد. **تذكرة النبلاء في تراجم العلماء.** لاهور- باكستان: دم، دت، ص: 299-301.

[13] سيد قطب الشهيد هو كاتب موسوعي وأديب أريب صاحب المؤلفات والبحوث حول الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مفسر موفق صاحب "في ظلال القرآن"، ومُنَظِّر إسلامي وداعية عظيم، ورئيس سابق لقسم نشر الدعوة في جماعة الإخوان المسلمين، ورئيس تحرير جريدة الإخوان المسلمين، ورائد من رواد الأدب الإسلامي في العصر الحديث.

[14] قطب، سيد. **التصوير الفني في القرآن، ط20.** القاهرة: دار الشروق، 2012م، ص:9.

[15] الحريري، غلام أحمد. **قرآن کے فني محاسن، د ط.** دلهي: فريد بك دبو، 2003م، ص: 15.

[16] المرجع نفسه، ص: 16.

[17] المرجع نفسه، ص: غلاف.

[18] هو صبحي بن إبراهيم الصالح مفكر، أحد أبرز رجالات الفكر والعلم في العالم الإسلامي، شغل منصب نائب رئيس المجلس الإسلامي الشرعي في لبنان، وعمل أستاذا بجامعات لبنان وسورية والعراق والأردن؛ من أشهر مؤلفاته: التفكير الاجتهادي في القرآن، مباحث في علوم القرآن، المرأة في الإسلام، معالم الشريعة الإسلامية، وغيرها. انظر للتفصيل: أباظة، نزار، ومحمد رياض المالح، **إتمام الأعلام**، ط1. بيروت: دار صادر، 1999م، ص: 129.

[19] الحريري، الأستاذ غلام أحمد. **علوم القرآن**، دلهي: فريد بك دبو، دط، 2003م، ص:5.

[20] المرجع نفسه، ص:6.

[21] أمة العزيز، وأبو بكر صديق عبد الغفار. التراجم الأردية للمؤلفات العربية في علوم القرآن الكريم: خطوة نحو التأصيل العلمي للمعارف الإسلامية في شبه القارة الهندية. **مجلة الأضواء**، لاهور: مركز الشيخ زائد الإسلامي، جامعة بنجاب، المجلد: 36، ع: 55، 2021م، ص: 252.

[22] د. الصالح، صبحي. **مباحث في علوم القرآن، ط10**. بيروت: دار العلم للملايين، 1977م، ص: 5-6.

[23] الحريري، الأستاذ غلام أحمد. **علوم القرآن**، دلهي: فريد بك دبو، دط، 2003م، ص: 8

[24] المرجع نفسه، ص: غلاف.

[25] د. الصالح، صبحي. **علوم الحديث ومصطلحه: عرض ودراسة، ط15**. بيروت: دار العلم للملايين، 1984م، ص: ط- ي.

[26] الحريري، أ. غلام أحمد. **علوم الحديث**. دلهي: فريد بك دبو، دط، 2003م، ص: غلاف.

[27] هو مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي السوري عالم إسلامي، مجاهد، عمل أستاذا بكلية الحقوق، وعميدا لكلية الشريعة، وأنشأ مجلة (حضارة الإسلام)؛ من أشهر مؤلفاته: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، اشتراكية الإسلام، شرح قانون الأحوال الشخصية (ثلاثة أجزاء)، الدين والدولة في الإسلام، المرأة بين الفقه والقانون، وغيرها. أنظر للتفصيل: الزركلي، خير الدين. **الأعلام، ط15، ج7**. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، ص: 231-232.

[28] د. السباعي، مصطفى. **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، ط3. بيروت: دار الوراق- المكتب الإسلامي، 1982م، ص: 1.

[29] هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي إمام، حافظ، مؤرخ، محقق، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها المنتقى، تذكرة الحفاظ، سير أعلام النبلاء، الإعلام بوفيات الأعلام وغيرها. أنظر للتفصيل: الزركلي. **الأعلام**. ج: 5، ص: 326.

[30] هو أحمد بن عبد الحليم، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. وكان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، وقلمه ولسانه متقاربان، ومؤلفاته تبلغ ثلاث مئة مجلد، من أشهرها: الجوامع، الفتاوى، السياسة الشرعية، الإيمان، وغيرها. أنظر للتفصيل: الزركلي. **الأعلام**. ج: 1، ص: 144.

[31] الذهبي، محمد بن عثمان. **المنتقى، ط3**. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، تح: محب الدين الخطيب، 1993م، ص: 19-21.

[32] د. الفريوائي، عبد الرحمن. **شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه**، ط1. الرياض: دار العاصمة، 1996م، ج:1، ص: 270. و**مجلة البحوث الإسلامية**. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، نسخة إلكترونية بالمكتبة الشاملة رابطها: https://thahabi.org/book/6025/read/18516 ص: 18516، تاريخ الزيارة: 10 أغطس 2023م).

[33] الحريري، أ. غلام أحمد. **عربی اردو بول چال**، ط د. غوجرات: كتب خانه فيض أبرار، دت، ص: افتتاحية.

[34] المرجع نفسه،

[35] المرجع نفسه، ص: 262.

[36] المرجع نفسه، إعلان في نهاية الكتاب.

[37] هو باحث مفسر من كبار علماء الأزهر، شغل منصب أستاذ ثم عميد لكلية الشريعة بالأزهر، فأمينا لمجمع البحوث الإسلامية، فوزيرا للأوقاف؛ ومن أشهر مؤلفاته: مقدمة في علوم القرآن، التفسير والمفسرون، مقدمة في علم التفسير، مقدمة في علوم الحديث، وغيرها. انظر للتفصيل: أباظة. **إتمام الأعلام**. ص:231.

المصادر والمراجع

- أباظة، نزار، ومحمد رياض المالح. **إتمام الأعلام، ط1**. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1999م.
- د. أحمد، محمد آفتاب، مبادرة جديدة بين نيو دلهي وأبي ظبي لإحياء التبادل الثقافي والأدبي، نيو دلهي: **مجلة ثقافة الهند**، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، المجلد: 63، العدد: 1، 2012م.
- د. أحمد، محمد آفتاب. **الهند والعرب: ثقافة وحضارة**، ط1. تحرير: د. محمد آفتاب أحمد ود. محمد قاسم العادل، نيو دلهي: مركزي ببليكيشانز، 2021م.
- أمة العزيز، وأبو بكر صديق عبد الغفار. التراجم الأردية للمؤلفات العربية في علوم القرآن الكريم: خطوة نحو التأصيل العلمي للمعارف الإسلامية في شبه القارة الهندية. **مجلة الأضواء، المجلد: 36، ع: 55**. لاهور: مركز الشيخ زائد الإسلامي، جامعة بنجاب، 2021م.
- بهتي، محمد إسحق. **برصغير کے اهلِ حديث خُدامِ قرآن، د ط**. لاهور: مكتبة قدوسية، 1999م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. **كتاب الحيوان، د ط**. بيروت: دار صعب، 1982م.

- الحريري، أ. غلام أحمد، **إسلامي مذاهب، د ط.** فيصل آباد: مطبعة ملك سنز، دت.
- الحريري، أ. غلام أحمد. **تاريخ تفسير ومفسرين، د ط.** فيصل آباد: مطبعة ملك سنز، 1996م.
- الحريري، أ. غلام أحمد. **حديث رسول كا تشريعي مقام، ط2.** فيصل آباد: مطبعة ملك سنز، 1982م.
- الحريري، أ. غلام أحمد. **حيات حضرت إمام أبو حنيفة، د ط.** فيصل آباد: مطبعة ملك سنز، 1983م.
- الحريري، أ. غلام أحمد. **عربى اردو بول چال، د ط.** غوجرات: كتب خانه فيض أبرار، دت.
- الحريري، أ. غلام أحمد. **علوم الحديث، د ط.** دلهي: مطبعة فريد بك دبو، 2003م .
- الحريري، أ. غلام أحمد، **علوم القرآن**، دلهي – الهند: مطبعة فريد بك دبو، دط، 2003م.
- الحريري، أ. غلام أحمد، **قرآن كے فني محاسن، د ط.** دلهي: مطبعة فريد بك دبو، 2003م.
- الحريري، أ. غلام أحمد، **المنتقى، د ط.** فيصل آباد: مطبعة ملك سنز، دت.
- الذهبي، محمد بن عثمان. **المنتقى، ط3**. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، تح: محب الدين الخطيب، 1993م.
- الرحمن، أ. د. سيد إحسان. **فنّ الترجمة، د ط.** القاهرة: دار الصحوة للنشر، حي البارودي، 1998م.
- الزركلي، خير الدين. **الأعلام، ط15**. بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.
- د. السباعي، مصطفى. **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ط 3**. بيروت: دار الوراق – المكتب الإسلامي، 1982م.
- قطب، سيد. **التصوير الفني في القرآن، ط20**. القاهرة: دار الشروق، 2012م.
- د. الصالح، صُبحي. **علوم الحديث ومصطلحه: عرض ودراسة، ط 15**. بيروت: دار العلم للملايين، 1984م.
- د. الصالح، صبحي. **مباحث في علوم القرآن، ط 10**. بيروت: دار العلم للملايين، 1977م.
- د. عبد الناصر، جمال. "الترجمة والتعريف"، الرياض: **مجلة الفيصل**، ع: 239، سبتمبر-أكتوبر، 1994م.
- الفاخوري، حنّا. **الجامع في تاريخ الأدب العربي – الأدب القديم، ط 1**. بيروت: دار الجيل، 1986م.
- د. الفريوائي، عبد الرحمن. **شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه، الجزء الأول، ط 1**. الرياض: دار العاصمة للنشر والتوزيع، 1996م.

جمالية البناء الفني في كتابة الرواية عند واسيني الأعرج

د. مسعود عالم*
masudjnu@gmail.com

ملخص البحث: تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن البنية الفنية في روايات واسني الأعرج الذي عبر من خلال رواياته عن الموضوعات الاجتماعية والسياسية والواقع المعاش والمتمظهر في المجتمع وأجوائه وشؤونه وشجونه وظروفه ومأساته وملهاته وأزماته وأفراحه التي يمر بها أو يعاني منها بين الحين والآخر، وذلك عبر مجموعة من العناصر والأسس مثل الشخصية والحدث والزمان والمكان واللغة والسرد، فيشكل تفاعلها معا البناء الفني للرواية. وتمثل روايته انعكاسات الأحداث في سياق الواقع الذي يعاني فيه الأفراد من العجز واليأس والاغتراب ومجموعات الضغوط الاجتماعية والنفسية والاقتصادية. فنجد روايته الأولى "جسد الحرائق" قد تحدثت عن الثورة الوطنية واستشهاد والده، كما رسمت قضية الهجرة في الفترات المجهولة بعد الاستقلال، وصورت المعاناة التي يعيشها العمال المهاجرون الجزائريون إلى فرنسا، وروايته "أصابع لوليتا" تتحدث عن محنة واغتراب المثقف العربي، وتكشف الجانب السياسي الفاسد والفكر الأصولي والإرهاب العالمي، ورواية "مصرع أحلام مريم الوديعة" تتناول مجموعة من الشخصيات الطلابية التي تحاول أن تمارس الاختلاف في إطار أنشطتها الطلابية والسياسية، لكنها تواجه بالقمع والتنكيل والاضطهاد من قبل السلطة، و"سيدة المقام" تتحدث عن الهاجس السياسي في أعماله السردية، وخاصة السياسية في الفترة التسعينية والأزمة العشرية السوداء، و تنقد رواية "حارسة الظلال" الوضع الجزائري من الداخل وتعري الأمراض الحكومية بالدرجة الأولى، و"كتاب الأمير" رواية تاريخية، لخّصت تاريخ الجزائرِ النّضالي الحافلَ بالانتصارات والهزائم، وكشفت النقاب عن فظاعة الحرب وهولها، ووضاعة الاستعمار البغيض، و"سوناتا لأشباح القدس" تمثل سيمفونية الوجع الفلسطيني، وتروي مأساة القرن العشرين والتي تسببت في الكثير من الحروب ولم تزل تعاني منها المنطقة العربية، و"البيت الأندلسي" تحكي قضية الهوية والانتماء، و"مملكة الفراشة" تتناول الفترة التي أعقبت الحرب الأهلية التي اشتعلت في بداية التسعينيات من القرن الماضي في الجزائر والحياة التي نتجت عن أهوال الحروب الأهلية الجزائرية.

* مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

ولكن هذه الدراسة تركز على أهم الجوانب الفنية وخاصة عن تطور البناء الفني في رواياته متمثلة ببناء الأحداث والمكان والشخصيات وأبرز التقنيات السردية التي استخدمها الروائي، دون الخوض في الجوانب الفنية الأخرى كالمدة والخلاصة والوقفة وغيرها من التقنيات السردية والجوانب العلائقية الحبكية والكيفيات الفنية التي تبحث عن الربط والعلاقات المتداخلة فيما بينها.

كلمات مفتاحية: واسيني الأعرج، الرواية الجزائرية، البناء الفني، الأحداث، الزمان، المكان، الشخصية.

مفهوم البناء الفني: ارتبط مفهوم البناء منذ العصور القديمة بالبناء، والتشييد، والتركيب، والنسج. وقد استخدم مصطلح "البنية" للإشارة إلى كل شيء متماسك، فيقال ببنية الشيء، أي شكله وهيأته. ومن هنا بدأ المصطلح يتطور حتى ظهر في الساحة النقدية وأصبح منهجًا علميًا قائما بحد ذاته. فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: "البني نقيض الهدم، ومنه بنى البناء بنيا وبناء وتبنى قصور وبنيانا وبنية وبناية وابتناه، والجمع أبنية"[1].

وفي الاصطلاح: والمقصود بالبناء الفني هو "تضامن جميع عناصر النص لإقامة تشكيل جمالي يحمل رؤيه جمالية معينة"[2]، وأن البناء يحيل على تشكل العالم الروائي وانصهاره في وحدة كلية مكونة لنسيجه، وهي وحدة دالة تجمع بين القول ومقول القول في ضرب من الاندماج الكلي بين الشكل والمضمون، والمبنى والمعنى، والتركيب والدلالة[3].

وقد اختلف النقاد في استعمال المصطلح، فمنهم من استعمل مصطلح "بناء" ومنهم من استعمل مصطلح "بنية"، فنجد مثلا الناقد سمر روحي الفيصل صاحب كتاب الرواية العربية يقول: إن البناء والرؤية يعتمد على مصطلح بناء، وعلته في ذلك أن هيكل النص الأدبي يبنى من عناصر فنية، تتصل فيما بينها على نحو خاص، لتكون نسقا أو نظاما، وليست البنية شيئاً غير هذا النسق أو النظام[4]، وهناك من النقاد من فضل استعمال مصطلح "بنية" مثل: حسن بحراوي في كتابه "بنية الشكل الروائي"، وحميد الحمداني في "بنية النص السردي"، ومحمد معتصم في "بنية السرد العربي"، وإبراهيم خليل في "بنية النص الروائي".

وعلى كل حال فإن دراسة البناء الفني لأية رواية تستوجب الإلمام بجميع العناصر المكونة لها من شخصيات وأحداث وأمكنة وأزمنة ومراعاة تحليلها لإدراك الأبعاد المعرفية التي يبلغها لنا راو أو الشخصية. وتصنف هذه العناصر ضمن حقلين كبيرين هما: العناصر الفنية والتي تعتبر المقومات الأساسية للرواية، وهي: الحدث،

والشخصية والزمان، والمكان، ويتمثل الحقل الثاني في الطريقة الفنية التي يتم بها نسج تلك العناصر، وما البناء الفني للرواية إلا كيفية بناء تلك العناصر والعلاقات المتداخلة فيما بينها.

الشخصية: تلعب الشخصية دورا أساسيًا في بناء الرواية، وهي من الركائز الأساسية التي يقوم عليها السرد، ومن دعامات العمل القصصي التي توجه مسار الأحداث باعتبارها فاعلة أساسية في بنيتها الفنية، فهي أشبه ما تكون بالقلب النابض للسرد.

إن الشخصية الفنية لها أشكال وأنواع في كل رواية، وكل شخصية تناط بها وظائف تناسبها، وتتصف بأوصاف حسب أنواعها وأفعالها، والبحث عن كل هاته الأمور في روايات واسيني الأعرج يطول جداً، لذلك لأكتفي من الشخصية على ملامحها وأنماطها المتميزة في بعض رواياته فقط:

الشخصية التاريخية: وقد وظف واسيني الأعرج الشخصيات التاريخية والأدبية والفنية في النصوص السردية مضيفا عليها خياله وأفكاره ورواه الفنية والثقافية. قدمت روايات واسيني الأعرج قراءة نقدية متميزة، إذ تجاوزت معظم روايات الروائي الكتابات المألوفة، وسلطت الضوء على الماضي التاريخي المهمش إذ ترتبط معظم رواياته بماهية التاريخ، فنجد في ثنايا الرواية قطعة حية من التاريخ والاقتصاد والاجتماع والسياسة والدين والعلم والجنس، وهي تجمع بين الوعي الإيديولوجي والوعي الجمالي بجرأة وفاعلية.

ومن أمثلة الروايات التي يستحضر فيها التاريخ رواية "أصابع لوليتا"[5]، فنجد فيها شخصيات تاريخية وسياسية، منهم هواري بومدين، وأحمد بن بلة، والشهيد عبان رمضان. ولهذه الشخصيات ثقلها الخاص داخلياً وخارجياً لدى الأوساط الشعبية والسياسية على حد سواء، واستخدام الروائي لهذه الشخصيات الواقعية نابع من مخزونه الفكري والثقافي والتاريخي. ومن أمثلة عودته إلى التاريخ والاعتماد عليه رواية "الأحذية الخشنة" التي حاول فيها استنطاق بعض الحوادث التاريخية المتعلقة ببني هلال. وأما فيما يخص "كتاب الأمير" فإننا نجد أنفسنا أمام أول عمل روائي إبداعي كتب عن الأمير عبد القادر، فان طبيعته في التعامل مع هذه الشخصية التاريخية يختلف كل الاختلاف عن تعامل المؤرخ لها، فقد جمعت بين مرجعتين مختلفتين هما المرجعية التاريخية والمرجعية التخليلية، وبذلك يستحضر واسيني شخصيه الأمير عبد القادر استحضارا فنيا أدبيا، ومما لا شك فيه انه اعتمد على ما روته كتب التاريخ وحفظته الذاكرة الشعبية، وأضفى على الأمير صفات مفارقة للصفات الإنسانية: "عندما انتصر الأمير في سيدي إبراهيم في آخر معركة مع الفرنسيين، الكثير من الناس قالوا أنهم رأوه يجابه الغزاة بصدر عار والدم ينزف من أطرافه

وبجانبه سيدي إبراهيم نفسه، كان مرفقا بهالة من نور تعمي الأبصار يرسل أتربته باتجاه النصارى فيرديهم ويمحوا أحصنتهم حتى قضى عليهم ومن اختبأ وراء الأشجار والصخور فضحته هذه الأخيرة سره بأن أعلنت عن وجوده وراءها فسجن"[6].

كما أعطى واسيني الأعرج الأمير عبد القادر صبغة عجائبية خارقة وأسطورية "الشاب هذا يا سادة يا كرام عليه بركة سيدي عبد القادر الجيلاني والأولياء الصالحين عوده مثل البراق ويطير حصانه للسماء عندما يحاصره الأعداء، سيفه البتار يطفئ البرق من حدة لمعانه القرآن، في قلبه وفي يده سيفه الذي لا ينزل إلى الأرض ولا ينام وساسبو ما يخونه أبداً، ناره ما تروح في الفراغ، في موقعه وهران خلاص له البارود رفد عصاه وحفنة تراب، وقال ربي أعني ونوشن صوب عدوه وفتح يده فتت العدو اللي كان قبالته"[7].

الشخصيات التراثية الدينية :استعان واسيني الأعرج ببعض الشخصيات التاريخية والدينية وأحيانا من التراث الإسلامي في رواياته، "وتوظيف مثل هذه الشخصيات وإيرادها في سياقات السرد المختلفة إنما يأتي من باب إضفاء السمات التاريخية والدينية على هيئات بعض الشخصيات ومن ثم محاولة تعبئتها ببعض الملامح الأسطورية والملحمية التي تعمق فيها الحس السردي الحكائي، على النحو الذي يناسب تطور الحكاية وتأثير ذلك على نمط بناء الشخصية ودورها"[8].

علي كرم الله وجهه: والذي جاء ذكره في العديد من المواقف كتشبيه الأمير عبد القادر بشخصية الإمام علي في علمه الغزير "رجل شرب العلم في الكيسان" ثم يأتي للحديث عما سيفعله هذا الشاب "كما فعل (علي) في الكفار"[9].

شخصية كل من الحسن والحسين رضي الله عنهما: يقول الكاتب: "عندما قام من غفوته، اعتدل في جلسته وطلب أن يأتوه بابنيه: محي الدين ومحمد، وضع كل واحد على ركبة، تذكر محنة سيدنا علي، وخديعة الأقربين رأى علي وهو يسقط تحت ضربة النصل القاسية، ثم رأى الفتن التي طارت فيها رؤوس كثيرة، رأى الحسن والحسين يندثران في لعبة كانت أكبر منهما"[10]. إذن من خلال توظيف هذه الشخصيات ولو عن طريق الحلم حاول واسيني أن يبحر بنا إلى عالم الرؤى والتنبؤات "الزمن القادم سيكون عنيفا وقاسيا وسنكون فيه بعيدين الشقة بيننا وبينهم صارت هوة، لقد طاروا وانكسرت أجنحتنا الصغيرة"[11].

الشخصيات الأدبية والصوفية: إن إيراد أسماء الشخصيات الأدبية على شكل مقولات، أو كتب، أو أدوار، أو تأثيرات من شأنه أن يلفت الانتباه إلى القيمة التي تتمتع بها في الفضاء الثقافي السردي للرواية، وقد تنوعت الشخصيات الأدبية بين دينية وصوفية

وتاريخية، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: ابن خلدون، وأبو حيان التوحيدي، وابن عربي، والشيخ محي الدين، وحمدان خوجة، والأمير عبد القادر... وغيرها.

وقد شكلت الكتب والمكتبات الموضوع الرئيسي والقضية الأهم بالنسبة للأمير عبد القادر، خاصة ارتباطه الشديد بمؤلفات العلامة "ابن خلدون" الذي ظل يرافقه طيلة مسيرته، وخاصة إذا ما تعلق الأمر بالكتب السماوية أو الدينية فقد كان شديد التأثر بحادثة (تكدامت) التي فقد فيها أعز ما يملك من كتب يقول: "أحرق القرآن والتوراة والإنجيل في (تكدامت) النار كالحقد عمياء أحرق ابن خلدون وابن عربي وكتاب عن نابليون ترجمه لي ابن التهامي وغيرها من المخطوطات النفسية يحدث معي أن أبكي على كتاب أكثر من بكائي على أعزائي الذين أكلتهم الحرب فهم في الجنة"[12].

هذا يعزز مكانة الأمير عبد القادر الأدبية سواء في السجن أو في المنفى "رأى نفسه يعبر شوارع بروشة متوجها إلى أكبر مساجدها أو منتدياتها الثقافية رأى نفسه في الجامع الأموي بدمشق يمتشق كتابا ضخما أو مخطوطة من مخطوطات المعلم الأكبر، محي الدين بن عربي ويحاول أن يفك أسرار الحروف الصغيرة التي تجر وراءها ثقلا لا يدركه إلا الذين تجاوزوا القوس الأول في بحر العلوم"[13].

الزمان: يكتسي الزمن أهمية بالغة في الإبداع الأدبي، و"لابد للعمل الفني من بنية زمانية تعبر عن حركته الباطنية ومدلوله الروحي بوصفه عملا إنسانيا حيا"[14]، وبقدر ما يختبر الأديب الحياة، يزيد وعيه بالزمن، ويتجلى ذلك في إنتاجه الإبداعي الذي طالما يحدد رؤيته للزمن وموقفه منه، وبالنسبة للزمن الروائي، فإنه يمثل محور الرواية وعمودها الأساسي، وبما أن الرواية تعد أكثر الفنون الأدبية ارتباطا بالواقع وبالحياة، فإنها أيضا أكثرها اهتماما بعنصر الزمن، بل إنها "تعبير عن رؤية الروائي تجاه الكون والحياة والإنسان، فإحساس الإنسان بإيقاع الزمن يختلف من عصر إلى عصر تبعا لاختلاف إيقاع الحياة نفسها"[15].

ولكن المقصود بزمن الرواية، ليس زمنها الخارجي الذي تصدر فيه، أو حتى تعبر عنه فحسب، وإنما المقصود به "زمنها المتخيل الخاص، أي بنيتها الزمنية التي تحدد بإيقاع ومساحة حركتها والاتجاهات المختلفة، أو المتداخلة لهذه الحركة، كما تشكل بملامح أحداثها، وطبيعة شخصياتها، ومنطق العلاقات والقيم داخلها، ونسيج سردها اللغوي ثم أخيرا بدلالاتها النابعة من تشابك وتضافر ووحدة هذه العناصر جميعا"[16].

وحين ننظر في روايات واسيني الأعرج وموقفها من الزمن نجدها تهتم بالزمن اهتماماً خاصاً، بل ونجد بعضها قد تصدرت بفقرة متضمنة للزمن إشارة إلى أن للزمن فيها أهمية قصوى، فنجد رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" أنها تفتح سردها

بالمقطع الزمني الآتي: "دارت عيناه الزرقاوين في رأسه... كمن غادر للتو كهفا مكث فيه أجيالا متعاقبة... واصل سيره متدحرجا في أحد الأزقة المظلمة... نظر إلى الساعة... بانت له أرقامها المضيئة.. اندهش غريبا الحادية عشرة ليلا؟"[17].

وتشير فاتحة رواية نوار اللوز إلى الزمن الحاضر حيث يقول الكاتب فيها: "قبل قراءة هذه الرواية التي قد تكون لغتها متعبة تنازلوا قليلا واقرؤوا تغريبة بني هلال"[18]، وفي هذه الدعوة ارتحال إلى الماضي وانكفاء في مساربه البعيدة بحثا عن تفسير الحاضر، "ستجدون حتما تفسيرا واضحا لوجعكم وبؤسكم"[19]، ففي الزمن الماضي تكمن حتمية حل مشاكل الحاضر والمستقبل. وتنطلق أحداث رواية "سيدة المقام" من الحاضر من خلال فصلها الأول مكاشفات المكان "في ليل هذا الجمعة الحزين"[20]، إذ تبدأ الرواية بعد وفاة مريم شتاء الجمعة الحزين من سنة1991. كما تولي فاتحة رواية "شرفات بحر الشمال" اهتماما بالزمن، فقد جاء في قول السارد: "كان اسمها فتنة، نهايات ديسمبر، منذ عشرين سنة بالضبط كانت هنا على حافة هذا الرمل المنسي"[21].

إضافة إلى ما سبق يكتسي الزمن في رواية "كتاب الأمير" أهمية خاصة، انطلاقاً من صفحاتها الأولى، فقد ورد في افتتاحيتها هذا التاريخ المحدد بدقة فائقة: "28 جويلية 1864فجراً. الرطوبة الثقيلة والحرارة التي تبدأ في وقت مبكر. الساعة تحاذي الخامسة. لا شيء إلا الصمت والظلمة ورائحة القهوة القادمة من الجهة الأخرى من الميناء"[22]، فمن خلال هذه الفاتحة تلج الرواية الماضي التاريخي، وتفتح له مساحات شاسعة.

التقنيات السردية: وأما التقنيات **السردية** الفنية التي استخدمتها روايات واسيني الأعرج، فهي كالتالي:

الاسترجاع: الاسترجاع أو الفليش باك flash-back مصطلح روائي حديث يعني الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب. ولقد وردت في رواية "نوار اللوز" مقاطع استذكارية كثيرة من خلال ذاكرتي صالح بن عامر الزوفري والجازية، فأذكر منها بعض تلك المقاطع التي تعود أحداثها إلى زمن الحروب، زمن لا يعرف الخطاب سوى بالسيف، عهد أبي زيد الهلالي، كما يقول عامر الزوفري: "تسرب في دمه مذاق المسواك والعطر الصحراوي الذي ينبعث من الجازية، كلما تشقق حائط بيته الهرم"[23]، فعامر الزوفري كان أحد سلالة بني هلال وآخرها، والتي كان يقودها الجوع إلى التهريب وحرق المدائب بالمغرب، كان رجلا لا يعرف سوى الهم والحزن،

وعندما ينكب عليه الحزن يلجأ إلى السكر، ليسترجع ذكرياته وهذا كله ليهرب من الواقع الذي هو فيه، وينسى عيشته المأساوية التي كلها فقر وتهريب وقحط.

إن هذا الاسترجاع الذي يشغل معظم الصفحات يصور فيه حياة صالح الزوفري "ماذا يا صالح يا آخر سلالة بني هلال، أيها القمح البليوني بدأت تتفسخ مرغما وتسقط من عينيك كل شيء جميل التي أنبتها في قلبك الشهداء ودهر من الزمن، ماذا بقي لك من أبي زيد الهلالي غير إرث السيف الذب يعرف الغمد والتهريب والجوع"[24].

الاسترجاع الداخلي: يعني الاسترجاع الداخلي في المصطلح الروائي "العودة إلى الماضي اللاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص"[25]، ويتصل مباشرة بالشخصيات وبأحداث القصة أي أنه يسير معها وفق خط زمني واحد بالنسبة إلى زمنها الروائي، فهو الذي "يقع في ماض لاحق لبداية الرواية"[26].

ونجد واسيني الأعرج في بعض الروايات يفصل في الاسترجاع ذاته ويجعله داخليا وخارجيا في أحداث الرواية الواحدة، فبعض الشخصيات تسترجع أحداثاً مرت في الرواية نفسها، كما تسترجع شخصيات أخرى زمناً مختلفاً، وبعضها من خارج الحكاية الأولى، ففي رواية مملكة الفراشة نجد ألواناً من الاسترجاع الداخلي وفيما يلي بعض النماذج منها:

"أنا أعرفك رأيتك في المقبرة يوم وفاة حبيبي، السي زبير ربي يرحمه، كنت تلبسين جلبابا رجاليا فضفاضا، وتخفين وجهك بشاب طوارقي أسود، يومها عرفت أنك امرأة الأخريات، وتذهب وراء علامتها حتى النهاية، حتى ولو كلفها ذلك حياتها، النساء كما الرجال يتشابهن"[27].

وهنا نجد أن السارد استرجع لهذا الحدث رغم أن الكاتب تطرق إليه من قبل، ولكن لم يخض في التفاصيل، وجاء ذكره مناسباً هنا في لحظة تناسب الوضع السردي القائم.

وكذلك نجد أن الكاتب استخدم هذه التقنية عدة مرات في رواية مملكة الفراشة، وركز فيها على حدث مهم في حياة البطل وهو "موت الأب"، حيث ذكره في كل مرحلة من مراحل الرواية: "كان كلما ضاق بي الحال، انسحبت نحوه، وهو في مخبره الصغير، في الطابق السفلي من البيت، عندما يراني يترك كل شيء ويجلس على الصوفة الصغيرة، ويضع رأسي على صدره ويهمس في أذني"[28].

ونجد رواية أصابع لوليتا أنها حفلت بكثير من الاسترجاعات الداخلية، من استرجاع الكاتب يونس مارينا لأيام صباه عندما زار قريته مارينا "الرايس بابانا" وهو يخشى هذا التذكر: "لا أريد أن أغرق في طفولتي التي سرقت مني في وقت مبكر أشعر أنني إذا خسرتها ذهب مني كل شيء"[29].

الاسترجاع الخارجي: الاسترجاع الخارجي "يعود إلى ماض سابق لبداية الرواية"، فهو خارج الحكاية الأولى ولا يلبث أن يدخل معها لأن وظيفته الوحيدة هي إكمال هذه الأخيرة، فهو "الذي يقع قبل بداية الرواية"[30]، ونلاحظ أن معظم الاسترجاعات الخارجية في رواية مملكة الفراشة تأخذ طرقاً مختلفة، حيث تسترجع ياما ذكريات طفولتها مع حبيبها فاوست كما في الأمثلة التالية:

"عندما كنا صغاراً، باقات نوار النرجس للطفل الذي استقرت عليه أعيننا من بين الأطفال، لا أدري يومها إذا كان الذكاء وحده المقياس أو الجمال؟ كنت أذهب دوما نحو الأطيب ومن يشعرني بالأمان ويمنحني فرصة أن أكون مجنونة الحلم، ولا يسخر من هبلي"[31].

"قبل سنتين تقريبا، فكرت في السفر نحوه عندما أخبرني بعرض مسرحيته الجديدة انتحار حيزية، اشتريت بطاقة مكلفة لأنه كان علي أن أذهب إلى باريس ومن هناك أغير نحو بوينوس إيرس الأرجنتينية، وحضرت نفسي للسفر، كنت مجنونة"[32].

وكذلك نجد الاسترجاع الخارجي في رواية أصابع لوليتا وذلك حينما ذكر بعض اللوحات الفنية مثل لوحة "أصل العالم" قال: "أعتقد أن اللوحة تذكرك بعنفوانك الأول. مريم ماجدالينا"[33]. "قبل أن تنعزل لمدة ثلاثين سنة، أعرف أن لوحات دولارتور تجسد الفترة الأخيرة من عزلتها بصحبة جمجمة"[34].

الاستباق: الاستباق يعني تقديم الأحداث اللاحقة كالمتحققة حتما في امتداد بنية السرد الروائي، وهو "تقنية زمنية تحل بالنسق الزمني المتسلسل لأحداث الرواية يمهد فيه الراوي لقارئ نصه بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع في السرد"[35]، فالاستباق يعطي للقارئ فرصة التعرف على الوقائع قبل أوان حدوثها الطبيعي في القصة.

ونجد في رواية نوار اللوز هذه التقنية، حيث إن الكاتب يستشرف على لسان الراوي مستقبلا متفائلا فرحا مزدهراً بألوان الأطفال والأيتام، كما في قوله: "لو لم أكن مضطرا للسفر إلى سيدي بلعباس كنت طلبت منها أن تعانقني حتى تتلون هذه الأمطار وحتى تخف دموع الأيتام، وتقتل معي هذه الوحدة التي تقتلني"[36]. و"إيه يا صالح بن عامر الزوفري يا أتعس سلالة بني هلال، ابنك كما يمكن أن يكبر ويتحول إلى رجل جميل يعشق أبويه وهذه الأراضي الرائعة التي أكلت أحلامنا"[37].

ونجد في رواية مملكة الفراشة نوعين للاستباق هما الداخلي والخارجي، ومن أمثلة الاستباق الداخلي في الرواية: "قبل أن تبدأ حرب التقتيل اليومي، وتعقبها عشر سنوات

من الحرب الصامتة، ونخسر ديف الذي كان أكثر نشاطا، ليتحول إلى جرح مفتوح صعب أن ينغلق في مقبرتي الداخلية التي تكاثر عدد سكانها"[38].

يعتبر هذا الاستباق بمثابة توطئة لأحداث لاحقة يجري الإعداد لسردها من طرف الراوي، لأن الكاتب قد تطرق لهذا الاستباق بدقة في الرواية: "نساؤك حبيبي، نساؤك كثيرات، كيف ستفعل معهن عندما يركضن إلى المطار نحوك، وكل واحدة تظن أنها ستلقي بحبيبها الأوحد الذي في قلبها، والذي سيطلب من سائق السيارة الذي سيأخذه إلى فندق خمس نجوم، أن يقودها نحو أقرب بار، أو أجمل مرقص ليلي يقضيان فيه بعض الليل، ويقضيان البعض المتبقي في مخمل سرير اللذة حيث يصعدان الجنون إلى أقصاه"[39] .

ونجد في رواية أصابع لوليتا تقنية الاستباق الخارجي، حيث كان الكاتب "يونس مارينا" يريد في المستقبل أن يبدو أولا، وذلك من خلال سيره على البحر وحده لأنه وكأنه في الماضي، ويسير مع "لوليتا" التي تعرف عليها لاحقا أو مع أي شخص وكان يملأه شوقا للكتابة: ".... ثم أبدأ السير وحيداً على سطح البحر، وأنا لا أدري إلى أي شوق سيقودني هذا الرحيل نحو العاصفة الكتابة"[40]. "..... لم يستطع أن يكتم حيرته، ولا كيف يمنع الإنسان ميراثا، حتى لو كان ميراث الصدقة إلى غيره من الناس"[41]. وعند ذهابه في رحلة أو سفر ما حيث كان مولوعا بالتنقل من مكان إلى آخر: "..... لا تدرين كم أنا معلق بالسفر..... والسفر مغامرة لا نعرف نتائجها، ولكننا نفترض أن نصل بخير لكي نتحمل قسوة السفر"[42].

ونجد السارد يستبق إلى المستقبل بقوله: "ستسقط نبوءة سيدي على توناني، سيكون هذا الجيل الذي سأرثه من رحم لونجا قمة نقاء هذه السلالة لأنه ولد من الفقر"[43].

المكان: يعد المكان أحد العناصر الأساسية التي يتركز عليها القص أو الحكي فهو يقف إلى جانب الزمان ليشكلا معا البيئة القصصية التي تدور فيها الأحداث وحركات الشخصيات، ومثلما لا يكون هناك قص بلا زمن، لا يمكن أن يكون قص بلا مكان تجرى فيه الأحداث، ولكل نص روائي علاقة خاصة تربط بين الزمان والمكان من ناحية والزمان والشخصيات من ناحية أخرى، أي بين حاضر الشخصية وماضيها، وتمتاز هاتان العلاقتان بمجموعة من القيم الجمالية والاجتماعية التي تشكل فضاء الرواية[44].

تكتسي الأماكن أهمية بالغة في الرواية، إذ إنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها، من خلال ما تمد به الرواية من تفاعلات

وعلاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء، فمن الأماكن البارزة التي وردت في روايات واسيني الأعرج ما يلي:

القرية: إن عالم القرية في روايات واسيني يضع القارئ في إطار محيطه الفيزيائي (المحلي)، فقد عاش الروائي بين أحضان الريف طفولته وصباه، حيث تشكلت شخصيته واختزنت في أعماقه العديد من الوقائع، والتجارب وحتى الشخصيات، فهو عندما يتناول القرية بالوصف، أو بالحديث -العادي- فإنه يصف أو يتحدث عن عالم داخلي حميمي أحبه وعايشه بما يكفل توفر عامل التلقائية والصدق، فالقرية في روايتي "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" و"نوار اللوز" تكشف عن رغبة ملحة في استيعاب تحولات واقع الريف غداة الاستقلال، وما يكتنفه من تناقضات، إلا أن هذه الصورة تضعنا أمام عالم يتأسس على البؤس، والفقر، والتراتبية الاجتماعية، وتشدنا إلى الأسفل، وإلى اليأس والإحباط وخيبة الأمل من واقع تعبث فيه أيادي الانتهازيين والمتنكرين لقيم الثورة ومبادئها.

تبرز القرية في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" في الصفحة الأولى من الرواية من خلال وصف الراوي لحركة البطل "لم يقل شيئا... واصل سيره متدحرجا في أحد الأزقة المظلمة... صوت البارود... الزغاريد... أصوات غامضة أخرى تجتاح مسمعه"[45]. تبدو القرية مكانا موحشا، مفرغا من أهله يخيم عليه الظلام، والوحشة، فالبلدة لم تتغير أوضاعها، ولم تنعم بنور الاستقلال "البلدة هي هي.. أكوام من الحجارة تماسكت فيما بينها بقليل من الطين والوحل والتبن وروث الأبقار.. مغارات صغيرة عادية جدا اللهم ترميم مسكن البلدية الخلفي الذي حوله المختار إلى فيلا جميلة"[46].

وفي مشهد آخر يأتي السارد على وصف منازل الفلاحين "تلك البيوتات الصغيرة الواطئة، كأن حوافر الخيل مرت من فوقها... تبعث من بعض نوافذها الصغيرة أضواء هزيلة... تذكر بالكائنات الحشرية، التي تعيش داخلها، متكدسة كالبضاعة المعدة للشحن"[47].

ولا تختلف الصورة العامة للقرية في رواية "نوار اللوز" عما هي عليه في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش"، فمسيردة كما تقدمها الرواية بلدة "ينبت فيها الخوف مع الرغيف، وتخزن شمسها وراء الغيوم الثقيلة. الموت والحياة وجهان لنمط واحد من الخلق. إنها البلدة التي تنام على أطراف الحدود. في الحروب هي أول من يدهس وآخر من يتذكره المؤرخون. مسيردة الجميلة. التي يأكل حقولها دود لاليجو. جمارك الحدود يخشون أطفالها كطلقة رصاص، يفتشون ألبستهم وقماطهم"[48].

تبدو مسيردة في الرواية قرية صغيرة، تعيش على هامش التاريخ، يستغلها الأغنياء، بينما يموت أطفالها جوعا وفاقة، تحدق بها الأخطار من كل جانب، فأبناؤها يموتون تحت طائل رصاص حراس الحدود كلما دفعت بهم قساوة الحياة على الانتقال غربا لممارسة التهريب، هذا ما يصرح به بطل الرواية صالح بن عامر "لو كانت ظروف النحس طبيعية ما سقط لخضر، وما تحول إمام القرية إلى مهرب للكتان"[49].

يرصد السارد قرية مسيردة من خلال حديثه عن "حي البراريك" الذي يسكنه البطل والشخصيات الفاعلة في الرواية (لونجا- العربي- أحمد القهواجي- ماما حنا...وغيرهم)، "لا شيء في هذا الحي غير الجوع والبرد وبيوت التنك والوحل وتصفية الحسابات القديمة بالمدي والجنازات"[50].

المدينة: إن حضور المدينة في رواية "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش"، كان من خلال الذاكرة، كتذكر البطل لرحلته إلى مدينة "وهران" ووصفه لمينائها البحري الذي انطلق عبره إلى مدينة مارساي الفرنسية.

كما تحضر مدينتا وهران وبلعباس من خلال حديث مريم الروخا عن ابنتها "ميلودة" وأيضا من خلال حديثها عن حياتها كمومس في أحد مواخير بلعباس. أما مدينة الجزائر العاصمة في هذه الرواية فتمثل مركزا لإصدار القرارات السياسية المتعلقة بالثورة الزراعية، ومشاريع الإصلاح الزراعي، وأيضا مقرا لذوي النفوذ والسلطة.

وفي رواية نوار اللوز التي تدور أغلب أحداثها في قرية مسيردة يتحدث السارد عن مدينة سيدي بلعباس التي ينتقل إليها للتجارة ويعمد إلى المقارنة بينها وبين قرية مسيردة: "ها هي سيدي بعباس بأحيائها الواسعة وشوارعها التي لا تحد، مدينة رحبة الصدر... عبثت بها أرياح الشتاء، الأحياء الشعبية ما تزال بسيطة كما كانت حيطانها مخرمة تتسلقها بعض الكتابات الرديئة... زاد عدد الأطفال المتسخين بشكل يثير انتباه الزائر العادي"[51].

أما في رواية ذاكرة الماء التي تدور أحداثها في المدينة فتبرز فيها القرية على غرار رواية سيدة المقام من خلال ذاكرة الشخصية وفي سياق حوارات الأستاذ مع ابنته ريما، بحيث تبرز مكانا بائسا موجوعا جراء عمليات العنف التي انتشرت في ربوعه، وهذا ما جعل البطل يعزف عن زيارتها إلا للضرورة القصوى، فقد جاء على لسان ابنته ريما "صرنا لا ندخل القرية إلا لدفن الأموات... كنا ندخلها أثناء العطل لنحتفل بربيعها، بصيفها"[52]. ولكن مدينة سيدي بلعباس تتميز باتساع أحيائها، وشوارعها، وبرحابة صدرها، وكثافة سكانها فـ"الأطفال يالطيف كالجراد"[53] بالمقابل يقل عدد الأطفال في قرية "مسيردة" بسبب الموت، الذي يتسبب فيه الإهمال، وقد تحدثت الرواية عن

موت ابن صالح بن عامر كما أشارت إلى كثرة النساء العاقرات، إضافة إلى ذلك يتسع هامش الحرية المتاح للشخصية في "سيدي بلعباس"، بينما نجده يضيق في قرية مسيردة، بحيث تبرز مدينة بلعباس مكان مواعيد وعلاقات مشبوهة وممارسات لا أخلاقية مصرح بها على عكس ما هو عليه الأمر في مسيردة.

تحضر مدينة الجزائر العاصمة في النماذج الروائية، وقد تم الإعلان عنها بالاسم في رواية "ضمير الغائب"، و"سيدة المقام"، "ذاكرة الماء"، "شرفات بحر الشمال"، و"كتاب الأمير"، تقف المدينة في هذه الروايات رمزا شفيفا للوطن، وغالبا ما تطالعنا لفظة مدينة مرادفة لكلمة الوطن أو البلاد "هذه الرقعة الصغيرة من التراب التي اسمها الجزائر"[54]، ويأسف بطل رواية ذاكرة الماء عن ضياع المدينة / الوطن "من غير المعقول أن تباد معالم المدينة بهذا الشكل الهمجي وبهذه السرعة وسادة الأمر والنهي لا يعلمون"[55]، فالذي "لا يمحوه الاغتيال في هذه البلاد تستأصله فقعة أو سكتة قلبية... أشعر أحيانا كأن المدينة ليست لي"[56]، وهي بذلك تقابل المنفى الذي غالبا ما نقرأ على صفحاته حميميات المدينة الوطن.

المقهى/ الخمارة: يحتل المقهى مكانة متميزة في الروايات التي اتخذت من القرية إطارا لأحداثها، وهذا ما نستشفه في روايتي " ما تبقى من سيرة لخضر حمروش" و "نوار اللوز" اللتين يتواتر فيهما ذكر المقهى ووصفه، فيظهر مكانا للتجمعات الرجالية كما هو عليه الأمر في الرواية العربية. ورد الحديث عن المقهى في رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش من خلال وصف البطل عيسى لمقهى الهناء الذي يجتمع فيها فقراء القرية وفلاحيها: فـ"العملية لم تكن صعبة لمجمعهم... فكل الجماعة بالعادة موعدها الروتيني بهذا المقهى حيث الكارط، والبازكا ودعاوي الشر والحكايات عن السياسة والهموم اليومية والولادات الجديدة"[57].

لا يركز السارد على المكان فحسب، وإنما يحاول أن يجسد الحالة التي عليها رواد المقهى الذين انتظموا في شكل "جماعات، جماعات... البعض مستغرق في لعب الدومينو... البعض في لعب الكارطا وغيرها وجوه كثيرة سالت على خدودها تجاعيد الهم كالماء الساخن فلاحون... شباب عاطلون... بعض الأطفال الذين يقضون لياليهم في العراء، يأكلهم البرد القارص... باحثون عن غطاءات مفقودة... بعدها يضطرون إلى النوم في ساحات المدارس"[58].

وفي رواية ضمير الغائب، يقدم المقهى من خلال ذاكرة البطل مكانا للانتظار والخوف من أعمال العنف التي بدأت تظهر في المدينة. يتذكر البطل حبيبته مريم التي كان يلتقي معها بمقهى المرج الأخضر، فيداهمه الحنين إليها "مقهى المرج الأخضر مازال

يتذكر عيونها الطفولية وهي هاربة من ذعر يمشي في كل الشوارع. أنا دائما أقول لك، عندما تعديننني بالمجيء، تعالي يا طفلتي واعتذري، لا تتخلفي دقيقة واحدة، فانتظارك في هذه المدينة ألم"[59].

وفي ذاكرة الماء يتأسف البطل عن تلاشي مقاهي المدينة التي كانت علامة بارزة من علاماتها، وقد فقد بضياعها لذة الاستمتاع بشرب القهوة "أشرب القهوة إرضاء لفاطمة حتى لا تشربها لوحدها، إذ لم يعد مهما بالنسبة لي أن أتناولها أولا أتناولها، لم تعد تشغلني مطلقا منذ أن سرقت مني قعدات لابراس ومقهى الأندلس واللوتس، هذا الأخير الذي قبل أن يسرق من أملاك الجامعة، حول إلى محل أجوف لبيع المهربات"[60].

أماكن العبادة: المسجد: يوظف المسجد في النصوص السردية على أنه بنية ذات أثر إيجابي في توجيه السلوك وتهذيبه. وقد جاء ذكر المسجد في رواية كتاب الأمير على أنه لا يوجد في قلب المدينة إلا مسجد واحد "لا يوجد بالمدينة إلا مسجد ترتفع مئذنته عاليا في الساحة بالقرب من دار البايلك ومسجد آخر على الأطراف لا تظهر إلا مئذنته من بعيد"[61].

ويرتبط المسجد في رواية نوار اللوز بمعاني الموت والحزن وبلحظات الصمت والخضوع التي انتابت جميع من كان فيه عند وفاة العربي ابن القهواجي، "هز الإمام الجديد رأسه متململا في مكانه ارتفعت عقيرته عاليا، يتلو آيات قرآنية عن الآخر ويوم الحشر... دمعت عيناه المرهقتان، دمعات جافة... أقام الصلاة، صلى وسلم بصمت وخشوع"[62].

السجن: يحضر السجن في رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش مكان ضغط نفسي يؤجج إحساس البطل بالألم والمرارة كلما عاد بالذاكرة إلى الوراء، وهو يسترجع قصة دخوله السجن ظلما عند إقدامه على ضرب الإقطاعي الحاج المختار "الله غالب يا خويا لخضر... لقد طار صوابي... كانت الأيام أيام البرص والجوع والتيفوس... هراوة الفأس، كانت أول شيء وقع بين يدي... سمعت بعدها صراخات جافة وأحاديث وخطوات غامضة"[63].

أما في رواية "ضمير الغائب" التي تجري أحداثها في مدينة الجزائر العاصمة، فإن البطل الحسين يدخل السجن نتيجة إصراره على موقف القاضي، وإجراء تحقيق حول مقتل والده إبان الثورة المسلحة، وقد ظل كابوس السجن يلاحق البطل إلى أن انتهى به المطاف خلف جدرانه الباردة، جاء على لسان الحسين: "وقبل أن انتبه لموقعي وللروائح الكريهة التي تلف دائرتي، وقع على أذني صرير الباب الحديدي العالي الذي

أغلقه الرجل الأصلع البدين بإحكام"[64]. ويصف السجن في مقطع آخر من الرواية "هذا القبو ذو الرائحة الكريهة، بدأت أفكر في سر اللعبة المركبة، شرعت أتسلى بالناس الذين أعرفهم... لم أكن أدري هل مازال الليل في بدايته أم انقضى، في هذه الحفرة الكل متشابه... البرد والجوع والروائح الكريهة والذاكرة التي تعبت"[65].

كما يحضر السجن أيضا في رواية ذاكرة الماء من خلال استرجاعات مريم زوجة البطل لجانب من سيرتها الذاتية، فتذكر زياراتها لصديقها السجين: "كل يوم أحد وأربعاء، أحمل حوائجي وانزل باتجاه السجن المركزي، خمس سنوات، بدون أن أتغيب يوما واحدا عن طقوسي، في أيامي الأولى، كان فرحا رغم قساوة المعتقل. كان سعيدا لأن وجوده في هذا المكان، معناه أنه كان جزءا من ذاكرة السلطة المرتبكة"[66].

وفي رواية كتاب الأمير يحتل السجن مساحة نصية واسعة، إذ إنه يمثل حلقة من حلقات المسيرة النضالية للأمير عبد القادر، الذي نقل في منفاه بفرنسا بين سجون ثلاثة، هي: قلعة "لامالق la malgue"، وقصر هنري الرابع، وسجن أمبواز. يصف الأمير وضعه في لامالق "حشروني كأني سارق، أو رهينة... أقنعوني بالانتظار ريثما يتم الاتفاق مع الدول المستقبلة"[67].

مخفر الشرطة: يتواتر توظيف هذا المكان في روايات واسيني الأعرج، ويعد المخفر مكان ضغط على الشخصية، تمارس فيه الشرطة الحاكمة عنفها وتعسفها، ومن ثم فهو مكان مكمل للسجن، أو هو العتبة التي تلج من خلالها الشخصية عالم السجن.

يصف البطل في رواية ضمير الغائب مركز الشرطة الذي اقتيد إليه ظلما: "الصالة كانت مملوءة بالشرطة كلهم متشابهون يمشون بدون ملامح، آذانهم كبيرة وأنوفهم منزوعة، فالصالة مكان ضيق كيوم الحشر، تعطي الانطباع، وكأننا نقف في طابور الأموات كل واحد فينا ينتظر دوره وصرخة عزرائيل في وجوهنا"[68].

وعندما يعجز مركز في إثبات التهم على المواطن (الموقوف) يلجأ إلى تلفيق تهم لا أساس لها من الصحة "سنقول مثلا... هه سنقول: إنهم وجدوك في الشارع العام. كنت تمشي مع امرأة متزوجة ليلا، على الساعة... على الساعة... هه. على الساعة الواحد صباحا..." [69]. وتتكرر هذه الصورة السلبية للمخفر في رواية ذاكرة الماء عندما ألقت شرطة المدينة القبض على البطل ومريم في أحد المطاعم وسألهما الضابط عن الدفتر العائلي، يسترجع البطل هذا الحادث الأليم "كانت الكلمات خشنة لم أملك حيالها إلا الخيبة والصمت، لم يتح لنا حتى فرصة التأمل والتساؤل، بتنا في مخفر كل واحد في حفرة بين أربعة حيطان باردة"[70].

وبهذا نكون قد تعرفنا على أهم التقنيات الفنية في روايات واسيني الأعرج وعرفنا من خلالها أنه من الأدباء الذين يجيدون بناء الفضاء الفني إجادة تامة، ويتقنون استخدام أدواته وتطبيق قواعده، وإرساء بنيانه إتقاناً مذهلاً، ومن ثَم يبدعون إبداعاً مدهشاً في أعمالهم الفنية ويحكمون إحكاماً مبهراً في رواياتهم الأدبية.

الهوامش

1 – ابن منظور، لسان العرب، مجلد1 ، مادة [بنى]، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د ت)، ص: 365

2 – ينظر: عناني، محمد، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر القاهرة، مصر، ط3، 2003م، ص: 104

3 – خليفي، نزيهة، البناء الفني ودلالاته، الدار التونسية للكتاب، تونس، 2012م، ص: 21

4 – الفيصل، سمر روحي، بناء الرواية العربية السورية (1980-1990) دراسة نقدية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط2، 1997م، ص: 10

5 – الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2012م.

6 – الأعرج، واسيني، كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد، منشورات الفضاء الحر، ط1، نوفمبر 2004م، ص: 414.

7 – المرجع نفسه، ص: 69

8 – عبيد، محمد صابر، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م، ص: 193.

9 – الأعرج، واسيني، كتاب الأمير، ص: 446

10 – المرجع نفسه، ص: 456

11 – المرجع نفسه، ص: 456

12 – المرجع نفسه، ص: 289

13 – المرجع نفسه، ص: 532، 533

14 – الصديقي، عبد اللطيف، الزمان أبعاده وبنيته، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص: 143.

15 – القصراوي، مها حسن، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص: 38.

16 – النعيمي، أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، ط1، 2004م، ص: 25.

17 – الأعرج، واسيني، ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، دار الجرمق، دمشق، ط1، 1983م، ص: 9-10.

18 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2007م، ص: 5.

19 – المرجع نفسه.

20 – الأعرج، واسيني، سيدة المقام، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1995م، ص: 5.

21 – الأعرج، واسيني، شرفات بحر الشمال، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2001م، ص: 10.
22 – الأعرج، واسيني، كتاب الأمير، ص: 9.
23 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007م، ص: 8.
24 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، ص: 9.
25 – قاسم، سيزا احمد، بناء الرواية، دار التنوير، بيروت، ط1، 1985م، ص: 40.
26 – يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015م، ص: 104.
27 – الأعرج، واسيني، مملكة الفراشة، دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2013م، ص: 201.
28 – واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، ص 70.
29 – الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، ص: 421.
30 – يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، ص: 104.
31 – الأعرج، واسيني، مملكة الفراشة، ص: 28.
32 – المرجع نفسه، ص: 58.
33 – الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، ص 404.
34 – المرجع نفسه، ص: 397.
35 – القصراوي، مها حسن، الزمن في الرواية العربية، ص: 211.
36 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، ص: 53.
37 – المرجع نفسه، ص: 54.
38 – الأعرج، واسيني، مملكة الفراشة، ص 12، 13.
39 – المرجع نفسه، ص: 127.
40 – الأعرج، واسيني، أصابع لوليتا، ص: 11.
41 – المرجع نفسه، ص: 394.
42 – المرجع نفسه، ص: 396.
43 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، ص 208.
44 – النعيمي، أحمد حمد، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص: 47.
45 الأعرج، واسيني، ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، ص: 9–10.
46 – المرجع نفسه، ص: 28.
47 – المرجع نفسه، ص: 28.
48 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، ص 19.
49 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، ص: 19.
50 – المرجع نفسه، ص: 19.
51 – المرجع نفسه، ص: 160.
52 – الأعرج، واسيني، ذاكرة الماء، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط4، 2008م، ص: 137.
53 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، ص: 160.

54 – الأعرج، واسيني، شرفات بحر الشمال، ص: 17.
55 – الأعرج، واسيني، ذاكرة الماء، ص: 55.
56 – المرجع نفسه، ص: 273.
57 – الأعرج، واسيني، ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، ص: 45-46.
58 – المرجع نفسه، ص: 47.
59 – الأعرج، واسيني، ضمير الغائب، منشورات الجمل، مكتبة العرب الألمانية، ألمانيا، 2012م، ص: 38.
60 – الأعرج، واسيني، ذاكرة الماء، ص: 218.
61 – الأعرج، واسيني، كتاب الأمير، ص: 66.
62 – الأعرج، واسيني، نوار اللوز، ص: 91.
63 – الأعرج، واسيني، ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، ص: 33.
64 – الأعرج، واسيني، ضمير الغائب، ص: 220.
65 – المرجع نفسه، ص: 220.
66 – الأعرج، واسيني، ذاكرة الماء، ص: 23.
67 – الأعرج، واسيني، كتاب الأمير، ص: 446.
68 – الأعرج، واسيني، ضمير الغائب، ص: 125.
69 – المرجع نفسه، ص: 135.
70 – المرجع نفسه، ص: 33.

المصادر والمراجع

- ابن منظور. **لسان العرب، مج1**، مادة [بنى]، دار المعارف، القاهرة: (د ت).
- الأعرج، واسيني. **أصابع لوليتا، ط1**. دبي: دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2012م.
- الأعرج، واسيني. **ذاكرة الماء، ط4**. دمشق: ورد للطباعة والنشر والتوزيع، 2008م.
- الأعرج، واسيني. **سيدة المقام، ط1**. بيروت: ورد للطباعة والنشر والتوزيع، 1995م.
- الأعرج، واسيني. **شرفات بحر الشمال**. بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2001م.
- الأعرج، واسيني. **ضمير الغائب**. منشورات الجمل، ألمانيا: مكتبة العرب الألمانية، 2012م.
- الأعرج، واسيني. **ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، ط1**. دمشق: دار الجرمق، 1983م.
- الأعرج، واسيني، **مملكة الفراشة، ط1**. دبي: دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2013م.
- الأعرج، واسيني. **نوار اللوز، ط1**. دمشق: دار ورد للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م.
- سنقوقة، علال، **المتخيل والسلطة، في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، ط1**. الجزائر: منشورات الاختلاف، 2000م.

- الصديقي، عبد اللطيف. **الزمان أبعاده وبنيته، ط1.** بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1995م.
- عناني، محمد. **المصطلحات الأدبية الحديثة، ط3.** القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، 2003م.
- الفيصل، سمر روحي. **بناء الرواية العربية السورية (1980-1990) دراسة نقدية، ط2.** منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1997م.
- قاسم، سيزا احمد. **بناء الرواية، ط1.** بيروت: دار التنوير، 1985م.
- القصراوي، مها حسن. **الزمن في الرواية العربية، ط1.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.
- النعيمي، أحمد حمد. **إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ط1.** عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2004م.
- يوسف، آمنة. **تقنيات السرد في النظرية والتطبيق.** بيروت: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2015م.

مشكلات تعليم وتعلم اللغة العربية في الهند سبل تحديدها والتغلب عليها

د. عائشة شهناز فاطمة*
Fatma.shahnaz@gmail.com

ملخص البحث: *ولاشكّ أن اللغة العربية هي من أغرز اللغات مادة وصياغة لفظا ومعنى، ولم يخف على من له إلمام بهذه اللغة أن متعلمها يواجه صعوبات عديدة مثل صعوبات صوتية، وصعوبات كتابية، وصعوبات نحوية، وصعوبات صرفية، وصعوبات معجمية ودلالية، ولكن الدارس يتغلب على هذه الصعوبات كلها بالاستماع إلى اللغة العربية من خلال وسائل الإعلام الناطقة بالعربية الفصحى والمداومة على التحدث بالعربية داخل الفصل وخارجه والمثابرة على القراءة الحرة للكتب المدونة باللغة العربية والتمرن المستمر على الكتابة، وحفظ النصوص الأدبية الراقية. ولابد للمعلم أن يتسلح باستراتيجيات التدريس ويستخدم اللغة الفصحى في التدريس التي تناسب المتعلم ويوفر فرصا حقيقية لممارسته ويتيح له فرص المناقشة والحوار وإبداء الرأي ويستخدم التقنيات الحديثة ويطبقها في تعليم اللغة العربية ويعلم ثقافة اللغة العربية التي يجعلها خبيرا بأهل هذه اللغة.*

كلمات مفتاحية: *اللغة العربية، صعوبات صوتية، صعوبات نحوية، صعوبات معجمية، الناطقين بغيرها*

المقدمة: إن الهند كانت تعد اللغة العربية من اغزر اللغات مادة واطوعها في تأليف الجمل وصياغة العبارات، فهي لغة مليئة بالألفاظ والكلمات التى تناسب مدارك بنائها، وهي لغة رسمية في كل دول العالم العربي، بالإضافة إلى أنها لغة رسمية في دول (السنغال، ومالي وتشاد واريتيريا) واعتمدت العربية كإحدى لغات منظمة الامم المتحدة الرسمية الست. وهي تحتل مكانة في نظر الدارسين من غير أبنائها، دفعهم إعجابهم بها وبإمكاناتها التواصلية إلى تعلمها. والإشادة بسماتها وخصائصها، كما يوضح المستشرق وليم ورل قدرة اللغة العربية على مسايرة عصرها بقوله "إن اللغة العربية من اللين والمرونة ما يمكنانها من التكيف وفن مقترضات العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أيام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، وهى ستحافظ على

* استاذ مساعد(المؤقت) في جامعة خواجة معين الدين الجشتي للغات، لكناؤ

كيانها في المستقبل كما حافظت عليه في الماضي".[1] ويشيد المستشرق الفرنسي لوليس ماسيينيون باللغة العربية وسماتها التى تمنح متحدثيها حق الافتخار بها، فيقول "باستطاعة العرب ان يفاخروا غيرهم من الأمم بما في أيديهم من جوامع الكلم التى تحمل من سموّا لفكر وأمارات الفتوة والمروءة ما لا مثيل له "[2]

وطبقا لأهميتها أقبل الناس من غير الناطقين بالعربية على تعليم أبنائها اللغة العربية في المراكز والجامعات والمدارس الرسمية وغير الرسمية. فهذه المراكز اهتمت بتعليم العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة ولكن متعلم اللغة العربية يواجه الصعوبات والمشكلات بسبب التأثر بلغته الأم وبنقل بعض الجوانب اللغوية إلى اللغة العربية. فمثلاً يحاول أن ينقل أصوات لغته الأم إلى اللغة الهدف. فتنشأعن ذلك مشكلات في النظام الصوتى، أو يحاول استخدام تراكيبه المعروفه في لغته فتنشأعن ذلك مشكلات أخرى متعلقة بالصرف والتركيب، أو مشكلات الدلالة المتعلقة بحذف عناصر من الجملة أو اختيار عنصر غير صحيح، أو التركيب الخاطئ للكلمات داخل الجملة الواحدة، مما يسهم في إبطاء عملية التعلم أو إعاقتها بشكل لافت.

وتختلف صعوبة تعلم اللغة تبعاً لسن الدارس والبيئة التى يعيش فيها أثناء تعلمه للغة، وتختلف صعوبتها حسب طبيعتها من حيث مشابهتها أو اختلافها في الصوت أو الكتابة للغة الدارس الأصلية، ومن ثمّ يسهل على العربى مثلا تعلم اللغة الفارسية والاردوية، ويشق عليه تعلم اللغات الاوروبية أو اللغة الصينية.

ويمكن تصنيف صعوبات تعلم اللغة العربية إلى قسمين: هما

الصعوبات اللغوية: ويندرج تحت هذه المشكلات كل ما يتعلق في طبيعة اللغة من نظام صوتي، ونحوى، وصرفي، ودلالى، وكتابى.

الصعوبات غير اللغوية: ويندرج تحت هذه المشكلات التى ليست لها علاقة بطبيعة اللغة إلّا أنها تؤثر في تعليم اللغة بشكل مباشر وفعال، منها المشكلات الاجتماعية، والمشكلات الثقافية، والمشكلات النفسية والمعرفية، والمشكلات الاقتصادية، والمشكلات التاريخية.

الصعوبات اللغوية: ومن أبرز الصعوبات اللغوية التى يواجهها الطالب الهندى عند تعلم اللغة العربية هى:

أولاً – صعوبات صوتية: تختلف صعوبات نطق بعض الأصوت باختلاف لغة وجنس المتعلمين فمتعلم اللغة العربية يجد أن بعض أصوات اللغة التى يتعلمها سهلة النطق،

وهي الاصوات المشتركة من اللغة الأم واللغة العربية. أما الاصوات صعبة النطق فهى الاصوات التى تنفرد بها اللغة العربية ولا يوجد ذلك الصوت في اللغة الأم. وتعزى العقبات الصوتية إلى الطبيعة الصوتية للعربية حيث تتوزّع مخارج الحروف من الشفتين إلى أقصى الحلق وتوظّف منطقة الحلق بأقسامه الثلاث: أقصى الحلق (الحنجرة) ووسط الحلق(فراغ الحلق) وأدنى الحلق(اللهاة والطبق) في النطق باصوات : (ء ، ه) و (ح ، ع) و (ق ، ك) و (خ ، غ) على الترتيب.

فيظهر التباس لدى الطلاب في جعل العين همزه. وجعل الحاء هاء، وجعل الغين خاء، وجعل القاف كافا.

وتتسم العربية بأصوات مطبقة هى: (ظ، ض ،ط ، ص) وهى ذات نظائر منفتحة هى: (ذ ، د ، ت ، س). والاصوات المطبقة تحتاج إلى بذل مجهود أكبر عند النطق بها لتقعّر اللسان وتراجعه في الحلق، ولهذا فهى أصوات غير شائعة الاستعمال، خلافا لنظائرها المنفتحة. ويظهر التباس لدى الطلاب في جعل الظاء دالا وضادا وزايا وجعل الضاد دالا وجعل الطاء تاء أو الصاد والثاء سينا.

وكذلك تتسم العربية بالتفريق بين الحركات القصار (الفتحة. الكسرة. الضمة) والطوال (أ، ي، و) الناشئة عنى هذه الحركات بزيادة مداها الزمنى، وهى ظاهرة فاشية في اللغات الانسانية. فيظهر التباس بين الفتحة والألف وبين الكسرة والياء وبين الضمة والواء وكل ذلك بإطالة ومداها.[3] فالدارس الهندى لا يتعود على أداء هذه الاصوات فيتلفظ في مثل هذه الكلمات تلفظاً خاطئاً تحت التأثر بلغته الأم (الهندية والاردية).

وتوجد في اللغة العربية أصوات تنطق ولا تكتب مثل ألف المد بعد الهاء في أسماء الاشارة (هذا ، هذه ، هؤلاء) ومن الاصوات التى تنطق ولا تكتب في كلمة(لكن) فهى تنطق (لاكن) والرحمن) تنطق (الرحمان) وكلمة (كذلك) تنطق (كذالك) وهكذ تنطق(هاكذا).

وتوجد حروف تكتب ولا تنطق مثل الألف بعد واوالجماعة مثل ذهبوا. والف الوصل في خذ القلم، التى تنطق خذ لقلم والواء الزائدة في كلمه عمرو، واللام الشمسية فهى لا تنطق.

ويجب على معلم العربية أن يتغلب على هذه المشكلة بتدريب الدارسين على التمييز بين الأصوات بطريقة الثنائيات الصغرى.

ثانياً–صعوبات كتابية: إن أول ما يواجه متعلم اللغة العربية هو تشابه الحروف، حيث يجد المتعلم حروفا متشابهة في الكتابة، ومعيار الفرق بينها هو النطق، اختلاف النقط. ومثال ذلك ب ت ث ج ح خ غ ع ط ظ ص ض. ويجد أيضا مشكلات في التعرف على الاشكال المختلفة للحروف. حيث يتغير شكلة في أول الكلمة عنه في آخرها ،فالحرف الواحد قد يأخذ عند الكتابة أشكالا مختلفة ، فحرف العين مثلا يأخذ أكثر من شكل "عند ، معه ، باع ، اصبع". ذلك أن طبيعة الوصل الموجودة بين الحروف في الكتابة العربية تجعل الحرف الواحد يأخذ عدة أشكال مختلفة . وكذلك توجد بعض الحروف تكتب ولا تنطق وبعض الحروف تنطق ولا تكتب كما ذكرت سالفا.

ثالثاً– صعوبات نحوية: ومن أبرز الصعوبات النحوية التى يعانى منها الطالب الهندى عند تعلمه لها هى تظهر في عملية أداة التعريف والتنكير وهي ظاهرة موجودة بالفعل ففى اللغة الهندية أو الاردوية لا يستخدمون أداة للتعريف ويفهم التعريف من سياق الكلام، فيتوقع منهم إما إهمال استخدام أداة التعريف أو الخطاء أو المبالغة في استخدامها.

ويدخل في موضع التداخل النحوى تركيب الكلمات داخل الجملة مثل : الفاعل : أو الفعل + الفاعل وهكذا.... فهذا الترتيب يؤدى إلى خطأ عند دارسي اللغة العربية ويدخل فيه موضوع أداة النفى، وكذلك موضوع تقديم المضاف إليه على المضاف. وأيضا في موضوع التركيب يدخل موضوع استخدام الفعل مع حروف الجر مثل "أفكر في"، و"غلب على"، و"قام ب"، ويوجد مثل هذا في غير العربية ولكن اذا ترجم ترجمة حرفية يتغير التركيب، لذا كان لابد من تدريب الدارس على حروف الجر واستعمالاتها مع الافعال.

وأما الصعوبات التشابهية في القواعد فيوجد في الطالب الهندى اتجاه نقل البنية النحوية من لغته الأم إلى اللغة العربية ،فهو ينقل صيغ الجملة وأنماط العدد والجنس والحالات الاعرابية، وهذا يحدث بطريقة لا شعورية، فمثلاً في اللغة الاردية والهندية تسبق الصفة الموصوف والمضاف إليه يأتى قبل المضاف، فالدارس عند تعلم اللغة العربية يخطئ في تكوين مثل هذه التراكيب بقياسه الخاطئ على لغته الأم، فيسبق النعت المنعوت ويقول: جديد كتاب وجميلة بنت. وكذلك قد يقدم المضاف إليه على المضاف، ويقول: حامد قلم ودار باب وما إلى ذلك.

ويمكن أن يخطئ أيضا في العدد والجنس والتعريف :لأن الصفة في اللغة العربية تتغير تبعا للعدد والجنس والتعريف الحالة الإعرابية خلافا للغة الهندية والاردية، فيقول مثلا جاء الطلاب المجتهد، وقد يخطئ الدارس في التذكير والتأنيث، فكثير من الأسماء المذكرة في اللغة العربية تؤنث في الأردية والهندية مثل كتاب سرير وكرسي.

ويخطئ في استخدام الصلات كثيراً جداً، ففى الاردية تأتى صلة "على" مع كلمات "ظلم ورحم وركب وأمن ووثق"، فيقيس الدارس عليها ويقول في العربية ظلمت علينا أو ارحم علينا وآمنت على الله. وكذلك تأتى صلة"من" في الهندية والاردية مع كلمات "خاف ودعا وكره وسمع واتقى"، فينقل هذه الصلات من اللغة الأم إلى اللغة العربية ويقول: خاف من الاسد ودعا من الله وسمعت منه و اتّقوا من الله وما إلى ذلك.[4]

ويمكن أن يخطئ في تركيب الجمل الفعلية، لأن تركيب اللغة العربية على العكس تماما من التركيب الهندى والأردي .ففى اللغة الهندية تأتي الفاعل ثم المفعول والفعل ، فيقول الدارس خاطئا: الأديب قصة كتب، وحامد رواية كتب.

وتواجه الدارس الهندى هذه المشكلات أو العقبات لعدة أسباب منها:

- كثرة القواعد المفروضة على الطالب من دون التطبيق.
- المعلم مشغول بإنهاء المقرر الدراسى من دون التأكيد على عامل التطبيق.
- عدم ربط قواعد النحو بالقراءة والتعبير.
- وبعض الأسباب تعود إلى الطلبة أنفسهم كالفروق الفردية وظروفهم الاجتماعية والنفسية.

هذه الصعوبة في تعليم النحو والقواعد اللغوية لا ينفى عنها أهميتها وأنها جزء أساسى ومهم من منهج اللغة العربية وتعلمها، فهو الركن الأساسى لتعلم اللغة وضبط استخدامها، إلى جانب أنهما مظهران من مظاهر أصالة اللغة، وينبغى عند تعليم النحو والقواعد للناطقين بلغات أخرى أن يبدأ المعلم بعرض القواعد تطبيقيا وظيفيا من خلال التراكيب اللغوية قبل تقديم دروس القواعد النظرية.[5]

رابعاً–صعوبات صرفية: الصرف هو دراسة بنية الكلمة وهو حلقة وسطى بين دراسة الأصوات التى تكون الصيغ الصرفية للكلمة ودراسة التراكيب التى تنتظم في هذه الصيغ. تتميز اللغة العربية بأنها تمتلك نظاماً صرفياً توصف بأنها لغة متصرفة

اشتقاقية، وهذه ميزة لا تتوفر في كثير من اللغات، مما يؤدى إلى صعوبات في تعلم اللغة منها ما يلى:

- كثرة أبواب الصرف وتعدد موضوعاته و تشعب قضاياه ومسائله فلكل باب صرفي له مجموعة من القواعد ولكل قاعدة تفريعات ولكل تفريع عدد من الضوابط والاحكام.
- التداخل بين أبواب الصرف والنحو وذلك أمر طبيعى نتيجة العلاقة المشابهة بين العلمين.
- عدم الاطراد في بعض القضايا الصرفية، أى عدم اطراد القواعد الصرفية التى وضعها الصرفيون.
- الخلط بين السماع والقياس في بعض أبواب الصرف.
- هناك قضايا صرفية لم يعهدها متعلموها في لغاتهم الأم و بخاصة (الاشتقاق والميزان الصرفي والافراد، والتثنية والجمع والتفريق بين المصادر والأفعال).[6]

خامساً–صعوبات معجمية ودلالية: إن اللغة العربية تحتوي على ثروة عظيمة من الكلمات التي تراكمت فيها منذ أقدم العصور ومعاني هذه الكلمات تعددت وتوسعت مع مرور الزمان وتعدد الأغراض وهذا الكم الهائل من الكلمات وتعدد المعاني وصعوبة البحث عن معانيها يعد من الصعوبات التي يواجهها الدارس الهندي. وكذلك قد تؤدي كثرة المترادفات في العربية الي حيرة المتعلم في انتقاء المفردة المناسبة للسياق. ومن المشكلات المعجمية والدلالية التي تعاني منها الدارس الهندي مايلي:

- تعدد معنى الكلمات العربية وتنوع دلالتها وانتقال الكلمة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي. مما يسبب صعوبة في فهم المعنى المقصود من النص المقروء وتظهر هذه المشكلة إذا تم اختيار المواد اللغوية وتقديمها للمتعلم على أسس غيرعلمية من حيث الشيوع والأهمية والتدرج وغيرها من المعايير التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في إعداد المناهج.
- تصور المتعلم أن المعاني التي تدور في ذهنه يمكن استعمالها بالطريقة التي كان يستعملها في لغته الأم مع اختلاف اللفظ فقط والسبب في هذه

المشكلة الاعتماد على الترجمة من تأثير اللغة الأم وصعوبة التعبير عن المعاني العربية بالكلمات والأساليب العربية.

- إغفال المتعلمين الجوانب الثقافية والدلالات الثانوية لبعض الكلمات فلا يدرك بعضهم أن المعنى المعجمي لا يكفي لبيان معني الكلمة ما لم تشرح في السياق الذي وردت فيه.[7]

الصعوبات غير اللغوية: بعيدا في الصعوبات اللغوية تظهر صعوبات أخرى مرتبطة بعوامل خارجة عن طبيعة اللغة وإنها تؤثر في تعليم اللغة بشكل مباشر وفعال. ومن المعلوم أن منظومة التدريس تتضمن عددا من العناصر، منها: المعلم، والمتعلم، والمحتوى، والأنشطة التعليمية وطرائق التدريس والتقويم .... ويؤثر كل عنصر من عناصر هذه المنظومة في بقية العناصر الأخرى ويتأثر بها، مما يتطلب أن يكون للعنصر البشرى في هذه المنظومة مواصفات خاصة، كى يتمكن من التأثير في بقية العناصر في الوجهة المطلوبة.[8] ومن بين هذه العوامل التي يمكن أن نقول إنها من صعوبات تعليم اللغة العربية وهي:

أولاً: الصعوبات التي ترجع إلى الدارسين أنفسهم، وذلك للأسباب التالية:

- عدم رغبة الدارسين في تعليم اللغة العربية ويظهر هذا من عدم جديتهم.
- عجز بعض الطلاب عن استيعاب الجديد خاصة إذا تزايد الكم المقدم.
- بعض الدارسين غير قادرين على نطق الأصوات لوجود مشكلات عندهم.
- خلفية الدارسين الثقافية والعلمية والاجتماعية واللغوية.

ثانياً: الصعوبات التي تعود إلى طبيعة المعلم حيث إن المعلم يعتبر الحلقة الهامة في التعليم والمحرك الاساسي في مسار العملية التعليمية، "وهو عنصر من أهم العناصر القضية".[9] تتوقف عليه عمليات التدريس وانعدام اختصاصه من لغة التدريس، أو أساليب تعليم اللغة الاجنبية، لن يفيد الطلاب في تجنب الصعوبات والتخفيف منها، بل قد يكون سبباً مباشراً في تنفيذهم من اللغة.[10]

ومن هذه الصعوبات هي:

- عدم كفاءة بعض المدرسين واستخدامهم طرقا تقليدية في تعليم اللغة العربية كلغة ثانية.

- عدم الكفاءة في استخدام اللغة الوسيطة، فأحيانا تستخدم بكثرة عندما لا يحتاج إليها ولا تستخدم عندما يحتاج إليها.
- قلة الأبحاث المطروحة في ميدان تعليم العربية بالنسبة للمعلم وإعداده تؤدي إلى أن يقف المدرسون المؤهلون في مكانهم ولا يبرحونه.
- قلة الدورات التدريبية التي تقام لغرض رفع كفاءة المعلمين المؤهلين وغير المؤهلين.

سبل التغلب على صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

ولما كانت الصعوبات أو العصبات ترجع الي طبيعة اللغة العربية نفسها، وإلى البيئة العربية التي يتعلم فيها الدارس، وإلى الطالب أو الدارس نفسه، وإلى المعلم الذي يقع علي عاتقه النصيب الأكبر في تحقيق أهداف تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. فيمكن أن يحقق المعلم تلك الأهداف بالطريقة الآتية:

- مراعاة التكامل بين مهاراة اللغة العربية الأربع (الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة).
- مراعاة البدء بالأصوات السهلة المألوفة للدارس وتؤجل الأصوات الصعبة (ذ، ز، ح، خ، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ ، ق) مع مراعات التدرج في الأصوات الصعبة كلما أمكن.
- التنويع في التدريبات اللغوية المستخدمة في تنمية مهارات اللغة.
- التنويع في الأنشطة اللغوية.
- التنويع في استراتيجيات التدريس التي يستخدمها.
- ربط عناصر اللغة العربية (الاصوات، المفردات، التراكيب، الدالة) بمهارتها.
- معرفة صعوبات المتعلمين اللغوية، ومعالجتها بشكل صحيح حيث إن معرفة المشكلة جزء من حلها.
- استخدام لغة عربية فصحى في التدريس.
- استخدام لغة عربية تناسب مستوى المتعلمين اللغوي. والتدرج في تقديمها لهم.

- توفير فرص حقيقية لممارسة المتعلمين ومهارات اللغة وعناصرها أثناء التعلم اللغوي.
- الافادة قدر الامكان من التقنيات الحديثة وتطبيقاتها في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات آخرى11.
- إتاحة فرص المناقشة والحوار وابداء الرأي مع اعداد دراسة لغوية ميدانية تستهدف التعرف على الحاجات اللغوية للدارسين.
- الانتباه إلى عدم تقديم القواعد أو المصطلحات النحوية بصورة مباشرة، وتعرض القواعد بطريقة وظيفية في التراكيب اللغوية.
- أن يدرس ثقافة اللغة العربية التي تساعده على الاتصال الفعّال بأهل هذه اللغة لأن ثقافة اللغة الثانية تجعل عملية التدريس ممتعة وشائعة. حيث يتعرف الدارسون على أنماط ثقافية جديدة. تختلف عمّا في ثقافتهم الأصلية، وهذا يؤدي إلى زيادة اهتمامات الدارسين وإثارة دافعيتهم، لكي يتعرفوا على الأنماط الثقافية الجديدة في اللغة المستهدفة.12

ومن الواجب علي المعلم أن يتسلح بأدوات تفوق فاعليتها تلك التي يتسلح بها معلم العربية للناطقين بها. فتكوين معلم العربية عموما ما يتميز بخصائص تمكنه من تحقيق أهداف تدريس اللغة في بيئتها، ولما وقع على عاتقه تدريسها في غير بيئتها ولغير أبنائها فمن اللازم أن "يتميز تكوين استاذ اللغة العربية لغة ثانية بخصائص تضاف إلى التكوين العام لاستاذ اللغة الأم. وذلك بالتركيز على كسب معرفة لغوية ومهارات علمية وقدرات تقنية معينة".13

وكما أن الطالب هو أساس العلمية التعليمية، وهو المستهدف الذي وضعت من أجله كل الامكانات المتاحة ليفهم اللغة العربية. فعلى المتعلم:

- أن يجتهد في دراسة العربية وأن يداوم على القراءة الحرة للكتب المدونة باللغة العربية في مختلف المجالات ولا يكتفي بما يدرسه داخل الصف، ويمكن ذلك بالتدرج بقراءة الكتب السهلة ثم الصعبة بالاعتماد على المعاجم العربية والمعلم.
- أن يتدرب المستمر على التمييز بين أشكال الحروف وأصواتها.

- أن يحفظ النصوص الأدبية الراقية، ويقرأ كتب الأدب ذات الأسلوب الفصيح.
- أن يمرن تمرينا مستمرا على تراكيب اللغة الغربية. ويعرف الدلالات الكلية للقوالب التركيبية العربية مثل: الجملة الفعلية والجملة الإسمية والوصف والإضافة والحال وغيرها واستخدام تلك القوالب في التحدث
- أن يداوم على التحدث بالعربية داخل الصف مع معلمه وزملائه وخارج الصف قدر المستطاع لتطبيق القواعد التي درسها في الصف.
- أن يستمع إلى العربية طريق وسائل الاعلام الناطقة بالعربية الفصحى للتعود على العربية والشعور بالألفة تجاهها، كما أن السماع من التطبيقات المهمة التي تساعد الطالب على فهم العربية بصورة أشمل وحاول أن يتعلم كل يوم على الأقل كلمتين جديدتين.14

وأما بالنسبة عن طريقة التعليم والتدريس فعلى المعلم أن يعتمد على بعض الاستراتيجات والطرائق التي تستحسن بها العلمية التعليمية. وذلك على النحو التالي:

- استخدام الوسائل والتقنيات الحديثة في الدرس.
- تزويد الكتاب بالصور التوضيحية اللازمة بشرط أن تكون واضحة وضرورية وأن توضع في مكانها المناسب.
- الابتعاد عن طريق الترجمة والتعليم باللغة الهدف بصورة كلية.
- تقدم الكلمات الجديدة ذات المعاني غير المألوفة لدى المتعلمين من خلال أنماط مألوفة وتراكيب قصيرة وأساليب سهلة ليتمكن الطالب من معرفة معنى الكلمة الجديدة من غير حاجة للبحث عنها في المعجم.15
- زيادة الساعات المخصصة للمحادثة العربية. فاتقان التحدث يساعد الطالب على مواصلة الاطلاع العربية وعلومها وآدابها ويسهل عليه مواصلة الدرس.
- يحث الطلاب على استخدام القوالب النحوية التي فهموها بكلمات جديدة متعلقة بالدرس أو غير متعلقة به لتفادي الاعتماد على ذاكرة الطالب وحدها.

الهوامش

[1] د. محمود السيد، "النهوض باللغة العربية بين التوصيات والممارسات"، **اللغة العربية وتحديات العصر**، وزارة الثقافة السورية، 2008م، ص: 174.

[2] د. وافي، على عبد الواحد، **فقه اللغة، ط3**. مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م، ص: 245.

[3] القماطي، محمد منصف عبد الله. بعض الأخطاء اللغوية لدى متعلمي العربية الأجانب دراسة تحليلية، **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها- قضايا وتجارب.** تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1994م، ص: 33-34.

[4] همداني، حامد أشرف. **صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: التجربة الباكستانية**. لاهور: منشورات جامعة بنجاب، 2014م، ص: 29.

[5] **100 سؤال عن اللغة العربية: سلسلة الأدلة والمعلومات**. الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015م، ص: 78.

[6] صالح، غصون فائق والناهي، أ.د. هيثم. **مشكلات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ماليزيا مع اقتراح بعض الحلول لها**، مقالة في الندوة رقم 70 حول بعض التحديات التي تواجه اللغة العربية، ماليزيا، 2019م، ص: 7.

[7] المرجع نفسه، ص: 7.

[8] د. الحديبي، علي عبد المحسن، **دليل معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها**. الرياض: المملكة العربية السعودية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015م، ص: 9.

[9] ماسيري، دكوري والأمين، سمية دفع الله احمد، "المشكلات الصوتية في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها"، **مجلة المجتمع**، 2012م، ص: 10.

[10] المرجع نفسه، ص: 10.

[11] الحديبي، علي عبد المحسن. **دليل معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها**. الرياض: المملكة العربية السعودية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015م، ص: 36-37.

[12] **100 سؤال عن اللغة العربية: سلسلة الأدلة والمعلومات**، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015م، ص: 21.

[13] السويسي، رضا. **التكوين التربوي لأساتذة العربية لغير الناطقين بها**. تونس: منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1992م، ص: 13.

[14] الخولي، كريم فاروق. "مشكلات تعليم العربية لغير الناطقين بها وطرق حلها"، مجلة **كلية الالهيات** بجامعة سلجوق، 2011م، ص: 191.

[15] صالح، غصون فائق والناهي، أ.د. هيثم. "مشكلات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ماليزيا مع اقتراح بعض الحلول لها"، مقالة في الندوة رقم 70 حول **بعض التحديات التي تواجه اللغة العربية**، ماليزيا، 2019م، ص: 11.

المصادر والمراجع

- شرابي، د. محمد علي. **دليل متعلمي العربية الناطقين بغيرها**. المملكة العربية السعودية: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015م.
- الحديبي، د. علي عبد المحسن. **دليل معلم العربية للناطقين بغيرها**. المملكة العربية السعودية: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015م.
- **100 سؤال عن العربية: سلسلة الأدلة والمعلومات**. المملكة العربية السعودية: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015م.
- الحديدي، علي. **مشكلة تعليم اللغة العربية لغير العرب**. القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967م.
- الشلبي، أحمد. **تعليم اللغة العربية لغير العرب**. القاهرة: مكتب النهضة المصرية، 1980م.
- طعيمة، رشدي أحمد. **تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مناهجه، وأساليبه**. الرباط: منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 1989م.
- همداني، حامد أشرف. **صعوبات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: التجربة الباكستانية**. لاهور: منشورات جامعة بنجاب.
- السويسي، رضا. **التكوين التربوي لأساتذة العربية لغير الناطقين بها**. تونس: منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. 1992م.
- ماسيري، دكوري وسمية دفع الله أحمد الأمين. "المشكلات الصوتية في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها"، مجلة المجمع، ماليزيا: جامعة المدينة العالمية، 2012م.
- الخولي، عبد الكريم. "مشكلات تعليم العربية لغير الناطقين بها وطرق حلها"، **مجلة كلية الإلهيات بجامعة سلجوق التركية**، 2011م.
- ديدوح، عمر ومحمد بوعزي، "العقبات المواجهة لتعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها"، **مجلة جسور المعرفة**، العدد: 2.
- صالح، غصون قائق و أ.د. هيثم الناهي. "مشكلات تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ماليزيا مع اقتراح بعض الحلول لها"، مقالة في الندوة رقم 70 حول بعض التحديات التي تواجه اللغة العربية، 2019م.

الترجمة الآلية الإحصائية: تحديات وآفاق

د. كاشف جمال*
Kj89422@gmail.com

ملخص البحث: *يهدف البحث إلى دراسة نظم الترجمة الآلية وبالأخص الترجمة الآلية الإحصائية وأنواعها، ونهجها وكيفية عملها، وأساليبها وأهم برامجها، وذلك من أجل الوقوف على مدى قدرة نظم الترجمة الآلية الإحصائية على ترجمة النصوص من الإنجليزية إلى العربية. كما يتناول هذا البحث مواطن الضعف والقوة، وصولا إلى معايير تقييم جودة الترجمة في نظم الترجمة الآلية.*

وتكمن أهمية البحث في أنه يعالج إحدى الموضوعات المهمة في اللسانيات الحاسوبية، وهي المعالجة الآلية للغة العربية والتي شغلت اهتمام اللغويين والباحثين وأثمرت نتائج تطبيقية لا يستغني عنها أحد مهما كان مجال عمله. فهذا البحث وما يقدمه من مقترحات وحلول يحاول الإسهام في تقديم رؤية مختلفة لمعالجة الترجمة الآلية. كما يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما الأسباب التي تجعل الترجمة إلى العربية ضعيفة المستوى والإنتاج إلى هذا الحد؟ وما هي التحديات التي تواجه الترجمة الآلية بمقاربة إحصائية؟ وما أنواع الأخطاء التي تنتج عن الترجمة الآلية الإحصائية، وهل يمكن تلافيها، بحيث يتم رفع جودة البرنامج؟ وما المقترحات التي يمكن أن تؤخذ في الاعتبار للبناء عليها من أجل تطويع الترجمة الآلية لخدمة اللغة العربية؟

أما المنهج المستخدم في البحث فهو الوصف التحليلي بمعنى دراسة المشكلة ووصفها وتحليلها، دون التعرض إلى أصولها التاريخية، أو غيره. وفي الأخير، يخلص البحث إلى النتائج والتوصيات التي من شأنها في تحسين أداء نظم الترجمة الإحصائية.

كلمات مفتاحية: *الترجمة الآلية، اللسانيات الحاسوبية، مقاربة إحصائية، مناهج الترجمة الإحصائية، البرامج والأدوات*

المقدمة: تعتبر الترجمة مظهرا حضاريا يعكس صورة إيجابية للأمم عبر التاريخ، ويتم من خلالها نقل العلوم والحضارات من لغة إلى لغة أخرى. الترجمة ببساطة هي عملية نقل معنى النص من لغة إلى أخرى. وهذه العملية تتطلب مجموعة من المهارات بدءاً بالمعرفة الكاملة للغة الأصل (Source Language) على جميع المستويات من صرف

* الأستاذ المساعد، في الجامعة العالية العربية

(Morphology)ونحو (Syntax)ومعان (Semantics) وتأويل (Pragmatics) ومعرفة بسياق النص المترجم (Context) وانتهاءً بمعرفة مماثلة للغة المترجم إليها (Target Language)[1].

وفي عصرنا الراهن، تحولت طريقة الترجمة من الأسلوب التقليدي إلى الأسلوب التقني الذي يعتمد على الآلة الإلكترونية، ما نسميه "الترجمة الآلية". يطلق مصطلح الترجمة الآلية على عملية ترجمة النصوص باستخدام برامج الحاسوب التي تكون مدربة على تحليل اللغة وترجمتها إلى لغة أخرى. ومع بداية وانتشار الحاسب الآلي أصبحت الترجمة الآلية من أوائل المجالات الساعية للاستفادة من قدراته، وذلك أن الترجمة تعتبر من أهم المجالات التي تتطلب جهودا بشرية مكلفة. وتعد الترجمة الآلية فرعا من فروع اللغويات الحاسوبية Computational linguistic وتتناول برمجة الحاسب لترجمة نص أو خطاب من لغة إلى أخرى آليا، حيث تقوم الترجمة الآلية بمستوياتها الأولية باستبدال بسيط لكلمات بلغة معينة إلى لغة أخرى.

الترجمة الآلية: أول من استخدم الحاسوب في الترجمة بوضوح هو وارن ويفر عام 1947. ومنذ عام 1949م سارت بحوث الترجمة الآلية في الولايات المتحدة قدما في جامعات كاليفورنيا ولوس انجلوس وتكساس وغيرها[2]. وفي عام 1949م بدأت أبحاث الترجمة من الروسية إلى الإنجليزية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وفي عام 1954م تم استحداث أول نموذج لنظام الترجمة الآلية من الروسية إلى الإنجليزية. وبعد اثني عشرعاما من البحث صدر تقرير من اللجنة المشكلة من قبل الهيئات الحكومية المانحة لأبحاث الترجمة الآلية في الولايات المتحدة الأمريكية بعدم جدوى القيام بالأبحاث في هذا المجال. وقد كان أثر هذا التقرير سيئا على تقدم البحث والتطوير في ميدان الترجمة الآلية. لذلك اتجهت الأبحاث في السبعينيات من القرن الماضي إلى كندا وأوروبا الغربية. وفي الثمانينيات بدأت تظهر تقنيات المنهج التحويلي وقواعد المعرفة، كما ظهرت تقنيات الترجمة القائمة على أسس إحصائية في التسعينيات. وقد استخدمت هذه التقنيات في الترجمة من العربية إلى الإنجليزية بكثرة في بداية الألفية الثانية، وذلك لاهتمام الولايات المتحدة بالترجمة من اللغة العربية بعد أحداث سبتمبر 2001م[3].

أهمية الترجمة الآلية: ينشأ السوال هنا لماذا نحتاج إلى الترجمة الآلية بالرغم من وجود عدد كبيرمن المترجمين المهرة في مجالاتهم. وفي الإجابة على هذا السوال أنا أقول إن أهم أسباب التوجه نحو استخدام الترجمة الآلية هي السرعة الفائقة التي تتميز بها الآلة، فالحاسوب يستطيع أن يترجم النصوص بسرعة تتفاوت بين ثلاثة آلاف كلمة إلى أضعاف ذلك في الساعة الواحدة، بينما لا يستطيع العقل البشري أن يترجم أكثر من مائتي كلمة في الساعة الواحدة. فلو نظرنا إلى حاجة الهيئات العامة والخاصة والمؤسسات العلمية والتجارية والصناعية والأفراد إلى الترجمة لوجدنا أن حجم المواد المطلوب ترجمتها يفوق بكثير قدرة المترجمين المؤهلين الموجودين حاليا. ومن جانب آخر، نجد أن بعض النصوص ترتبط أهميتها بزمن صدورها، إذ إن تأخير ترجمتها قد يتسبب في فقدان قيمتها، أو ضياع فرصة تجارية مربحة. وبالتالي، تمنح الترجمة الآلية بعض الخيارات للمترجمة من حيث توفيرالوقت والتكلفة[4].

والسبب الآخر في أهمية الترجمة الآلية هو أن عملية الترجمة للمترجمين من البشر عملية مملة وبطيئة والمترجم يحاول التغلب على مله بتغيير أسلوبه تارة وبالراحة تارة وهو كطبيعة البشر ينام ويلهو ويمرض ويغير عمله ويتقاعد. كل ذلك يحدد عمل المترجمين ويجعلهم بضاعة نادرة في عصر العولمة. وإذا علمنا أن المترجم غالبا ما يتقن لغة واحدة مع اللغة الأم التي يترجم منها أو إليها فيعني ذلك ندرة شديدة فيمن يتقن لغة كاللغة الكورية أو اليابانية مع العربية. وهذا يعطي أهمية إضافية للترجمة الآلية فالحاسوب يمكن أن يعمل 24 ساعة في اليوم ولا يأخذ إجازة في نهاية الأسبوع ويمكن استبداله بما هو أفضل منه وتحسين أدائه وسرعته مع التقدم التقني الجاري اليوم[5].

إننا نعيش عصر الثورة التكنولوجية التي تناولت مجالات شتى، ومع هذه الطفرة الهائلة، لم يعد المترجم مقتنعا بمفهوم الترجمة التقليدية لكثرة ما يلقاه من عناء وما يعوقه من بطء، وأصبح يتطلع إلى مجاراة القفزات العلمية بما يضمن له الإتقان والسرعة، أو بعبارة أخرى الإسراع والإبداع، وأصبح المترجم العصري في خضم من التداخل بين الترجمة والمصطلحية والتخصص والإلكترونيات[6].

وهناك أسباب أخرى تقف إلى جانب الترجمة الآلية منها حاجة القطاع التجاري إلى ترجمة تعطي فكرة لا بأس بها عن المنتجات الصناعية والتجارية دون أن تكون على

درجة عالية من الرصانة مع ازدياد حجم مثل هذه المعلومات المطلوب ترجمتها وتوسعها لتشمل لغات جديدة في عصر العولمة[7].

ويقول هوتشينز أن الأسباب التي تدفع إلى استخدام الحاسوب في مجال الترجمة هي:

1. هناك كثير من النصوص للترجمة، والمترجمون لا يقصر عن ترجمتها.
2. الترجمات التقنية مملة جدا، والمترجمون لا يحبون ذلك النوع كثيرا.
3. وطلب الشركات الكبيرة دائما ترجمة المصطلحات التقنية بشكل متشابه ومتسق.
4. وإمكان أدوات الترجمة الآلية أن تترجم بحجم كبير وبسرعة
5. أحيانا ليس هناك حاجة إلى مستوى عال مثل ترجمات الناس[8].

ولكن، على الرغم من هذه الفوائد والمحاسن إلا أن الترجمة الآلية إلى يومنا هذا لا تزال تعاني قصورا في تقديم ترجمات مرضية، فكثيرا ما تضيع المعاني وتتداخل الأساليب اللغوية في الترجمة، وقد يحدث في بعض الأحيان أن يتعذر فهم المعنى على قارئ الترجمة. ومن هذا المنطلق تأتي هذه الورقة لتسليط الضوء على أهم نظم الترجمة الآلية، والمتمثلة في الترجمة الآلية الإحصائية، وذلك من أجل الوقوف على مدى قدرة نظم الترجمة الآلية الإحصائية على ترجمة النصوص[9].

صعوبات الترجمة الآلية: تعترض مسار الترجمة الآلية إشكالات كثيرة، ولكنها لا تقلل من دورها في بناء الحضارة، وبقدر ما نذلل هذه الإشكالات فإننا نرتقي بمستوى الترجمة وأدائها، وتصبح بذلك أنجع السبل للتواصل الحضاري بين الشعوب. ويمكن إجمال أبرز الإشكالات في النقاط التالية:

- طبيعة الترجمة، وذلك من حيث اتصالها بلغتين تمثلان ثقافتين مختلفتين، مهما كانت درجة الاختلاف، فهي تعني (استبدال مادة نصية في لغة واحدة.... بمادة نصية مكافئة لها في لغة أخرى). فجميع المفردات هنا تؤدي دلالاتها بوضوح إلا كلمة "مكافئة" لأن التكافؤ لا ينصرف لمعنى دقيق محدد، إنه كالتوازن، والتوازن تأرجح ومقاربة، وهذا هو مصدر الإشكال، وهو مصدر عدم التفاهم أحيانا حتى بين أهل اللغة الواحدة، وهذا ما عبر عنه ريتشاردز Richards بقوله: "ربما كانت الترجمة أكثر تعقيدا من كل وقائع الحياة التي ظهرت حتى اليوم في تطور الكون.

- كما تعيش الترجمة الآلية قصورا في الدعم المادي الحكومي أو الخاص في هذا المجال. وما يزيد من الصعوبات ارتباط الترجمة الآلية بعدة ميادين وتخصصات كعلم الترجمة واللسانيات بفروعها (علم الدلالة وعلم المصطلح والتركيب والنحو) وعلم الحاسوب.
- مشكلة اختلاف المعاني (بين اللغة الأصل ولغة الوصل).
- مشكلة ربط الكلمات وتكوين الجمل: يصعب على الحاسوب على غرار المترجم البشري إيجاد نظائر للتراكيب اللغوية بين اللغة الأصل Source Language ولغة الهدف Target language، دون إدخال تغيير ولو طفيف في الصيغة الأصلية لأن كل لغة تتميز بأساليبها الخاصة ولا يمكن فرض أسلوب اللغة الأصل على لغة الوصل لأن ذلك قد يؤثر سلبا على مستوى الترجمة.
- مشكلة ربط الجمل وتكوين الفقرات.
- العبارات المسكوكة (التعابير الاصطلاحية):Idioms غياب معاجم مختصة في العبارات المسكوكة إضافة إلى غياب تقييس موحد للمصطلحات.
- اللبس النحوي في غياب حركات التشكيل، مثال: يمكن أن تشيركلمة يعد إلى كلمة:

يعد: يلتزم بوعد She /he promises

يعد: يحصي He calculates /computes

يعد: يعتبر considered

- اللبس الناتج عن المتلازمات اللفظية التي يفترض أن تترجم "كمقطع واحد" بدل أن تترجم كل كلمة على حدة.

مثال: عبارة "رغب بنفسه عن الشيء" والتي تعني ترفع عن الشيء

الترجمة البشرية He raised above

نتيجة مترجمة جوجل Wished for himself

نتيجة مترجم بينج Same thing with the desired

نلاحظ بأن الترجمة الآلية في هذه الحالة بعيدة كل البعد عن الترجمة البشرية والسبب هو غياب متون لغوية ثرية لغويا وتتضمن المتلازمات اللفظية الواردة في اللغة العربية .

- نقل البنية التراكيبية للغات الأجنبية إلى اللغة العربية مثال: أكثر مهارة – عوض أمهر More skilled

أكثر قدسية – عوض أقدس More sacred رغم أن الإيجاز الذي يميز اللغة العربية يجعل المتون اللغوية العربية أقل حجما من غيرها إلا أنه قد يكون سببا من أسباب اللبس التي تواجهها نظم الترجمة الآلية.

- ندرة استعمال علامات الوقف في النصوص العربية تصعب عملية تحديد نهاية الفقرات والجمل مما يؤثر على تحديد دلالة الفقرة / الجملة وبالتالي يؤثر حتما على الترجمة المنتجة.
- لا يوجد سبيل لتحديد أسماء العلم ضمن النصوص العربية، فخلافا للنصوص العربية، نجد أن النصوص الإنجليزية أو الفرنسية تستعمل تفخيم الحرف الأول Capitalization للتمييز بين اسم العلم وباقي كلمات النص[10].

أساليب الترجمة: الترجمة تشمل مجالا واسعا وفيها أنواع متعددة. يمكن أن نقسم أساليب الترجمة بشكل عام إلى أربعة أقسام، وهي:

1. **الترجمة البشرية:** وهي الترجمة التي يقوم بها العنصر البشري كاملة، معتمدا على مخزونه المعرفي والثقافي.
2. **الترجمة البشرية بمساعدة الآلة:** فتعني استعانة الإنسان بالآلة أثناء الترجمة، سواء في مرحلة تحرير النص لما تقدمه له الآلة من معطيات ومقالات، وكتب، ومجلات. العرب لا يستخدمون الفواصل في مثل هذه الأمور بل يضعون حرف الواو، من معطيات ومقالات وكتب ومجلات والخ.
3. **الترجمة الآلية بمساعدة البشر:** يتقصر دور الإنسان على تصحيح الأخطاء الواردة في النص الهدف وتعديلها، بتغيير بعض المفردات والتأكد من السلامة النحوية والصرفية وفك اللبس اللغوي.
4. **الترجمة الآلية الخالصة:** وهي أن يقوم الحاسوب بجميع أدوار الترجمة بدون تدخل المترجم البشري، إذ يعتمد الحاسوب في ترجمته على مجموعة من القواميس

والمكانز، بنوك مصطلحات يستعين بها للوصول لنص الهدف شأنه في ذلك شأن المترجم البشري[11].

مناهج الترجمة الآلية: وهناك تصنيف آخر لنظم الترجمة الآلية وفقا للطرق العامة والخاصة المستخدمة في بنائها، يمكن تقسيمها إلى فرعين رئيسين:

أ. **نظم الترجمة الآلية القائمة على قواعد لغوية** (Rule-Based MT Systems)

وهي نظم الترجمة الآلية التي تعتمد على أي قاعدة لغوية مبرمجة سواء أكانت هذه القواعد قواعد معجمة أو نحوية أو صرفية أو غيرها. وتتفرع إلى ثلاثة أنواع:

أولا: **نظم الترجمة الآلية المباشرة**

وهي النظم الأولية والبدائية للترجمة الآلية، فقد كانت الترجمة الآلية في بواكيرها تعتمد بشكل أساسي على منهج الترجمة المباشرة. ويراد بالترجمة المباشرة: استبدال مفردة بأخرى من قاموس ثنائي اللغة الخاص بالنظام. وتشمل عملية الترجمة المباشرة ثلاث مراحل متتابعة، وهي:

1. **التحليل الصرفي:** يتم في هذه المرحلة تحديد كلمات اللغة المصدر والتعرف على الزيادات فيها ومن ثم محاولة إرجاع الأشكال المصرفة منها إلى مصادرها الأساسية غير المصرفة.
2. **المقارنة المعجمية:** يتم في هذه المرحلة عملية البحث في القاموس عن الكلمات المكافئة للغة المصدر في اللغة الهدف.
3. **إعادة الترتيب:** تتم في هذه المرحلة عملية إعادة ترتيب الكلمات في اللغة الهدف وفقا لوظيفتها الإعرابية في الجملة.

ومن أمثلة نظم الترجمة الآلية المعتمدة على الترجمة المباشرة نظام (سيستران)، الذي يعد أحد أقدم الترجمة الآلية، وعلى الرغم من أن النظام قد تطور عما كان عليه في السابق إلا أنه لا يزال يعتمد في أساسه على مبدأ ترجمة قواميس ثنائية اللغة.

ثانيا: **نظم الترجمة الآلية المعتمدة على اللغة الوسيطة** : تفترض هذه الطريقة أن يتم نقل النص الأصلي إلى اللغة الهدف بشكل غير مباشر عن طريق تمثيل وسيط، وقد يكون تمثيلا لمعنى النص الأصلي أو تمثيلا للتركيب النحوي له. وتتم الترجمة عندئذ على مرحلتين:

1. تحليل النص الأصلي ونقله إلى بنى ونماذج ممثلة في اللغة الوسيطة.
2. توليد النص في اللغة الهدف من النماذج الوسيطة الممثلة للغة المصدر.

وتعتبر هذه الطريقة حلا أفضل على المستوى النظري للتغلب على مشكلات طريقة الترجمة المباشرة التي تعتمد على طريقة الترجمة كلمة بكلمة. فمن خلال نظام الترجمة التي تعتمد على وسيط يمكن قلب النصوص الأصلية وتحويلها إلى تمثيل وسيط بين اللغتين، ويشمل هذا التمثيل كل المعلومات اللغوية الضرورية لتوليد نص مقبول في اللغة الهدف. ومثال ذلك نظام كانت (KANT) الذي طورته جامعة كارنيجي ميلون (Carnegie Mellon)، ويعد هذا النظام من أنجح النظم الآلية المعتمدة على منهج اللغة الوسيطة.

ثالثا: **نظم الترجمة الآلية التحويلية**: يعتمد هذا النظام على منهج النقل أوالتحويل، وهو منهج يقوم على ثلاث مراحل: التحليل، والتحويل، والتوليد باستخدام بنيتين وسيطتين لتمثيل مكونات الجمل لكلا النصين المصدر والهدف على حد سواء. وتتم عملية الترجمة حسب هذا المنهج على النحو الآتي:

1. التحليل: تقوم نظم الترجمة الآلية بتحليل النص الأصلي وتفكيكه إلى مكونات الجملة الأساسية، ثم تقوم بتحويله إلى اللغة الوسيطة.
2. يتم في هذه المرحلة تحويل اللغة الوسيطة المركبة من البنية الوسيطية للغة المصدر إلى البنية الوسيطة المكافئة لها في اللغة الهدف.
3. وفي المرحلة الأخيرة يتم توليد النص النهائي من البنية الوسيطية للغة الهدف.

ب: **نظم الترجمة الآلية القائمة على ذخيرة لغوية (Corpus-Based MT system)**

يعتمد هذا المنهج على مجموعة كبيرة من ذخائر لغوية مترجمة، ويتم جمع هذه الذخيرة اللغوية من أعمال المترجمين المتمرسين أصحاب الخبرة الطويلة. وتتميز هذه الطريقة بأنها لا تحتاج إلى أي قواعد لغوية في عملية الترجمة، لذلك تعتبر من أنجح الطرق وأسهلها في تصميم نظم الترجمة الآلية. وتشمل هذه الطريقة النظم الآتية:

أولا: **نظم الترجمة الآلية المعتمدة على الأمثلة:** وهي نظم مبنية على التناظر بين أزواج من الترجمات. وتعتمد الطريقة الخاصة القائمة على الأمثلة على بناء قاعدة معلومات لنصوص متقابلة في لغتين أو أكثر سبق أن ترجمها مترجمون محترفون. وتشمل هذه النظم النصوص المتقابلة في حروفها وعلامات تنقيطها والمعلومات اللسانية الناتجة عن عمليات التحليل الصرفية والقواعد اللغوية والدلالية لكل اللغات المعنية في النظام.

ويقوم هذا النظام بالترجمة على أساس المحاكاة والقياس مع ما هو مخزن في قاعدة المعلومات من أمثلة النصوص المترجمة. ويمكن أن تخزن عينات كثيرة من النماذج المترجمة بين عدد من اللغات المعينة، كما يمكن أن تغطي النماذج أيضا مجالات عديدة من العلوم والمعارف. وتستطيع مثل هذه النظم أن تقوم بتعميم جميع النصوص عند عملية الترجمة كما يمكن أن تقوم بالترجمة بين جميع اللغات المعينة. ومن أمثلة هذا النظام نظام بانغلوس (Pangloss) من جامعة كارنيجي ميلون (Carnegie Mellon).

وتمر عملية الترجمة في هذا المنهج بمراحل ثلاثة

1. **التطابق:** يقوم نظام الترجمة الآلية بالبحث عن أمثلة مماثلة أو متشابهة في اللغة الهدف.
2. **إعادة الترتيب:** يقوم النظام بترتيب الكلمات والعبارات المترجمة، ومن ثم توليد النص في اللغة الهدف.
3. **إعادة الترتيب:** يقوم النظام بترتيب الكلمات والعبارات المترجمة، ومن ثم توليد النص في اللغة الهدف.

ثانيا: **نظم الترجمة الآلية المعتمدة على الإحصائيات**

ظهرت هذه الطريقة التي تعرف بالطريقة الإحصائية من أجل تحسين أداء نظم الترجمة الآلية القائمة على الأمثلة. وتعتمد هذه الطريقة على جداول إحصائية لكل زوج من اللغات. وهذه الجداول تحتوي على احتمالات لترجمة حروف، وكلمات، وأشباه جمل، وجمل من اللغة المصدر وما يقابلها في اللغة الهدف. وتتم عملية الترجمة هنا- من خلال إحداث تقابلات بين مكونات النص المصدر والنص الهدف، وفي حالة وجود ازدواجية في المعاني يتم ترجيح المعنى الأكثر احتمالا في الجداول الإحصائية. وقد تم تطبيق هذه الطريقة لأول مرة في نظام كانديد (Candide) من مجموعة (آي بي إيم)، ولكن نتائجها كانت ضعيفة واقل كفاءة وجودة من النصوص المترجمة في الأنظمة القائمة على الأسلوب اللغوي[12].

منهج الشبكات العصبية: في بدايات العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين ظهرت تقنية استخدام التعلم العميق للترجمة الآلية، وقد أحرزت تقدما في استخدام الأساليب الإحصائية. طريقة الترجمة الآلية القائمة على التعلم العميق أبسط من

طرق الترجمة القائمة على النموذج الإحصائي، ذلك أنه لا يوجد نموذج لغوي منفصل، ولا نموذج للترجمة، ولا نموذج فاك للشفرة. هذه الطريقة تعتمد على تعليم شبكة عصبية متتالية بوضع جمل لغة المصدر كمدخلات لهذه الشبكة ووضع ترجمة هذه الجمل بلغة الهدف كمخرجات لها. وتحتاج عملية التعلم هذه إلى قوة حاسوبية عالية. وحال القدرة على تعليم هذه الشبكة العصبية، يتم استخدامها في ترجمة أي جمل أخرى من لغة المصدر[13].

الترجمة الآلية الإحصائية: مفهومها وخصائصها

في سنة 1990، وبعد فشل الترجمة القائمة على القواعد وعلى الأمثلة في تجسيد فكرة الترجمة الآلية كما كان مخططا لها، وضعت شركة IBM منظومة للترجمة من الفرنسية إلى الإنجليزية اعتمدت فيها على نصوص مترجمة مسبقا لاستنباط احتمالات وجود كلمة إنجليزية تصلح لأن تكون ترجمة صحيحة للكلمة الفرنسية، وهي الطريقة ذاتها التي تعتمدها برامج الترجمة الآلية الإحصائية إلى يومنا هذا ولكن بشكل أكثر تعقيدا[14].

تعد الترجمة الآلية الإحصائية إحدى أكثر مناهج الترجمة الآلية استخدامًا في العصر الحديث. وفي الترجمة الآلية الإحصائية، يتم تدريب مجموعة ثنائية اللغة ويتم اشتقاق المعلمات الإحصائية من أجل الوصول إلى الترجمة الأكثر ترجيحًا. تتوفر مجموعة النصوص ثنائية اللغة بسهولة لبعض اللغات ، بينما يستخدم البعض الآخر طرقًا مثل التعاون الاجتماعي القائم على السمعة لبناء ذخيرة لغوية من الإنترنت أو من أي نص رقمي وما إلى ذلك.

تستند الترجمة الإحصائية إلى جمع أكبر ما يمكن من ذخيرة لغوية (Corpus) وإعمال أكبر ما يمكن من جهد إحصائي عليها لكي تهيأ للاستخدام في الترجمة الآلية. وهذه الذخيرة المترجمة هي بالأساس مترجمة من قبل مترجمين من البشر فهي تستخلص خبرات البشر للإفادة منها في الترجمة الآلية. الفلسفة وراء هذه الطريقة هي أن الذخيرة اللغوية إذا كانت كبيرة الحجم بما فيه الكفاية فهي تجمع بين دفاتها معظم الكلمات الشائعة في اللغة ومعظم التعابير اللغوية ومعظم التراكيب النحوية والصرفية فيها. وعلى ذلك فإن أي عملية إحصائية على هذه الذخيرة تعطي نتائج قريبة من واقع اللغة الفعلي[15].

طريقة الترجمة القائمة على أسس إحصائية تستخدم فيها النماذج الإحصائية معلماتها مشتقة من تحليل كم كبير من النصوص- ثنائية اللغة وأحادية اللغة. وقد اقترحت فكرة الترجمة الآلية الإحصائية في عام 1949م، عندما فكر بعض العلماء في استخدام نظرية المعلومات وفك الشفرة لكتابة برامج الحواسيب لترجمة النص من لغة طبيعية إلى أخرى، وبعد أربعة عقود- في أواخر عام 1980م، قامت مجموعة من باحثي شركة IBM بإعادة النظر في فكرة استخدام الأساليب الإحصائية للترجمة، وشجعهم على ذلك الزيادة في قوة الحوسبة، وتوافر كم كبير من النصوص المترجمة، وعدم إحراز تقدم ملحوظ في وسائل الترجمة الأخرى. وكانت طريقة الترجمة القائمة على أسس إحصائية هي النموذج الأبرز للترجمة الآلية في تسعينيات القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين لأسباب عديدة، منها: دقة الترجمة، وإمكانية تحسين الترجمة ببذل مجهود أقل من الطرق الأخرى، وكذلك سرعة بناء برنامج الترجمة للغات متعددة متى توافر كم كبير من النصوص المترجمة للغتين[16].

منهجية الترجمة الإحصائية بدأت تكتسب زخما في نهاية الثمانينيات الميلادية حتى وقتنا الحاضر. فبدلا من الاستعانة بخبراء اللغة لكتابة قواعد الترجمة كما في الأنظمة القائمة على القواعد (rule-based) يمكن استخراج قواعد احتمالية (probabilistic rules) من النصوص من خلال الإحصاء. ففي عام 1993م نشر باحثون من شركة آي بي إم ورقة علمية مشهورة بعنوان "رياضيات الترجمة الآلية الإحصائية" تصف خمسة نماذج لبناء نظام ترجمة من اللغة الفرنسية إلى الإنجليزية عرفت لاحقا بنماذج آي بي إم اعتمادا على نصوص وقائع البرلمان الكندي المدونة باللغتين. وبعد سنوات قام باحثون ببرمجتها وجعلها مفتوحة المصدر أثناء ورشة صيفية في جامعة جونز هوبكنز.

هذه الطريقة الإحصائية تقوم على بناء نموذج إحصائي للترجمة ونموذج إحصائي للغة، ليستخدما بعد بنائهما بواسطة برنامج لتوليد لغة الهدف من لغة المصدر، وهذا البرنامج يطلق عليه "برنامج فاك الشفرة". وهذا الاسم قد تم إطلاقه على هذا البرنامج لأسباب تاريخية، إذ إنه في بداية الأبحاث في الترجمة الآلية كان ينظر إليها على أن جملة لغة الهدف تم تشفيرها إلى لغة المصدر وأن المترجم الآلي هو الذي يقوم

بفك جملة المصدر المشفرة إلى جملة الهدف. والاختلاف بين مناهج الترجمة على أسس إحصائية قائم على طريقة بناء نموذج الترجمة الإحصائي، ومن ثم على كتابة البرنامج المناسب لاستخدام هذا النموذج لبرنامج فاك الشفرة[17]. وتتم عملية الترجمة الإحصائية من خلال اختيار أفضل احتمال لجملة من اللغة المترجم إليها (العربية- اللغة الهدف) والتي تقابل الجملة المراد ترجمتها (الإنجليزية-اللغة المصدر) ويتم وبعدها تلقائيا محاذاة الكلمات والعبارات بالاعتماد على البيانات الموجودة داخل مكنزثنائي اللغة. ويمكن أن نقسم هذا النظام الإحصائي إلى مرحلتين: مرحلة التدريب ومرحلة الترجمة التي يتم خلالها بناء نموذج لغوي ونموذج الترجمة وبعدها يتم استخدام خوارزميات البحث الشامل في اختيار أفضل ترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف. من أشهر مستخدمي هذه الطرق مترجم جوجل:

مرحلة التدريب: في هذه المرحلة يبنى النموذج اللغوي الإحصائي للترجمة وجدول العبارات وذلك باستخدام مجموعة من النصوص في كل من اللغة المصدر واللغة الهدف، ويتم تحديد الاحتمالات تلقائيا عن طريق تدريب نموذج إحصائي باستخدام مكنز ثنائي اللغة. وتتم هذه المرحلة من خلال تجميع الوثائق (مكنز ثنائي Parallel corpus) من التراجم التي سبق أن ترجمت من قبل مترجمين محترفين، ومن ثم تستخدم تلك النصوص تلقائيا من أجل استنتاج النموذج الإحصائي وجدول العبارات[18].

وبعد الانتهاء من مرحلة التدريب ننتقل إلى مرحلة الترجمة ، وفي هذه المرحلة الترجمة الآلية الإحصائية تمر بثلاث مراحل: وهي نموذج اللغة ونموذج الترجمة وفك التشفير ، ويحدد نموذج اللغة احتمالية اللغة الهدف مما يساعد في تحقيق الطلاقة في اللغة الهدف واختيار الكلمة الصحيحة في اللغة المترجمة. يشار إليه عمومًا باسم P (T). من ناحية أخرى، يساعد نموذج الترجمة في حساب الاحتمال الشرطي للغة الهدف بالنظر إلى اللغة المصدر يُشار إليها عمومًا على أنها P (T | S). وأخيرًا، في مرحلة فك التشفير، يكون الحد الأقصى لاحتمال منتج لكل من نموذج اللغة ونموذج الترجمة محسوب والذي يعطي الجملة الأكثر احتمالا إحصائيًا في اللغة الهدف[19].

معمارية بسيطة لنظام ترجمة

نصوص مترجمة **نصوص غير مترجمة**

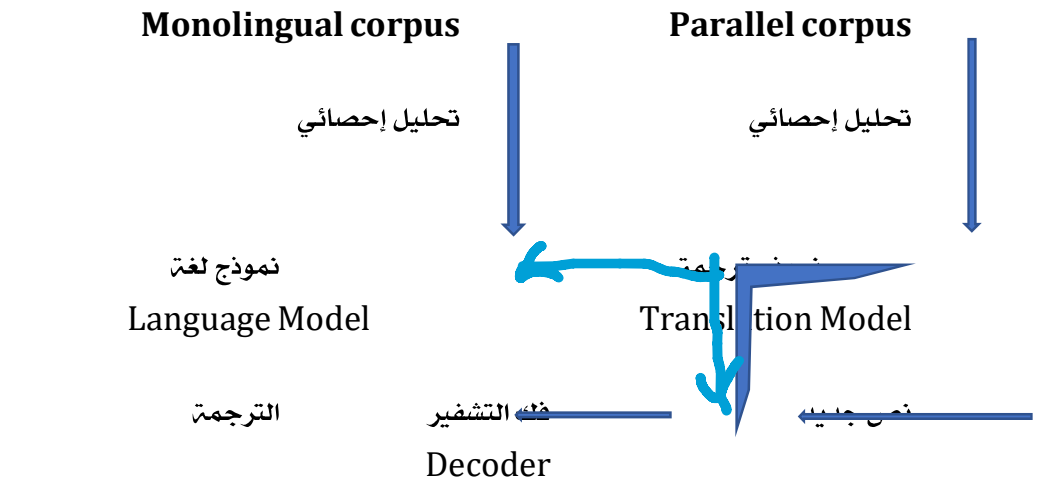

مناهج الترجمة القائمة على أسس إحصائية: وسنعرض هنا مناهج الترجمة القائمة على أسس إحصائية، والتي تتمثل في: المنهج القائم على مستوى ترجمة الكلمة، والمنهج القائم على مستوى ترجمة العبارة، والمنهج القائم على مستوى ترجمة بناء هرمي للعبارة، والمنهج القائم على مستوى ترجمة لغة المصدر إلى بناء نحوي للغة الهدف.

المنهج القائم على مستوى ترجمة الكلمة: في النماذج القائمة على ترجمة كلمة، يكون نموذج الترجمة عبارة عن مجموعة من الاحتمالات لترجمة كلمات من لغة المصدر إلى كلمات من لغة الهادف، ويتم تقدير هذه الاحتمالات من مدونة ثنائية متحاذية. هناك خمسة نماذج أساسية لتقدير ترجمة كل كلمة من لغة الهدف إلى أكثر من كلمة في لغة المصدر، وهذه النماذج الخمسة تم اقتراحها من قبل مركز أبحاث IBM في بداية التسعينيات من القرن الماضي. تعتمد هذه النماذج على فرض أن كل كلمة في جملة في لغة الهدف قد يكون مصدرها أي كلمة في جملة لغة المصدر الموازية لها، حيث يتم توليد جميع التباديل للكلمات في كل جملتين في المدونة المتحاذية، وكل تبديل من هذه التباديل يعطي احتمالا متساويا في البداية.

وباستخدام هذه التباديل يتم حساب احتمالات ترجمة كل كلمة من كلمات لغة الهدف إلى ما يقابلها من كلمات في لغة المصدر، وبناء على هذه الاحتمالات يعاد حساب احتمالات التباديل المختلفة لكل جملة حتى يتم الوصول إلى أفضل تقابل بين كل كلمة في جملة لغة الهدف والكلمة أو الكلمات المقابلة لها في الجملة المحاذية من لغة المصدر لكل الجمل في المدونة.

والمشكلة الأساسية في النماذج القائمة على ترجمة كلمة أنها لا تستخدم أي كلمات سابقة أو لاحقة لتقدير احتمال الترجمة، وفي بعض الأحيان يكون من المفيد أن تكون وحدة الترجمة أكثر من كلمة لإنتاج ترجمة جيدة. فعلى سبيل المثال، إذا أردنا ترجمة "وزير صيني" إلى اللغة الإنجليزية – مع افتراض أنه قد تم تحديد أن كلمة "وزير" معناها (Minister) وأن كلمة "صيني" معناها (Chinese)، فإن الترجمة سوف تكون (Minister Chinese)، وهذه ترجمة خاطئة، أما إذا كانت وحدة الترجمة مكونة من كلمتين وتم تحديد ترجمة هذه الوحدة، فإننا سوف نحصل على الترجمة الصحيحة.

المنهج القائم على مستوى ترجمة العبارة: تم اقتراح هذا المنهج للتغلب على المشكلات الناتجة عن المنهج القائم على مستوى ترجمة الكلمة. وحدة الترجمة في هذا المنهج هي مجموعة من الكلمات المتلاصقة. هذه المجموعة من الكلمات المتلاصقة – والتي سوف نطلق عليها عبارة لا تمثل أي مكون لغوي – ليست سوى سلاسل من الكلمات المختارة وفقا لمحاذاة كل كلمة في جملة المصدر لمقابلها في جملة الهدف. فعلى سبيل المثال، يمكن توليد العبارات المكونة من كلمتين وترجمتها من المصفوفة الموضحة في الشكل.

ومن خلال المدونة اللغوية المتوازية – والتي تم مقابلة كل كلمة في جملها المكتوبة لها بلغة المصدر- يتم حساب احتمالات ترجمة كل العبارات بأطوالها المختلفة: الأحادية، الثنائية، الثلاثية، ... إلخ من لغة الهدف إلى المصدر.

المنهج القائم على مستوى ترجمة بناء هرمي للعبارة: يقوم هذا المنهج على استخدام قواعد السياق الحر المتزامن، وكل قاعدة من هذه القواعد تتكون من جانب أيمن يعبر عن مكون نحوي، وجانب أيسر يمثل مجموعة من الكلمات أو المكونات النحوية الأقل تعقيدا من الجانب الأيمن بلغة المصدر والمكافئ لها بلغة الهدف.

المنهج القائم على مستوى ترجمة لغة المصدر إلى بناء نحوي للغة الهدف: تقوم فكرة هذا المنهج على التحليل النحوي للجمل على جانب لغة الهدف في المدونة ثنائية اللغة، ومحاذاة الكلمات من كلا الجانبين، ثم تعلم قواعد ترجمة تربط بين الكلمات والعبارات والجمل من لغة المصدر مع الأشجار البنائية الناتجة عن التحليل اللغوي للجمل على جانب لغة الهدف. هذه المجموعة من قواعد الترجمة تعتبر نموذج الترجمة للمنهج القائم على مستوى ترجمة لغة المصدر إلى بناء نحوي للغة الهدف، ويستند

برنامج فاك الشفرة في هذا المنهج إلى بناء شجرة التحليل البنيوي لجملة الهدف، لجملة مدخلة بلغة المصدر، باستخدام نموذج الترجمة الذي تم بناؤه، ثم تحويلها إلى البناء الظاهري للغة الهدف[20].

البرامج اللغوية المطلوبة لنظم الترجمة الآلية القائمة على أسس إحصائية: البرامج الأساسية للترجمة الآلية القائمة على أسس إحصائية هي:

- برنامج محاذاة الكلمات.
- برنامج بناء نموذج ترجمة العبارة.
- برنامج توليد قواعد لغوية متحررة من السياق ومتزامنة.
- برنامج توليد قواعد ترجمة.
- برنامج فاك الشفرة الخاص بالنظام القائم على مستوى ترجمة الكلمة.
- برنامج فاك الشفرة الخاص بالنظام القائم على مستوى ترجمة العبارة.
- برنامج فاك الشفرة الخاص بالنظام القائم على مستوى بناء هرمي للعبارة.
- برنامج فاك الشفرة الخاص بالنظام القائم على مستوى ترجمة لغة المصدر إلى بناء نحوي للغة الهدف.

يوضح الجدول التالي العلاقة بين مناهج الترجمة القائمة على أسس إحصائية والبرامج المطلوبة لتنفيذ هذه البرامج.

	ب رنامج محاذاة الكلمات	ب رنامج بناء نموذج ترجمة العبارة	ب رنامج توليد قواعد لغوية متحررة من السياق	ب رنامج توليد قواعد ترجمة	ب رنامج فاك الشفرة	ب رنامج بناء نموذج اللغة

			ومتزامنة			
المنهج القائم على مستوى ترجمة الكلمة	X				برنامج فاك الشفرة الخاص بالنظام القائم على مستوى ترجمة الكلمة	X
المنهج القائم على مستوى ترجمة العبارة	X	X			برنامج فاك الشفرة الخاص بالنظام القائم على مستوى ترجمة العبارة	X
المنهج القائم على مستوى ترجمة بناء هرمي	X		X		برنامج فاك الشفرة	X

للعبارة					الخاص بالنظام القائم على مستوى ترجمة بناء هرمي للعبارة	
المنهج القائم على مستوى ترجمة لغة المصدر إلى بناء نحوي للغة الهدف	X			X	برنامج فاك الشفرة الخاص بالنظام القائم على مستوى ترجمة لغة المصدر إلى بناء نحوي للغة الهدف	

الجدول: العلاقة بين مناهج الترجمة القائمة على أسس إحصائية والبرامج المطلوبة لتنفيذ هذه المناهج [21].

أهم المترجمات الآلية الإحصائية: أما البرامج والأدوات التي تستخدم على نطاق واسع من الباحثين المهتمين بالترجمة الآلية القائمة على اسس إحصائية والمتاحة للجمهور فهي:

- جيزة ++ (GIZA++). هو امتداد للبرنامج الجيزة الذي تم تطويره خلال صيف عام 1999م أثناء ورشة عمل في مركز اللغات في جامعة جونز هوبكنز. الجيزة ++ يستخدم من قبل العديد من العلماء لبناء نموذج الترجمة القائم على مستوى الكلمة، كما يستخدم لمحاذاة الكلمات في مدونة ثنائية اللغة. ويمكن تحميل هذه الأداة مجانا من شبكة الإنترنت.
- **Moses:** هو برنامج لخدمات الترجمة المجانية، محرك ترجمة آلي إحصائي يمكن استخدامه لتدريب النماذج الإحصائية لترجمة النص من لغة المصدر إلى لغة الهدف. يسمح البرنامج بعد ذلك بفك تشفير نص اللغة المصدر باستخدام هذه النماذج لإنتاج ترجمات تلقائية في اللغة الهدف. يتطلب التدريب مجموعة موازية من المقاطع باللغتين، وعادة ما تتم ترجمة أزواج الجمل يدويا. بمجرد حصولك على نموذج مدرب، تجد خوارزمية بحث فعالة بسرعة أعلى احتمال للترجمة بين العدد الأسي للخيارات.
- **UCAM-SMT:** نظام الترجمة الآلية الإحصائية المجانية من كامبردج وهو مجموعة من الأدوات للترجمة الآلية الإحصائية، والتي تعتمد على OpenFST.
- **Phrasal:** ستانفورد فراسال نظام ترجمة آلية إحصائية قائم على نظام الترجمة الآلية، مكتوب بلغة جافا. يوفر الكثير من الوظائف نفسها مثل جوهر Moses. ويتميز بما يلي: توفير واجهة برمجة تطبيقات سهلة الاستخدام لتنفيذ ميزات نموذج فك التشفير الجديدة، والقدرة على الترجمة باستخدام عبارات تتضمن الفجوات. والاستخراج المشروط لجداول العبارات ونماذج إعادة الترتيب المعجمية.
- **Yandex:** وهو محرك بحث روسي على غرار محرك بحث جوجل، فإن محرك البحث الروسي المنشأ ياندكس وفر خدمة ترجمة للنصوص بنظام الترجمة الآلية الإحصائية، وحتى عام 2017م وصل عدد اللغات التي يترجم منها وإليها إلى 90 لغة حول العالم.

ويتميز المحرك بالتطوير الدائم على محتوى الترجمة والقدرة على التفريق بين الكلمات بناء على سياقاتها، بالإضافة إلى ترجمة النصوص الواردة على شكل صور ويقدم خدمات الترجمة المجانية للمستخدمين[22].

ولكي نفهم بشكل أفضل الترجمة الإحصائية، يحسن لنا أن نقوم بمقارنة بين نظامي الترجمة الآلية الإحصائية والعصبية خلال الجدول الآتي:

الفرق بين نظامي الترجمة الآلية الإحصائية والعصبية

محور المقارنة	الترجمة الإحصائية	الترجمة العصبية
آلية العمل	التحليل الإحصائي والاحتمالات كلمة بكلمة/ عبارة بعبارة هندسة السمات	شبكات الترميز وفك الترميز جملة بجملة تدريب سمات متعددة معا
استخدام وحدة المعالجة المركزية	أقل	أكثر
زمن التدريب	أقل	أكثر
فك الترميز	أقل قدرة على فك الرموز لأنها تعتمد على النماذج الأكثر تكرارا	أكثر قدرة لأنها في الأساس تعتمد على شبكات الترميز
المساحة على القرص	أكبر	أقل مساحة
القدرة على الترجمة	أفضل نظرا لوجود مفردات في الترجمة	أقل قدرة بسبب افتقارها لعملية ترجمة المفردات
أخطاء الصرف والتركيب	أقل جودة، لأنها تعتمد على ترجمة كلمة بكلمة	أفضل بسبب اعتمادها على الترميز والترجمة جملة بجملة
ترجمة المفردات النادرة	أكثر قدرة	أقل قدرة
إعادة ترتيب المسافة البعيدة	أقل	أكثر

تحمل البيانات المشوشة	أقل قدرة	افضل
تعدد المجالات	محدودة المجالات	أكثر اتساعا وشمولية للترجمة بمجالات متعددة
ترجمة نفس الكلمة أكثر من مرة	أكثر اتساقا	أقل اتساقا

23

وفي السطور الآتية نذكرأبرز المميزات والسلبيات للترجمة الآلية الإحصائية، حيث تتجلى صورة حقيقية لهذه الطريقة من الترجمة الآلية.

مميزات الترجمة بطريقة إحصائية

- تتميز أنظمة الترجمة الآلية الإحصائية بقدرتها على تعلم ترجمة العبارات وليس الكلمات المفردة فقط.
- لا تعتمد في عملية الترجمة على اللغة وقواعدها.
- قليلة التكلفة وسهلة البناء لأن لا تحتاج إلى مكانز ثنائية اللغة.
- القدرة على التعامل مع الألفاظ الدارجة أو المجازية (Idioms) الموجودة في المكنز ثنائي اللغة.
- أنها تجمع عدة موارد معرفية لاستخدامها لتحليل الجملة المترجمة.
- لا تحتاج إلى العنصر البشري وإنما كل العمليات تتم باستخدام الحاسوب[24].
- تكمن في قدرتها على معالجة (ترجمة) كم هائل من المعلومات في وقت وجيز.
- يمكن تحسين مستوى الترجمة بإدماج محلل صرفي ضمن نظام الترجمة الإحصائية.
- يمكن تحسين مستوى الترجمة من خلال استعمال متون لغوية موسومة Annotated corpora[25]
- من أهم إيجابيات الترجمة الإحصائية أن نوعية الترجمة تتحسن مع مرور الوقت، فكلما زادت كمية المعطيات في قاعدة البيانات ازدادت درجة التعلم وبالتالي تتحسن نوعية الترجمة.

المشاكل التي تعاني منها الترجمة الإحصائية: لا تزال الترجمة الإحصائية تعاني من كثير من الصعوبات. من هذه المشاكل أن الدقة في الترجمة الإحصائية تعتمد على نوع ودقة الذخيرة المستعملة وعلى البرمجيات المستعملة فيها. كما إن تغير اللغة والمفردات المستعملة مع مضي الزمن وضخامة الذخيرة المطلوبة يجعل هناك ضرورة لتحديد الزمن التأريخي للنص. فكلمة "السيارة" حين ترد في نص مكتوب قبل قرون تعني غير "السيارة" المكتوبة في نص مستعمل اليوم. كما أن هناك مشكلة في تحديد الأسماء فكلمة "أحمد" في جملة "أحمد الله على نعمائه" هي ليست اسم علم. ومن الصعوبة بمكان على الآلة تحديد هل الكلمة ذات معنى أم اسم علم. وتحتاج إلى الكثير من الضوابط البرمجية لكي تميز الآلة بين الكلمة كاسم علم أو غيره[26].

ويمكن تقسيم تحديات الترجمة إلى تحديات لغوية وأخرى ثقافية، تشمل التحديات اللغوية: مفردات المعجم، والصرف، وبناء الجملة، واختلافات النص، والأساليب البلاغية، وغيرها من العوامل اللغوية. قد يواجه المترجم بعض التحديات الثقافية أمام بعض العبارات العربية التي ليس لها ما يقابلها في اللغة الإنجليزية. فعلي سبيل المثال مصطلح "التيمم"، وهو "ممارسة طقوس الوضوء باستخدام الرمل أو الغبار بدلا من الماء في حالة عدم توفر مياه صالحة للوضوء"، وهو من المصطلحات التي ليس لها مفهوم مماثل في اللغة الإنجليزية.

ومشكلة الترجمة الآلية الإحصائية أنها تحتاج إلى مجموعة كبيرة جدا من المترجمات سبق أن ترجمت من قبل إلى عدة لغات (مكنز ثنائي ضخم). وهي تحتاج إلى الكثير من المواد بكلتا اللّغتين لإخراج البيانات والأنماط منه، حيث قد يكون من الصعب جمعها فلذلك كلما قل عدد الترجمات، كلما كانت دقة هذه الترجمات أقل. فترتبط نظم الترجمة الإحصائية ارتباطات وثيقا بالمتون اللغوية، فإذا كانت المتون اللغوية التي تم استعمالها لتدريب نماذج الترجمة محدودة لغويا وذات حجم صغير، فإن ذلك سيؤثر حتما على مستوى ترجمة النص المنتج، إضافة إلى ذلك فإن الكلمات الغير واردة في متن التدريب ووردت في النص المدخل نص اللغة الأصل Source language[27] لن تتم ترجمتها.

تعتمد الترجمة الإحصائية على مرحلة التدريب في نوعية النتائج، وهذا يعد من السلبيات في الترجمة الآلية، لأن نظم الترجمة الآلية الأخرى لا تعتمد على مرحلة

التدريب قبل الترجمة. والمشكلة الأخرى هي أن الترجمة الإحصائية لا تتعامل بشكل دقيق مع بناء الجملة. وعدم إيجاد مكافئ في اللغة الثانية، وعدم إلمام بالتعبيرات الثقافية يعتبرهما المترجمون مشكلة كبرى في أداء معنى الكلمة عند الترجمة. وبجانب آخر الكلمة الواحدة قد تحمل عدة معاني في اللغة العربية.

مشاكل لغوية: ولا شك فيه أن أداء نظم الترجمة الآلية الإحصائية مرهون بنوعية وحجم النصوص المخزنة في قاعدة بياناتها، وفي حال عدم وفرة وتنوع الذخيرة اللغوية، فسيُنتج البرنامج نصا مترجما ذا مشاكل لغوية متعلقة ب:

- **محاذاة الجمل (sentence alignment)** : من المعلوم أن لكل لغة منطقها وطريقة تشكيلها للجمل وتعبيرها عن الأفكار، فما يعبَّر عنه في جملة واحدة باللغة الإنجليزية قد يعبَّر عنه في جملتين في اللغة العربية، وهنا تواجه برامج الترجمة الآلية الإحصائية مشكل حدوث الخطء عند محاذاة النصوص المدخلة وخاصة في حال محاذاة نصين من أزواج لغوية متباعدة (Oransa O.أ 2019) ذلك لأن عملية المحاذاة تتم بطريقة آلية ولا تخضع غالبا للمراجعة والتدقيق البشري.
- **ترجمة التعابير الاصطلاحية (idioms)** : تعجز أداوت الترجمة الآلية الإحصائية عن ترجمة التعابير الاصطلاحية بشكل سليم يتوافق وثقافة اللغة الهدف ذلك لأنها تتشكل من مجموعة من الكلمات التي لا يتضح معناها إلا بتجميعها في إطار محدد، فمثلا : يشيع في البرلمان الكندي استعمال عبارة « hear ؛ hear ؛ » للتعبير عن إعجاب الحاضرين بكلام المتحدث. حيث بدأ استعمال هذا التعبير الاصطلاحي في القرن السابع عشر كوسيلة لإبداء موافقة أعضاء مجلس العموم (House of Commons) على رأي المتحدث بدلا من التصفيق الذي كان ممنوعا وقتها في الاجتماعات الرسمية. وبدلا من أن يترجم برنامج الترجمة الآلية الإحصائية العبارة إلى «أحسنت! أحسنت!» يترجمها حرفيا إلى «اسمع! اسمع!».
- **ترتيب الكلمات (word order)** : تختلف طريقة ترتيب كلمات الجملة من لغة إلى أخرى وبالأخص إذا كانت قواعد اللغة المنقول منها وإليها تختلفان بشكل

كبير حال اللغة العربية والإنجليزية، مما قد يؤدي بأداة الترجمة الآلية الإحصائية إلى ترجمة الجمل ترجمة خاطئة من حيث ترتيب الكلمات في الجملة الواحدة كتقديم الاسم على الفعل في تشكيل الجمل الفعلية في اللغة العربية. ويزداد الأمر صعوبة كلما زاد طول الجملة وتداخل أفكارها.

- **الأخطاء النحوية (syntactic errors)** : عند ترجمة النصوص على أداة الترجمة الآلية الإحصائية يمكن ظهور مشاكل نحوية متعلقة بسوء تصريف الأفعال أو عدم التمييز بين المثنى والجمع أو بين التأنيث والتذكير، ويرجع سبب ذلك إلى عدم تدريب المتون أحادية اللغة بشكل دقيق ومدروس أو عدم إضافة معلومات نحوية كافية للذخيرة اللغوية المخزنة في قاعدة بيانات البرنامج[28].

الخاتمة: قدمنا في هذه الورقة نبذة مختصرة عن تاريخ الترجمة الآلية، ثم تطرقنا إلى مناهج الترجمة الآلية لكي تأتي أمامنا خلفية الترجمة الآلية بقدر من التفصيل. ثم ناقشنا الترجمة الآلية الإحصائية التي هي أهم مناهج الترجمة الآلية في العصر الحديث والتي هي موضوع بحثنا هذا. وفي هذا البحث تطرقنا إلى بعض أهم النقاط والأبحاث التي تتعلق بالموضوع مباشرة ، إلا أن هذا المجال لا زال نشطا بحثيا، والكثير من التجارب تنشر في العديد من اللغات الإنجليزية والصينية والعربية والهندية وغيرها. وفي الختام يحلو لي القول إن قيام الحاسب الآلي بعملية الترجمة وكونه سيحل محل المترجم البشري كان وما يزال حلما يرواد الكثيرون ولا نتوقع حدوثه قريبا. ولكن يظل الحاسب الآلي معينا ومساعدا للمترجم وتزداد الخدمات التي يقدمها له يوما بعد آخر. وهذا في حد ذاته إنجاز لا يستهان به، وما لا يدرك كله لا يترك جله.

النتائج

- كتابة البحوث حول الترجمة الآلية في العالم العربي أقل بكثير مقارنة بالدول الغربية.
- كانت الترجمة الإحصائية أهم المناهج المهيمنة حتى وقت قريب، لكنها تحتاج لمدونات كبيرة جدا لكي تعطي نتائج ملموسة، وبالأسف الذخيرة اللغوية في العربية لا تزال ضعيفة ومحدودة.

- الدقة في الترجمة الإحصائية تعتمد على نوع ودقة الذخيرة المستعملة وعلى البرمجيات المستعملة فيها، كما يضعف أداء نظم الترجمة الآلية عند ترجمة النصوص الطويلة.
- تواجه الترجمة الآلية تحديات كثيرة منها تحديات لغوية وثقافية.
- وجد الباحث قلة النصوص المترجمة بين اللغة العربية واللغات الأخرى التي يمكن الإفادة منها في تكوين ذخيرة لغوية مفيدة للترجمة الآلية التي تستند إلى أسس إحصائية.
- قد تم التطرق إلى أهم الأبحاث، إلا أن هذا المجال لازال نشطا بحثيا، ومازال هناك فرص لتحسين أداء الترجمة الآلية لتجاوز التحديات الكثيرة التي تطرقنا إلى بعضها.
- ينصح الباحث العالم العربي بأن يستفيد من التجربة الناجعة للهند في مجال الترجمة الآلية.
- كتابة مشاريع بحثية في توظيف التقنيات المتعلقة بالترجمة الآلية في خدمة اللغة العربية.
- بالرغم من ازدهار حركة الترجمة الآلية وتطور البحوث العلمية في هذا المجال، لا تزال نظم الترجمة الآلية ومجال الذكاء الاصطناعي بحاجة إلى تدخل الإنسان.
- إن مستقبل الترجمة الآلية مستقبل زاهر بالرغم من التحديات الكثيرة.

الهوامش

[1] **خوارزميات الذكاء الاصطناعي.** ص: 72.

[2] د. محمد زكي خضر. **اللغة العربية والترجمة الآلية: المشاكل والحلول.**

[3] **المعالجة الآلية للنصوص العربية.** ص:59.

[4] **نظم الترجمة الآلية الإحصائية والتحويلية: دراسة تحليلية مقارنة.** ص:62.

[5] **اللغة العربية والترجمة الآلية: المشاكل والحلول.**

[6] **الترجمة الآلية إلى اللغة العربية: صعوبات وتحديات "ترجمة غوغل مثالا.** ص: 20.

[7] **اللغة العربية والترجمة الآلية: المشاكل والحلول.**

[8] Şahin، Mehmet (2013). Çeviri ve teknoloji. İzmir: İzmir Ekonomi Üniversitesi Yayınları.s.78)

[9] مجدي، حاج إبراهيم، عائشة رابع محمد. **نظم الترجمة الآلية الإحصائية والتحويلية، دراسة تحليلية مقارنة.**

[10] **الترجمة الآلية: الواقع والآفاق.**

[11] محدب، فطيمة. **أخطاء الترجمة الآلية: ترجمة غوغل نموذجا.** ص: 12-13.

[12] **نظم الترجمة الآلية الإحصائية والتحويلية: دراسة مقارنة.** ص: 66-70.

[13] **المعالجة الآلية للنصوص العربية.** ص: 76.

[14] https://aleph.edinum.org/2265 .

[15] أ. د. محمد زكي خضر. **اللغة العربية والترجمة الآلية:المشاكل والحلول.**

[16] **المعالجة الآلية للنصوص العربية.** ص: 61.

[17] المرجع نفسه، ص: 69.

[18] عمرو، محمد اسماعيل، وآخرون. **الترجمة الآلية من الإنجليزية إلى العربية باستخدام الطريقة الإحصائية اعتمادا على المقاطع اللغوية المستخلصة من مكانز ثنائية اللغة.**

[19] Sugata Sanyal، Machine translation systems in India

[20] **المعالجة الآلية للنصوص العربية.** ص: 73.

[21] المرجع نفسه، ص: 78.

[22] https://tanweir.net/ar/

[23] https://tanweir.net/ar/

[24] https://shamrablog.com

[25] http://isat-al.org/Main_Ar/portfolio-item/

[26] أ. د. محمد زكي خضر. **اللغة العربية والترجمة الآلية: المشاكل والحلول.**

[27] http://isat-al.org/Main_Ar/portfolio item/

[28] https://aleph.edinum.org/2265?lang=ar#tocto1n3

المصادر والمراجع

- د. محمد عطية، وآخرون. **العربية والذكاء الاصطناعي.** مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة للغة العربية، 2019م.
- د. الغامدي، منصور بن محمد، وآخرون. **مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية.** مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2017م.

- د. محسن رشوان، وآخرون. **مقدمة في حوسبة اللغة العربية.** مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2019م.
- د. الصانع، وليد بن عبد الله، وآخرون. **خوارزميات الذكاء الاصطناعي في تحليل النص العربي.** مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2019م.
- د. مجدي، وليد، وآخرون. **المعالجة الآلية للنصوص العربية.** مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2019.
- د. عمرو، محمد اسماعيل، وآخرون. الترجمة الآلية من الإنجليزية إلى العربية باستخدام الطريقة الإحصائية اعتمادا على المقاطع اللغوية المستخلصة من مكانز ثنائية اللغة. **مجلة هندسة الاتصالات والحوسبة، ع: 2.** 2012م.
- د. صديق بسو. **اللغة العربية والترجمة الآلية الإحصائية.**
- أ. د. محمد زكي خضر. **اللغة العربية والترجمة الآلية: المشاكل والحلول.**
- مجدي، حاج إبراهيم، عائشة رابع محمد. نظم الترجمة الآلية الإحصائية والتحويلية: دراسة تحليلية مقارنة، **مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع:1.** 2012م.
- كبير زهرة. الترجمة الآلية: الواقع والآفاق. **مجلة الترجمة واللغات، ج:17، ع:1.** 2018م.
- Sugata Sanyal, Machine Translation systems in India, 2013
- Şahin, Mehmet)2013(, Çeviri ve teknoloji, İzmir: İzmir Ekonomi Üniversitesi Yayınları.)

موسيقية الإبداع النقدي في الكتاب "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية" دراسة تحليلية

نسرين مندول*
nasrinmondal370@gmail.com

ملخص البحث: *من المعلوم أن النقد يختلف من الأدب من حيث الوظيفة والبناء، لأن الأدب يطلق على كل كلام يرقق الحس ويثير المشاعر مع توفر عناصر الأدب فيه من الفكرة والخيال والأسلوب والعاطفة، بينما يراد بالنقد مايميز بين الكلام الرديء والجيد، والأدب وظيفته صياغة مايدور في خيال الكاتب في قالب سردي، والنقد وظيفته إبداء ما فيه من مواضع الحسن والضعف. فمهما اختلفت وظيفة الأدب والنقد ولكن النقد كل للأدب لأداء دوره والقيام بعمله، لو تجرد النقد من حلاوة الأدب وموسيقية الإبداع يكون جافا ومملا وسببا للسآمة. فتفوز الدراسة النقدية بالوصول إلى مبتغاها عندما رافقتها روح الإبداع والقوة الإبداعية. فالنقد موهبة موهوبة من الله كالأدب كما يصفه الأدباء كموهبة موهوبة من الله. والناقد يتصف بالقوة الإبداعية والتذوق الأدبي والقريحة الأدبية بجنب كونه متحليا بموهبة النقد، لأن الناقد يستخدم التقنيات الفنية والجماليات الأدبية للبلوغ إلى غرضه المنشود فمرة من خلال عقد عناوين جذابة وتارة من خلال استخدام الأسلوب الرمزي وتارة أخرى من خلال التشويق، وخير نموذج لكل ذلك الكتاب النقدي "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية". فنظرا إلى ذلك اخترت كعنوان لورقة البحث "موسيقية الإبداع النقدي في الكتاب "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية" دراسة تحليلية. "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية "كتاب نقدي ألفته ناقدة فلسطينية تخصصت في الدراسات النقدية المعاصرة، وهي ميادة أنور الصعيدي، وأبرزت الناقدة فيه التقنيات القصصية التي استخدمها جعفر العقيلي لإبداع القصص القصيرة. وصبت الكاتبة جميع قواها النقدية في إعداد هذا الكتاب حتى قامت وزارة الثقافة الأردنية بتبني الكتاب وتمت طباعته بدعم منها.*

* باحثة الدكتوراة، جامعة دلهي

يشتمل هذا المقال على تعريف وجيز بالكتاب مع الإشارة إلى نبذة عن حياة الناقدة، كما يحتوي على المناهج التي اتخذتها لإعداد هذا الكتاب مع التركيز على الخصائص الفنية والتقنيات النقدية والميزات الأدبية وموسيقية الإبداع النقدي التي يلفت الكتاب من أجلها انتباه القراء والمعنيين بالنقد ويحتل مكانة مرموقة في مجال النقد.

كلمات مفتاحية: الإبداع النقدي، سيمفونية النقد، جمالية العنوان، جمالية الغلاف

نبذة عن حياة الكاتبة: ميادة أنور الصعيدي كاتبة وباحثة فلسطينية تخصصت في الدراسات النقدية المعاصرة، حصلت على شهادة الماستر بالأدب والنقد من جامعة القدس المفتوحة بغزة. وهي تدرس الدكتوراة حاليا في الأدب والنقد في جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بدولة السودان. لها إنجازات في مجال النقد والدراسة الأدبية حتى حازت على "شهادات التميز النقدي"من جهات مختلفة. شاركت في ندوات أدبية ونقدية عربية وغربية. وعملت كسفيرة فلسطين في مؤتمر لبابة بالمغرب المنعقد يونيو عام 2021م. كما لها عضويات في منتديات أدبية من أمثال فريق المنتدى العربي الأوروبي للسينما والمسرح بفرنسا ومختبر السرديات الفلسطيني التابع لوزارة الثقافة الفلسطينية والجدير بالذكر أنها تتولى حاليا منصب الأمين العام للملتقى الثقافي لمؤسسة الإبداع الفلسطيني بدولة النمسا. وكذلك نشرت لها دراسات نقدية عديدة في مجلات محكمة عربية وغير عربية. وبالإضافة إلى ذلك لها أعمال في مجال التدقيق اللغوي وقدمت العديد من الكتب الأدبية.

صدرت لها كتب نقدية عديدة وهي حسب ما يلي.

- الشعر النسوي الفلسطيني المعاصر اتجاهاته الموضوعية والفنية وهو أطروحة للماجستير.
- سراج الباحثين في النقد الأدبي المعاصر مناهج وتطبيقات.
- شعرية القص في تجربه جعفر العقيلي القصصية.
- ولها كتاب نقدي عن قصائد شعراء الفصيح في مؤتمر لبابة. وهو على قيد الطبع.

تعريف وجيز بالكتاب: "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية "كتاب نقدي أحاط بالخصائص الفنية والتقنيات القصصية التي استخدمها القاص والروائي الأردني جعفر العقيلي لصياغة القصص القصيرة، ووزعته مؤلفته ميادة أنور

الصعيدي إلى ثلاثة مباحث، وحلت جيده بمقدمة كتبتها المؤلفة تحت عنوان "جماليات القصة القصيرة عند جعفر العقيلي رؤى وإيقاعات" وتحدثت فيها عن القصة القصيرة وعناصرها وميزاتها الفنية والأدوات التي لا بد للقاص من التحلي بها، وأما المبحث الأول فهو يتحدث عن الشعرية والأسباب التي دفعت الناقدة إلى دراسة القصص القصيرة لجعفر العقيلي، كما خاضت في إبراز الشخصية والعلاقة بينها وبين القاص في قصص جعفر العقيلي. وأما المبحث الثاني فهو يدور حول إبراز ماهية البناء الزمني وشاعريته وشعرية الرمز والتصوير الفني في قصصه، وأما المبحث الثالث فقد كشفت فيه الباحثة الستار عن شعرية الحوار الدرامي وعوامل التشويق وشعرية اللغة وتوظيف الثنائيات الضدية وعوامل التشويق في قصصه. والجدير بالذكر أن الباحثة قامت بترتيب المباحث ترتيبا رائعا بشكل منسق حيث يبدو جذابا وممتعا لمن يطالعه كأنه يشعر خلال المطالعة أنه يمشي بشكل تدريجي من النجاد إلى الوهاد حتى تظهر له الحقيقة عند انتهاء المشي بغاية من السهولة، وهذا يشير إلى مرانة الباحثة وحذقها في تقديم الدراسة. وقد سبق أن كتبت الباحثة دراسات متعددة حول قصص جعفر العقيلي حيث اعترفت به الكاتبة في نفس الكتاب تحت عنوان "تنويه". فلذا أرى أن الكاتبة أخذت في هذا الكتاب صورة فوتوغرافية لكل ما في قصص جعفر العقيلي من الخصائص الفنية والتقنية مع عرض نماذج فيبدو أنه أيلبوم.

منهج الناقدة لكتابة الدراسة: سلكت الناقدة مسلكا تطبيقيا وتحليليا عند دراسة قصص جعفر العقيلي حيث أنها تطالع القصص في ضوء التقنيات السردية القصصية والميزات الفنية القصصية، وكلما راق لها النص ولاحت لها ميزة فنية شرحتها شرحا وافيا وأشارت إلى موضع الحسن والجمال في ضوء ما اقتبست من مصادر النقد، فعلى سبيل المثال نقلت الكاتبة نموذجا من قصصه فهي تكتب في شرحه "ولعل اختيار القاص المقهى مكانا يرتاده بطله ابن الحادية والثلاثين يشير إلى تفشي «البطالة» عند هذه الفئة، ودليل ذلك ذكر لفظ «الكشك» الذي يوحي بأنه «مهنة لمن لا مهنة له» وفي تناثر صفحات الصحيفة على الطاولة دلالة على عدم الاهتمام بالأخبار، أو تيقن الشباب من عدم احتواء هذه الصفحات على ما يثير اهتمامهم كأخبار العمل، والأخبار المنتظرة مثل إرجاع حقوقهم المسلوبة في «البورصة» كما حدث مع «حمدان» أو من الجميل الإشارة إلى ذكاء القاص في اختيار إسم الشخصية الشابة «حمدان»

إيماء إلى كثرة الحمد والرضا رغم الظروف السيئة التي تحيط به، والتي ظهرت آثارها حتى في ملامحه بـ «تجاعيد حديثة العهد فوق الوجه»"[1].

حاولت الناقدة إبراز مواضع الجمال في ضوء تقنيات القصة القصيرة حيث كلما تبرز موضعا للجمال تدعم موقفها باقتباس تأخذه من كتب النقد، فعلى سبيل المثال تحدثت عن الشخصية واتصالها بالواقع المعيش حيث كتبت "إن رسم الشخصية من الناحية الجسدية في قصص العقيلي وثيق الاتصال بالشعور وبالواقع المعيش"[2]، وعلى التوالي أتت باقتباس تأييدا لموقفها حيث نقلت اقتباسا "إذ «يعد رسم الشخصية في هذا التكوين مسألة غير سهلة لأنها تتفاعل فيها عوامل كثيرة، منها ما يتصل بالقاص نفسه، ومنها ما يتصل بالواقع الاجتماعي والحضاري في بيئة الكاتب»[3]"، وهذا منهج يدل على ثقافة الناقدة الواسعة وغرازة مطالعتها.

وكذلك عندما أقامت الكاتبة رأيا في ضوء ما لاح لها خلال مطالعة قصص جعفر العقيلي لم تكتفي بعرض نموذج واحد بل قدمت نماذج كثيرة من قصصه، فمثلا كتبت متحدثة عن العلاقة بين القاص والشخصية في قصصه وأظهرت رأيا عنه حسب تذوقها من خلال مطالعة النص "يغلب على قصص العقيلي «تيار الوعي»، إذ توحي نصوصه بقدر من التطابق بين القاص وبطل قصصه، وكثيرا ما يلتبس الأمر على القارئ، وخصوصا عندما يلجأ القاص إلى استخدام ضمير المتكلم، وكأنه يعيش التجربة والأحداث تدور حوله"[4]، فأتت لدعم ما قالته بثلاثة نماذج من قصصه، "أقدم نموذجا على سبيل المثال"كان لا بد أن أتخلص من أولئك الكثيرين الذين عرفتهم، وأطردهم من بين أوراقي ودفاتري التي يسكنونها رغما عني منذ سنين؛ أكنس ذاكرتي من بقايا أسمائهم، وملامحهم، وألقابهم، وأرقام هواتفهم، لأعيد تأثيثها من جديد، كما أحب وأشتهي، بعد أن خلق وجودهم في داخلي زحامًا لا يطاق"[5].

موسيقية الإبداع النقدي في الكتاب: يبدو من خلال مطالعة الكتاب أن النقد يكون ناقصا لو خلا من شائبة الإبداع وموسيقيته، ويشهد هذا الكتاب بأن النقد ليس موضوعا جافا وتفوز الدراسة النقدية بالوصول إلى الغاية عندما رافقتها روح الإبداع والقوة الابداعية وتصحبها الموسيقية الإبداعية التي تطرب القارئ بجنب اطلاعه على

جماليات النص ونقائصه. وبدأت تسود الموسيقية هذا الكتاب منذ صورة غلافه وتبقى غاشية الكتاب كله كما يغشى السحاب السماء حتى عندما ينتهى القارئ من مطالعة الكتاب يخرج مبتسما ومسرورا ومبتهجا لأن سحاب السيمفونية أظل عليه ومتعه ببرودة الأيقاع الأدبي في شمس النقد اللافحة الوجوه.

صورة الغلاف ممتعة جدا، ومعظم أجزائها سوداء وفي بقيتها توجد بلون رمادي ضارب إلى البياض صورة الكاتب الذي يتحدث الكتاب عن قصصه وشعريتها وتقنياتها، ووضعت صورة الكاتب جعفر العقيلي حيث أنه قائم في الغرفة ولكنه يبدوا مشتاقا للخروج من الغرفة لكي يجد ما ينتظره بفارغ الصبر والسلوان، ومن المعلوم أن الإنتاجات الأدبية بمثابة الأطفال للكتاب والمبدعين، ويتلهف الآباء بعرض محاسن أطفالهم وإظهار مؤهلاتهم، وكذلك يشتاق الآباء إلى انطباعات الآخرين التي تتحدث عن محاسن أطفالهم وإنجازاتهم، فمن الطبيعي أن يشتاق الكاتب إلى الاطلاع على آراء الآخرين نحو إعماله الإبداعية، وأما السواد السائد في معظم أجزاء صورة الغلاف فهو يشير إلى أن التقنيات القصصية من الشعرية والشاعرية والسيمفونية والموسيقية وما أشبه ذلك مكنونات، وينتظر الكاتب قائما لمن يزيل اللثام اللأسود عن المكنونات الفنية ويكشف القناع عنها، فأنا أعتقد أن الكاتبة وضعت صورة الغلاف على هذا المنوال لإبداء هذه الحقيقة، وهي تخلق جوا من السيمفونية ويتمتع بها القارئ المتذوق.

عندما يبلغ القارئ بعد تصفح صورة الكتاب إلى الصفحة الأولى فيجد في كلمات الإهداء إيقاعا ساحرا، حيث أهدت الكاتبة هذا الكتاب إلى أخويها الشهيدين، وهي في ذلك كالخنساء وعلاقتها بأخويها كعلاقة الخنساء بأخويها معاوية وصخر لأن؟ "انهارت الخنساء بعدما تمالكت نفسها، وكانت موشكة أن تنهار في إثر مقتل معاوية لولا ساندها وجود صخر ومنعها أخلاق قومها، ولكنها لم تجد سندا ولم تجد مانعا، فما قدرت على تمالك نفسها بعد موت صخر، فقد مات عزها ومؤنسها وملجؤها وحاميها، ولذا وجدت به أعظم وجد وولهت أشد الوله، وأقامت على قبره زمانا تبكيه وتندبه وترثيه" وتقول الخنساء أبياتا في رثاء أخويها حيث قالت:

أَعَينَيَّ جودا وَلا تجَمُدا
أَلا تَبكيان لصَخرٍ النَدى
أَلا تَبكيان الجَريءَ الجَميلَ

أَلا تَبكِيانِ الفَتى السَيِّدا
تَرى المَجدَ يَهوي إلى بَيتِهِ
يَرى أَفضَلَ الكَسبِ أَن يحُمَدا
وَإِن ذُكِرَ المَجدُ أَلفَيتَهُ
تَأَزَّرَ بِالمَجدِ ثُمَّ اِرتَدى"[6].

وكذلك هناك أبيات كثيرة رثائية تترك أثرا قويا وتحمل فيها إيقاعا، ويوجد نفس الشيء ونفس الإيقاع في كلمات أهدت من خلالها ميادة أنور هذا الكتاب إلى أخويها الشهدين، ولكن الفرق بينهما أن الخنساء ترثي أخويها في شعر ولاتزال ترثي وتسهب في الرثاء بينما ترثي ميادة أخويها في نثر وتوجز فتكتب ميادة "إلى عيني اليانعتين وإن غيبهما القدر عرفات شهيد العلم والغربة، علاء شهيد المرض والحصار، ربيعان لا يمسهما الذبول ما دمت أسقيهما بنبصي"[7].

تعقد الكاتبة عناوين جذابة تتوفر فيها القوة الأدبية والقوة الخيالية، وكل ذلك من خلال اختيار الكلمات وتركيبها حيث ينشأ فيها إيقاع وموسيقية. فعلى سبيل المثال أسوق عدة عناوين، وهي "جماليات القصة القصيرة عند جعفر العقيلي رؤى وإيقاعات، والتصوير الفني للأحداث وكسر أفق التوقع لدى المتلقي، وشعرية اللغة في قصص جعفر العقيلي، توظيف الثنائيات الضدية في قصص جعفر العقيلي". يتجلى في كل من تلك العناوين السيمفونية التي نبعت من الكلمات، فلها قدرة كاملة على اللغة وكأن اللغة حصان تمتلك ميادة ناصيته وبيدها لجامه تثنيه وتسيره حيث تشاء. فهي تملأ دراساتها النقدية بطعم أدبي يتلذذبه كما يتلذذ القارى عند مطالعة نص إبداعي قصصي خيالي. وكل ذلك لأنها تؤمن بأن طاقة اللغة عنصر رئيس لجذب انتباه القراء وتترتب عليها جميع الميزات والخصائص الفنية، حيث تكتب ميادة نفسها"إن الطاقة المشعة في لغة أي عمل أدبي هي ما تجذب إحساس الباحث بشاعريتها، فيحاول التقاط نبضها المتلاحق، بغية معرفة حقولها الدلالية المفعمة بالإثارة، إذ تستثير وجدانه وتأسر فكره؟ ففي امتلاك الأديب لناصية اللغة، يمكنه صنع مفارقة مدهشة من تقنياتها، ويشكل بنية خصبة من الانفعالات المرتبطة بها، آخذا في اعتباراته جمهورا ذكيا متواصلا، يلتقط رؤيته، فيجتهد بكل ما أوتي من إمكانات تأويل ما بين يديه"[8].

ويبدو أن الناقدة تتسم بقوة نقدية وأدبية موهوبة من الله، لأنها تعبر عن المفهوم بأسلوب سهل عندما خاضت في تفسير شيئ، وثقافتها واسعة حيث تستفيد من المراجع الأجنبية ولها يد طولى في كتابة المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة يسهل فهمها، فعلى سبيل المثال أن شعرية اللغة مصطلح يتناوله النقاد بالشرح بأسلوب جاف و يتعسر في بعض الأحيان فهمه، ولكن الكاتبة قدمت تعريفا للشعرية بطريقة ممتعة حيث يكتب عنها "ولكن كيف يتحول التثر إلى شعر؟ وكيف تخلق الفجوة هذه الشعرية؟ يتجلى سر الشعرية هنا في كسر المألوف، والمزج بين الضدين، والعبث في عذرية الصورة، وتحويلها من الألفة إلى حالة من الغرابة والإدهاش لدى المتلقي، فتحدث هزة في مرقد فكره، ثم يشعر بلذة بعد أن يحلل الكلمات المتشابكة المكونة للصورة، ويركبها لتتجلى في ذهنه، فيعيش دهشة المفارقة بين ما كان يألفه و ما يكتشفه لأول وهلة"[9].

وكذلك تتعمق في دراسة النص وتأتي بأشياء وجوانب تمس القلوب وهي في ذلك أشبه بالغواص الذي يغوص في البحر ويأتي بالصدف واللألي القيمة لأنها تغوص في بحر النص الإبداعي وتخرج منه أفكارا مدهشة ومعان رائعة، وخير مثال على ذلك أن العقيلي كثيراما يعقد عناوين قصصه بكلمات مركبة من الأسماء والصفات دون الأفعال، تعمقت الكاتبة في البحث عن سببه حتى كتبت بشأن سببه "يبدو واضحا أن العقيلي قد آثر الأسماء والصفات على الأفعال في عناوين القصص السّابقة؛ وهو ما قد يوحي برغبة القاص في إضفاء صفة الثبوت والسكون على أبطال قصصه وشخصياتها، من خلال تمسكه بالمبادئ والأفكار التي نشأ عليها، بالإضافة إلى تجميده لأي فكرة طارئة تخالف تلك المبادئ"[10]. ومما يزيد دراستها حلاوة مدى وصولها في قعر النص القصصي وإبراز شيئ غريب يدهش العقل حيث كتبت عن تبرير ماقالت بشأن البناء الزمني" إنها الأفكار والذكريات، والماضي والحاضر، والأنا والآخر، والعقل والعاطفة ولعل هذا التناقض قد أفصح عن الصراع النفسي الداخلي المرتبط بوقت الليل خصوصا؛ ودليل ذلك ورود لفظ «الليل» تسعا وثلاثين مرة مقابل ورود لفظ «النهار» عشر مرات في مجموعات الكاتب كلها" [11].

والجديربالذكر أن الناقدة ترى لثقافة المبدع الواسعة أهمية بارزة، وتعتبره من أهم عناصر الإبداع الناجح حيث تكتب "ومن هنا حدد النقاد الدرجة الرفيعة من الثقافة التي يجب أن يكون عليها كاتب الأدب في المجالات كلها، ومدى اطلاعه الواسع على ما توصلت إليه الفنون الأدبية المعاصرة من إبداع راق في الموضوعات المطروحة، والكيفية التي تم من خلالها تناول هذه الموضوعات، وطبيعة اللغة والأسلوب، والأسباب الكامنة وراء تفضيل نوع أدبي دون غيره، أو تفضيل أديب بعينه على غيره من الأدباء، وهذا كله يتطلب اطلاعا دائما وثقافة واسعة؛ فمن خلال ذلك يمكن أن يبقى الأديب محافظا على مكانته الأدبية وتميزه الإبداعي، ويرقى إلى مصاف الأدباء، ويكتب لإبداعه الخلود"[12].

من الجميل الإشارة إلى أن الناقدة لم تستخدم صيغة المتكلم بل استخدمت صيغة الغائب وأرادت بها نفسها، وهذا أسلوب يزيد النص بهاءا ورونقا وهذا نوع من الجمال الفني في الدراسة، وذلك حيث كتبت "ومن هنا ارتأت الباحثة هذا التمهيد للحديث عن الشخصية القصصية ودور القاص في رسمه"[13].

من أبرز ميزات هذا الكتاب أن الأسلوب الذي اتخذته الكاتبة أسلوب جاذب ومتنوع، فحينا يبدو أن الكتاب هو كتاب الدستور أو كتاب الحساب جمعت فيه الكاتبة الحقائق الجافة، ولكن لايلبث القارئ يشعر بثقل الحقائق الجافة حتى يجد نفسه في حديقة أدبية تهب فيها ريح الخيال اللطيف التي تنعش روحه وتتغنى فيها أزهار الأدب التي تطرب قلبه، وذلك لقدرتها على اللغة واتخاذ أسلوب يمزج بين الخيال والحقيقة والجدية والهزلية والمنطق والفكاهة وذلك لأنها تخلق جمالا أدبيا وعذوبة من خلال اختيار كلمات تحمل في نفسها شعرية وإيقاعا، فعلى سبيل المثال تكتب الكاتبة وهي تعرف الرمز"الرمز هو كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، ليس بطريقة المطابقة التامة، وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئا ملموسا يحل محل المجرد"[14]. هذ مصطلح جاف ولكنها تزيل جفافه فجأة باستخدام أسلوب أدبي نابض بالعذوبة والحلاوة الأدبية حيث تكتب" والترميز في القص لا يراهن على الفعل بقدر ما يراهن على الرغبة في الفعل، حيث إن ذات بطل القصص عبارة عن كومة من الرغائب المتشظية، إلا أنها تتوسّل الخطاب

الثوري غير المباشر أو غير المعلن عنه، ولكنها تصطدم بالإنسان الغول في بسط نفوذه وسلطانه؛ وبذا جاء توظيف الرمز إيحاء بحالة القهر وطغيان الخوف من السلطات الخارجية، وتعبيرا ضمنيًا عن الأزيز الداخلي"[15].

الخاتمة: الموسيقية عبارة عن الإيقاع الذي يخلقها الموسيقار بالاستعانة بمجموعة من الأدوات الموسيقية، وهذا شيئ يشعر به القلب ويحسه الفؤاد ويهتز القلب طربا عند سماعها، فنظرا إلى ذلك حاولت أن أكتشف في هذه الدراسة الجماليات الإبداعية التي يتصف بها هذا الكتاب النقدي، وذلك حسب التذوق الشخصي من خلال مطالعة الكتاب "شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية". وبالفعل لقد وجدت أشياء أدبية في الكتاب النقدي كما يجد المرء ينبوع الماء العذب في الصحراء.

لقد اتضح خلال هذه الدراسة أن الكاتبة تتصف بموهبة نقدية موهوبة من الله،لأنها ابتكرت في إعداد هذا الكتاب أشياء وهي من نصيبها فقط، لأنها أتت في الكتاب بأشياء تبدو في بادئ النظر سهلة ولكن قلما يختارها الناقد من التعمق في النص وإظهار جوانب تختفي وراء الكلمات والألفاظ والأسلوب النادر الذي يمزج بين الأسلوب العلمي الجاف والأدبي الخيالي الذي يزيل سآمة القارئ ويعيد إليه الرغبة في مواصلة المطالعة. وعلاوة على ذلك وضعت أمام عينيها آليات النقد المتفق عليها.

الهوامش

[1] الصعيدي، ميادة أنور. **شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية**. الأردن: الآن ناشرون وموزعون، 2021م، ص:25.

[2] المرجع نفسه، ص:27.

[3] االمرجع نفسه، ص:27.

[4] المرجع نفسه، ص: 38.

[5] المرجع نفسه، ص:38.

[6] طماس، حمدو. **ديوان الخنساء**. بيروت: دار المعرفة، ص:9.

[7] **شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية**، ص:7.

[8] المرجع نفسه، ص:9.

[9] المرجع نفسه، ص:18.

[10] المرجع نفسه، ص:19-20.

[11] المرجع نفسه، ص:52.

[12] المرجع نفسه، ص:16.

[13] المرجع نفسه، ص:22.

[14] المرجع نفسه، ص:81.

[15] المرجع نفسه، ص:82.

المصادر والمراجع

- الصعيدي، ميادة أنور. **شعرية القص في تجربة جعفر العقيلي القصصية.** الأردن: الآن ناشرون وموزعون،2021م.
- طماس، حمدو. **ديوان الخنساء.** بيروت: دار المعرفة.
- شعلان، سناء. **ترنم الصوت وثورة الصدى.** الأردن: أمواج للنشر والتوزيع،2020م.
- الصعيدي، أنور ميادة. **الشعر النسوي الفلسطيني المعاصر اتجاهاته الموضوعية والفنية.** مصر: دار الإبداع للنشر والتوزيع، 2022م.
- البريكي، فاطمة. **مدخل إلى الأدب التفاعلي.** المغرب: الدار البيضاء، 2006م.
- أبوديب، كمال. **جدلية الخفاء والتجلي.** بيروت: دار العلم للملايين، 1984م.

الدراسات الأدبية والفكرية والثقافية

أبو ليلى محمد بن ميران ودوره في تطور الشعر العربي في كيرالا
د. م. بشير

البحث العلمي: مناهجه ومبادئه الأخلاقية- دراسة استعراضية
د. عبد القدوس

حديث عن حقيقة الحياة ومعنى الوجود الإنساني في ضوء التراث الشعري العربي
د. محمد سليم

العلامة فضل حق الخير آبادي شاعراً عربياً هندياً
د. محمد هاشم رضا

قضية الهوية والعمالة الوافدة كما تتجلى في رواية ساق البامبو
د. أنوار الحسن

المرأة والنضال الوطني الفلسطيني
د. مخلص الرحمن

تطور البيئة الأدبية في فلسطين خلال القرن العشرين

د. محمد سليم أختر

الدكتور رضاء الله المباركفوري في ضوء دراسته وتحقيقه "كتاب العظمة" لأبي الشيخ الأصفهاني

د. نسيم أحمد ود. أختر عالم

آليات السرد الحديثة في الفضاء الرقمي: رواية فيسبوكية "على بعد مليمتر واحد فقط" أنموذجا

د. محمد فواز ك.

قضايا مسرحية الأطفال في الأردن في القرن الحادي والعشرين مسرحية "خضراء يا بلادي خضراء" نموذجا

محمد مظهر

أمل الرندي: وإسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية

قمر الإسلام

أبو ليلى محمد بن ميران ودوره في تطور الشعر العربي في كيرالا

د. م. بشير*
mbmua1996@gmail.com

ملخص البحث: كيرلا ولاية صغيرة في أقصى جنوب الهند، كان لها علاقة تجارية بالعرب منذ أقدم العصور كما يشهد به الشعر الجاهلي. ثم قويت هذه العلاقة بدخول الإسلام هذه الولاية. ظهرت أوائل الشعر العربي في كيرالا قبل ستة قرون تقريبا، بما أنجبت هذه الولاية كثيرا من الأدباء والشعراء اختاروا اللغة العربية وسيلة لتعبير أفكارهم وعواطفهم فذاع صيتهم حتى في البلاد العربية. الشاعر الكبير محمد بن ميران (المشهور بكنيته بي. وي. أبو ليلى) يحتل مكانًا مرموقا بين شعراء العربية في ديار الهند، لقد تطرق هذا الشاعر إلى معظم أغراض الشعر العربي من المدح والهجاء والرثاء والتهنئة وأثرى الشعر العربي الأصيل بأسلوبه الجذاب وقصائده المختلفة. وعالج التدريس والصحافة والسياسة والكتابة ورجع فائزا من جميع نشاطاته. وكان ظهوره سببا لتحول جذري شامل في الشعر العربي في بلاد الهند عامة وفي ولاية كيرلا خاصة.

كلمات مفتاحية: الشعر العربي في ولاية كيرلا – الجيل الأول - شعراء عصر النهضة الحديثة – فحول الشعراء – أبو ليلى – قصائده.

المقدمة: منذ أكثر من ربع قرن أعمل في قرية هذا الشاعر العظيم، واستطعت بإذن الله أن أتصل مع ذويه الساكنين في هذه القرية، والتعرف على أحوال أسرته. كان شاعرنا الكبير يكتب بعض أبياته على جدران المسجد الجامع في بولكل، ذهب هذا الكنز الثمين بمر الزمان وكر الأحداث. واطلعت عند بعض أقربائه على بضعة قصائده المخطوطة غير المنشورة، فنقول بكل صراحة: يحتل هذا الشاعر مكانا عاليا في مجموعة شعراء العربية في الهند.

شعراء الجيل الأول

يقول الدكتور ويران محي الدين: "شعراء كيرالا المسلمون قرضوا الأشعار قديما لذكر حوادثهم اليومية ولتقييد علومهم الدينية في العربية وفي عربي مليالم (المعاني المليالمية تكتب بالحروف العربية). ولكنه لم يصل إلينا شيء منها حتى إلى القرن

* أستاذ مشارك ومرشد البحوث، كلية مدينة العلوم العربية بوليكل، كيرالا

الخامس عشر للميلاد. والشعر العربي وتاريخه قبل ذلك العصر لا يزالان مستورين، ويظل على خفاء لعدم المراجع المعتمدة، وأن المسلمين في العصور الأولى كانوا قليلين، وأن الأدب في أي لغة كان إنما يزدهر في القصر وفي مرابع الملوك والأمراء"[1].

استهل الشعر العربي في كيرالا بجهود القاضي أبو بكر بن رمضان الشالياتي (المتوفى سنة 885هـ / 1480م) والشيخ زين الدين بن علي المعبري (م 928هـ / 1521م)، والقاضي محمد بن عبد العزيز (م 1025هـ / 1616م) وإنتاجاتهم الشعرية. وفي جميع أشعار هؤلاء الثلاثة مسحة دينية وثيقة وعاطفة اجتماعية عميقة، كما أن فيها أيضا حب الوطن التي يسكنون في حضنها.

شعراء عصر النهضة الحديثة

يعد القرن التاسع عشر للميلاد عصر النهضة الحديثة في الشعر العربي في كيرالا، حيث ازدهرت الإنتاجات الشعرية في الكم والكيف في هذا القرن، وذلك على موضوعات مختلفة، وتتميز أكثرها بالروعة والجمال والتنوع في الأساليب والموضوعات، والجدة في المعاني، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الخيال. والشعراء منقسمون ما بين المحافظين القدماء والمحافظين المتجددين.

قد اعتنى بعض شعراء هذه الطبقة في كيرالا بالمحسنات البديعية والمعنوية معا فتفوقوا، وبعضهم اعتنوا بالمعاني الغزيرة والحلوة الموسيقية فأتوا بأروع الأشعار[2].

ومن أشهر شعراء طبقة النهضة الحديثة في الشعر العربي في كيرالا:

1. السيد شيخ بن محمد الجفري
٢. القاضي عمر بن علي البلنكوتي
3. القاضي محي الدين بن علي الكاليكوتي
4. عبد الرحمن بن محمد الماطوري
5. والقاضي أبو بكر بن محي الدين الكاليكوتي

الشعراء الفحول

يحمل هذا القرن في طيه فحول الشعراء ومن دونهم أيضا، وتصاعد عدد الشعراء الذين تميزوا بالنهضة الحديثة في هذا العصر، وشعراء هذه الطبقة دخلوا بأشعارهم في جميع المناحي للحياة الإنسانية، وأخذت اللغة العربية تكتسي زيا حديثا وتنسجم مع الحياة المعاصرة. ومن فحول الشعراء:

1 . صاحبنا أبو ليلى محمد بن ميران

2 . محمد الفلكي الجمالي

3 . أبو الرحمة محمد الفيئي.

الفلكي أكثرهم ذكرا وأبو ليلى أحسنهم عروبة، والفيئي أحسنهم تصويرا وأسبقهم عصرا. وقد أطلق الدكتور ويران محي الدين الفاروقي عليهم بأنهم من فحول الشعراء في كيرالا في القرن العشرين، لكونهم أشعر شعراء كيرالا، حياة مسلمي كيرالا الاجتماعية وعقائدهم وتقاليدهم وعيوبهم ومزاياهم منعكسة في أشعارهم. ومن المؤسف أنه ليس لأحد منهم ديوان يجمع جميع ما أنتجته أفكارهم من الشعر، اللهم إنهم اعتادوا تقييد بعض أشعارهم في مذكراتهم ونشرها في المجلات والصحف وأعدادها الخاصة أو التذكارية[3].

أبو ليلى محمد بن ميران

هو محمد بن ميران المشهور بأبي ليلى، أشهر شعراء العربية التي شهدت ديار كيرالا بدون منازع، وكل من يقرأون قصائده سيعترفون بفضله وعلو كعبه في الشاعرية التي تتميز بالعاطفة الصادقة والخيال البديع والتصوير الرائع، وهي تنبض بالحيوية، تنبع من صميم قلبه لتمس ضمير القارئين، فتبقى فيه لمسة من اللين ونفحة من العطف.

نشأته

ولد بقرية بولكل من محافظة ملابرم سنة ١٩١٥م[4]، وتلقى مبادئ العلوم الدينية من جده الذي كان فقيها مشهورا. ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بمسقط رأسه، وواصل دراسته في المدرسة المحمدية العالية بمدينة كالكوت التي كانت الأولى من نوعها في ديار مليبار، حيث أتم دراسته الثانوية سنة ١٩٢٣م، والتحق بعده بكلية تربية المعلمين بكالكوت، وفي أثناء دراسته هناك انخرط في سلك التعليم بمدرسة بشاليم ثم بالمدرسة المحمدية بكالكوت وانتقل منها إلى عدة مدارس في مختلف المناطق داخل كيرلا، كما اشتغل في المدرسة العلوية بمدينة ماهي، وألقى عصا الترحال في مدرسة المنار التي بدأ منها وظيفة التدريس[5].

وما كان شاعرنا ليرضى بمجرد عمله التدريسي، لأنه كان رجلا موهوبا، اجتمع فيه الكفاءات والمؤهلات العديدة، وكان يتقن عدة لغات كما كان خطيبًا مصقعًا ومترجما قديرًا وكاتبا ألمعيا ومصلحًا غيوراً، مما جعله يترك المجال التدريسي وآثر العمل

الاجتماعي، واشترك في النشاطات السياسية، وهو ممن تزعم لتأصيل جذور رابطة المسلمين ((Muslim leagueفي ربوع مليبار، وصار أمينها المساعد. ولما بدأت الرابطة تصدر جريدة جندركا كلسان حال عين صاحبنا رئيس التحرير المساعد لها، وإليه يرجع الفضل الأكبر في تطورها وتحولها إلى جريدة يومية، وهو في أثناء عمله كصحافي بها حاز على شهادة البكالوريا من كلية برنان بقرية تلشيرى، فعاد مرة أخرى إلى مجال التدريس حيث التحق بمدرسة نور الإسلام بترورنغادي. وكان في خلال تدريسه هناك شارك في إصدار مجلة المرشد وساهم بمقالاته القيمة وبأشعاره الرائعة.

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤١م وانقلبت الأوضاع السياسية في العالم رأسا على عقب وتحولت موازين القوى العظمى، والحكومة البريطانية التي كانت تحكم الهند قد تعهدت بالاستقلال المطلق بشرط تأييد الهنود القوى المتحالفة، فوجد الهنود هذه الفرصة للتخلص من نير الاحتلال الأجنبي، انضم شاعرنا أبو ليلى في المعسكر الهندي، وعين وكيلا للدعاية الحربية بالمعسكر الهندي في مدراس، ثم تولى منصب مراقب المطبوعات العسكرية هناك، ولما وضعت الحرب أوزارها وظفرت قوات الحلف. تراجعت بريطانيا عن وعدها بالاستقلال المطلق للهند. فاستقال أبو ليلى من الخدمة العسكرية احتجاجا على موقف الحكومة البريطانية ورجع إلى كيرالا سنة ١٩٤٥م، وانضم ثانيا إلى أسرة تحرير مجلة المرشد التي كانت وقتئذ لسان حال الحركة الإصلاحية. وسافر إلى مدراس لإنجاز بعض المهام المتعلقة بالمجلة سنة ١٩٤٧م، واستقر هناك، واشتدت عليه وطأة داء السل الذي كان يعاني منه منذ مدة، وأدخل بعض مستشفياتها، ولما استشفي عقد عزمه على السفر إلى باكستان، وكتب بذلك إلى زوجته يدعوها لمرافقته ولكن ما طابت نفسها للسفر إلى باكستان وآثرت المقام في الهند مع أهلها، ولم يلبث أن يغادر إلى باكستان واستقر هناك.

توظف في السفارة السعودية بكراتشي كمترجم، كما أنه قام بدوره كالأمين العام لجماعة مسلمي مليبار بكراتشي. وبدأ المرض يضيق به من جديد، ولم يستطع القيام بنشاطاته، وهناك ترحم عليه السفير السعودي الذي كان يعرف عن شخصيته الفذة وسمح له بالاستراحة ولما اشتد حنينه إلى الوطن والشوق إلى لقاء الأهل والأصدقاء استقال من الوظيفة، وأراد العودة إلى الهند بعد أداء فريضة الحج، ولكنه في أثناء إقامته

بمكة المكرمة اشتد مرضه وصادف أن لقي هناك زميله في نشاطات الرابطة المسلمة في مليار، وكان ممن هاجر إلى باكستان وعين سفيرا لها لدى مصر، وبمساعدته أدخل أبو ليلى المستشفى وهناك توفي هذا الشاعر الكبير في شهر يوليو عام ١٩٥١م[6].

شاعريته: تتسم أشعار أبي ليلى بالأصالة اللغوية وسلاسة الأسلوب ووضوح المعاني وروعة الخيال، ولم يترك نوعا من أغراض الشعر العربي إلا عالجها من المدح والهجاء والوصف والتهاني ولوعة الفراق مما يدل على أنه قد ارتوى من معين الشعر العربي القديم والحديث على حد سواء[7].

وأما من الناحية التاريخية فإن قصائده مرآة صادقة تنعكس فيها الوقائع التي حدثت على المسارح الدينية في العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين، وكان متحمسا للحركة الإصلاحية ومخلصا لها، وفند العادات والتقاليد المغايرة للعقائد الإسلامية السمحة، كما انتقد أولئك العلماء الذين يؤيدونها بأدلتهم الباطلة.

قصائده

1. بصيص من الرحمن

وهي قصيدة رائعة نظمها لتهنئة مجلة المرشد التي بدأت تصدر من جديد بعد أن توقفت في سبتمبر عام ١٩٤٧م، تحتوي على خمسين بيتا، وهو في هذه القصيدة ينفخ روح الحياة في هيكل الأمة المسلمة التي أصابها الوهن والوني. ويستنهض الهمم الراقدة ويهجو بلهجة شديدة علماء السوء الذين يعوقون انطلاق الأمة ويهديهم إلى الجهالات والبدع. ويأمل أن تكون مجلة المرشد منارا لهم تحيي موات قلوبهم، وهو يقول:

وفي الأحبة هذا ركبهم فينا أضحى التداني بديلا من تنائينا
يا مقلتي أقلعي كم بت ساهرة كفي وكم عبرات كنت تهمينا
ردت مدامع قد ذرت على طلل درا وردت عقودا نحو باكينا
يا قلب ما لك حين الوصل مضطربا قم بالرفاق لترحيب المحبينا

2. وصف عاصفة

أنشد هذه القصيدة الشاعر نفسه إثر عاصفة عالية هبت على ديار مليبار عام ١٩٤١م، ودمرت كل شيء في البلاد وسببت خسائر فادحة، وهناك جاشت شاعريته وهو في خلال هذه الأشعار يذكر الناس بعذاب الله ويحثهم على الإنابة إليه من أعمالهم السيئة التي لا يرضاها ربنا، ويقول في مطلعها:

تنبهوا يا بني الإسلام وافتكروا وأمعنوا النظر في الأيام واعتبروا
أنحن من وعد الله العزيز على لسان أحمد عزا فوق من كفروا
أنحن أمة من قد شاد مملكة أساسها الدين لا ما يشرع البشر

3. الهجاء

وأما في الهجاء فقد نظم شاعرنا قصيدة واحدة فقط، إلا أنها تدل على قدرته الفائقة التي بها يتميز عن شعراء كيرالا الآخرين. ويقول الشيخ أحمد المولوي الشاعر المليباري الشهير عن هذه القصيدة: كتب الشاعر أبو ليلى قصيدة أودع فيها أبدع أنواع الخيال وأجوده وأجمل الوصف وأحسنه مع التناسق والتماسك، وأجمع كل من له ذوق سليم في الأدب العربي من أدباء كيرالا على أنه لم يسبقه أحد إلى مثل هذه القصيدة في جودتها وتناسق ألفاظها، وأشاد بذكرها بلغاء كيرالا. وموضوع القصيدة ذم بلدة تروورتغادي في مقاطعة ملابرم حاليا، وهي بلدة ذات تراث علمي وثقافي عظيم، سجل رجالها خدماتهم للدين والوطنية، إلا أن شاعرنا قد اندفع إلى ذم بعض أهلها من جراء سوء أعمالهم وأخلاقهم. وفيما يلي هذه القصيدة بكاملها، ويمكن لنا من خلالها أن نستشف وجدانه اللطيف وسرعة تأثره. ويشير في آخر القصيدة إلى عدم رغبته في مثل هذا الهجاء وإلى أنه اضطر إليه اضطرارا، وهو يقول:

ويلا لأهل تروورنغادي يا واها ويلا لمن حلها أو رام سكناه
ما كان أتعسها ما كان أنحسها ما كان أيأسها ما كان أشقاها
عجبت كيف نجت من رجفة أخذت أهل القرون التي ظلت بطغواها
فإنها قرية أخلاقها فسدت إبليس سيدها الراعي ومولاها
السحت مأكلها والخمر مشربها واللعب مكسبها والبغي ملهاها

4. دور مجلة المرشد

وفيما يلي قصيدته في تهنئة مجلة المرشد بمناسبة إصدارها، وهو يشير إلى الحالة السيئة التي يعشها أبناء الأمة المسلمة وقتئذ مصرين على جهلهم تاركين تعاليم الدين الحنيف:

كم من خلائق يشركون برهم حتى تفطر قلب كل موحد
إن كان شرك الجاهلية في دعا صنم من الصخر المتين مقدد
فرجالنا يدعون غير الله من ماتوا وباتوا في تراب ملحد
هجروا الكتاب وهدي خير الأنبيا وعليهم استولى كلام مقلد

الأمر المعروف فيهم مـــــبـــــعـــــد ومقرب كل القؤول المفســـــــــــــد
علماؤهم أشرار من فـــي الأرض بـــل عند الثرائد أهل تاب أحـــــــــــــدد
إن كـــــان صاحب بدعـــــة أو زاعـــم النبوة أو سادن في مـــــــــــــشهد

5. تهنئة زفاف

هنأ في قصيدة له الشيخ عمر أحمد المليباري بمناسبة زفافه مع الآنسة فاطمة بنت محيي الدين في شهر ديسمبر ١٩٤٣م، وهي تحتوي على أربعين بيتا في أسلوب رائع. وفيها يقول:

أنخ المـــطية أيهذا الـــــــحـــادي قد صرت في الميقات في الميعاد
أنضيت نضوك من متابعة السرى يطوي قدافـــد رسلـــه وأوادي
فانزل فهذا منتهاك بلـــــغـــــه وذر المخـــافـــة من نفـــاذ الـــزاد
ذهب السراب وطالما أدركتـــــــه فخـــذ الشراب وأنت في الـــوراد

6. في الرثاء

كانت وفاة محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان وزعيم حزب الرابطة المسلمة صدمة عنيفة لصاحبنا أبي ليلى، وقد تألم لوفاته كثيراً، ورثاؤه هذا يمثل عمق تأثره به وتأسفه عليه؛ لأنه عايش تلك البيئة الباكستانية التي كان يتزعمها السيد محمد علي جناح. كما يحاول في خلال هذه الأبيات تشخيص أمراض الأمة المسلمة في الهند ويصف لها الدواء كأنه طبيب، ويدعو لاتحاد المسلمين وينذرهم بعاقبة التفرق والتشتت، والشاعر أبو ليلى هاجر إلى باكستان واستقر هناك بعد أن استقلت الهند عام ١٩٤٧م:

كيف السلو وفي الأكبـاد أجراح ومن تألمها الأحشاء تنصـــــاح
لله درك يا عيني فلا تـدعـي قـــطرا من الـدمع إلا وهو سحساح
يا عاذلا جاء يلحاني على جزعي إليك عني فلي في القـــلـب أبـراح

قصائد غير منشورة:

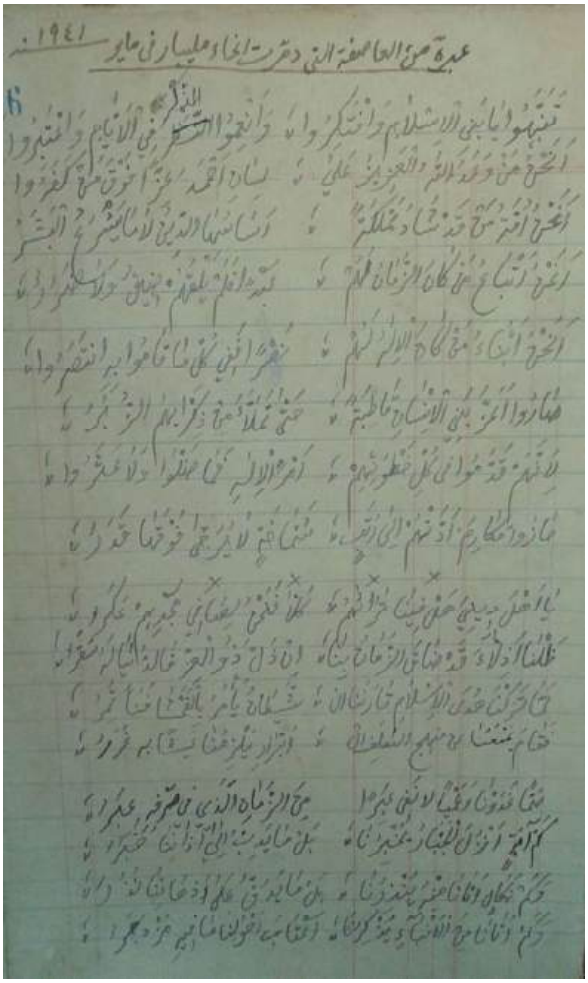
عبرة من العاصفة التي دمرت بغداد مليار في مايو ١٩٤١

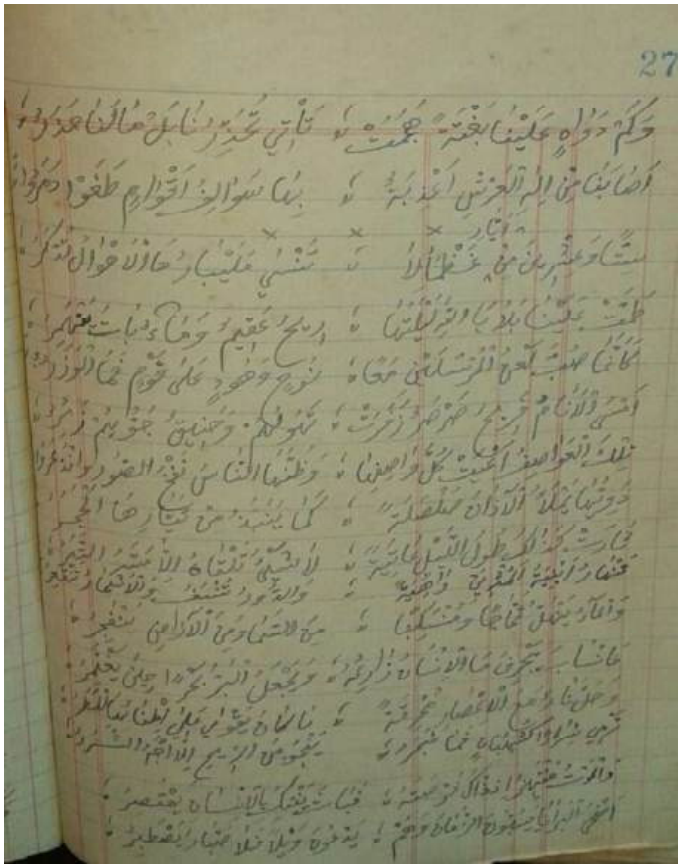

قصيدة مخطوطة على يد الشاعر

وفاته: كانت وفاة شاعرنا الكبير في مكة المكرمة وذلك في شهر يوليو عام 1951م[8].

الخاتمة: إن علماء كيرالا كانوا أهل علم ومعرفة ودين وإصلاح، وكان لهم نبوغ في اللغات العربية والأجنبية، وكانوا يعتنون بقضايا الأمة المسلمة وشؤونها الدينية والاجتماعية والسياسية خطابة وكتابة، وكذلك إنهم قرضوا أشعارا ونظموا قصائد، لإيقاظ الأمة من رقادهم ولتعليمهم أهم الواجبات تجاه دينهم ودنياهم. والجدير بالذكر أن هناك بعض الشعراء في كيرالا ليس لديهم إلا بضع رسائل شعرية من جملة الإخوانيات، ولا يوجد لهم حتى ديوان صغير على الأقل، كما هناك بعض الشعراء الذين أنتجوا إنتاجات شعرية ضخمة في قالب الديوان في مواضيع متنوعة.

فالشعر العربي في كيرالا روضة مزدانة وضع أساسها القاضي أبو بكر بن رمضان الشالياتي ونمت وازدهرت بإرواء القاضي عمر بن علي البلنكوتي والقاضي أبي بكر بن محي الدين الكاليكوتي وأمثالهما، وأثمرت فيها ثمار يانعة في عصر فحول الشعراء، وفي طليعتهم بي وي أبو ليلى محمد بن ميران.

لعب الشاعر أبو ليلى دوره الفعال في نشر اللغة العربية وتطور الشعر العربي في ديار كيرلا. وهو يعد بحق أشعر شعراء العربية في هذه الولاية، وله قصائد عديدة في أغراض مختلفة، من المدح والتهنئة والهجاء والاجتماعيات. لقد اطلع هذا الباحث على قصائد ثمينة لأبي ليلى مخطوطة على يد هذا الشاعر العظامي. ولا تزال شجرة الشعر العربي في ولاية كيرالا مورقة مخضرة عند الشعراء الذين هم على قيد الحياة.

الهوامش

[1] د. ويران محي الدين الفاروقي: **الشعر العربي في كيرالا، مبدؤه وتطوره**، كالكوت: عرب نيت، 2003م ص: 75.

[2] المرجع نفسه، ص: 81.

[3] د. جمال الدين الفاروقي وأ. عبد الرحمن بن محمد وأ. عبد الرحمن حسن. **أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية**. دبي: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث. 2013م، ص: 140.

[4] أ. م. محمد، "حول حياة أبي ليلى" **سنوية كلية فاروق**، 1976م.

[5] د. محمد أنظر: "الأبعاد في الشعر العربي في كيرلا"، 2005م.

[6] د. تي بي. عبد الرشيد، "نشأة الشعر العربي وتطوره في كيرالا"، 1998م.

[7] د. جمال الدين الفاروقي وأ. عبد الرحمن بن محمد وأ. عبد الرحمن حسن: **أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية**، دبي: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، 2013م، ص: 144.

[8] د. تي بي. عبد الرشيد، "نشأة الشعر العربي وتطوره في كيرالا"، 1998م.

المصادر والمراجع

- د. جمال الدين الفاروقي وأ. عبد الرحمن بن محمد وأ. عبد الرحمن حسن. **أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية**. دبي: مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، 2013م.
- د. ويران محي الدين الفاروقي. **الشعر العربي في كيرالا، مبدؤه وتطوره**. كالكوت: عرب نيت، 2003م.
- د. تي بي. عبد الرشيد. **نشأة الشعر العربي وتطوره في كيرالا**. 1998م
- م. محمد. "حول حياة أبي ليلى" **سنوية كلية فاروق**، 1976م
- د. محمد أنظر. **الأبعاد في الشعر العربي في كيرلا**. 2005م.

البحث العلمي: مناهجه ومبادئه الأخلاقية- دراسة استعراضية

د. عبد القدوس*
aquddoos@mail.jnu.ac.in,

***الملخص: إن** البحث العلمي هو عبارة عن عدد من الإجراءات المنظمة التي يتبعها الباحث للوصول إلى إجابات عن الإشكاليات المطروحة في مجال علمي معين، وبالتالي فالبحث العلمي يهدف إلى إيجاد إجابات عن الأسئلة البحثية بموضوعية ودقة وشمولية، وتطويرها بما يتناسب مع مضمون واتجاه المستجدات في المجال العلمي قيد البحث والدراسة.*

ومنهج البحث هو الطريق الذي يسير عليه الباحث لدراسة مشكلة، وهو طريق موضوعي خاص يتبعه الباحث لدراسة ظاهرة من الظواهر، بقصد تشخيصها، وتحديد أبعادها، ومعرفة أسبابها، وطرق علاجها، والوصول إلى نتائج عامة يمكن تطبيقها، فالمنهج هو فن تنظيم الأفكار، وبدون المنهج يكون البحث مجرد حصر وتجميع معارف، والمنهج في رأى عبد الرحمن بدوي هو "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين بها".

إن مناهج البحث تختلف باختلاف طبيعة المشكلة التي يتناولها الباحث لدراستها وباختلاف الباحثين وقدراتهم، ومن أشهر مناهج البحث العلمي التي تتعلق بالدراسات العلمية هي: (١) المنهج الوثائقي، (٢) المنهج الاستقرائي، (٣) المنهج التحليلي، (٤) المنهج الوصفي، (٥) المنهج الاستنباطي، (٦) المنهج التاريخي، (٧) المنهج التجريبي، (٨) المنهج المقارن و(9) المنهج المتكامل.

وإن أخلاقيات البحث العلمي عبارة عن مجموعة من المبادئ والقيم المرسومة التي تحكم كيفية إجراء البحث والدراسة وتطبيقها فيه، فيجب على كل باحث أن يلتزم بتلك المبادئ والأخلاقيات ويتمسك بها عند إجراء بحثه حتى يكون بحثه بحثا علميا نزيها ومقبولا وموثوقا ومعترفا به في الأوساط العلمية، فلا يمكن لأى بحث أن يكون ناجحا ومفيدا بدون رعايتها والالتزام بها، ومن أهم أخلاقيات البحث هي الحياد

* الاستاذ المشارك، مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو، دلهي الجديدة، الهند

والموضوعية، الالتزام بالصدق والأمانة، وأهلية البحث، والالتزام بالقوانين والقواعد الرائجة، والتحلي بالصبر والتأني والابتعاد عن الانفعالية والرأي الشخصي، و الالتزام بالدقة والعناية الكاملة في العمل البحثي .

كلمات مفتاحية: ***البحث العلمي، مناهج البحث، المبادئ الأخلاقية، الحياد والموضوعية، الصدق والأمانة العلمية، الصبر والتأني، والبرامج الحاسوبية.***

المقدمة: إن السعي وراء اكتساب المعرفة والمحاولة للإضافة إلى الرصيد العلمي في مجال معين من خلال البحث العلمي يعتبر من أعظم سلاح الرقي الفكري والمادي للأمم والشعوب، وإنه الطريق الأمثل لتقدم الحضارات في مختلف مجالات الحياة مستفيدا من الكنز المعرفي الموجود في تاريخ التراث الإنساني، ولا نبالغ لو نقول أن البحث العلمي يعد في هذه الأيام أساساً للتقدم والازدهار، ويعتبر عاملا مهما في كل عمل يراد له النجاح، وفي كل نهضة علمية، وفي توسيع دائرة العلم والمعرفة الإنسانية، فالعالم كله في سباق لإيجاد أكبر قدر ممكن من العلم والمعرفة التي تضمن له التفوق على غيره و الاستقلالية عن الآخرين، لذلك تولي الأمم المتقدمة اهتماما كبيرا بالبحث العلمي، وتخصص له ميزانية هائلة، لأنها أدركت أن عظمة الأمم تكمن في قدرات أبنائها العلمية والفكرية والسلوكية، "والبحوث العلمية في أي نوع من أنواع المعرفة هى مرآة العصر أو الصور الحية التي تجسد تطوره فكرا وشكلا"[1].

ونظرا إلى رغبة الطلاب الباحثين المتزايدة في البحث والتحقيق، واهتمام الجامعات والكليات ومراكز الدراسات العليا بالبحوث والدراسة الكبيرة في هذه الأيام، نوقش في السطور التالية البحث العلمي مناهجه المختلفة، وأهميته، ومفاهيمه، ومبادئه ومعاييره الأخلاقية المختلفة، وذلك لتسهيل السير للباحثين في بناء مسيرتهم العلمية والدراسية، ولمساعدتهم في اكتساب المهارات اللازمة لإعداد البحوث والدراسات العلمية في شتي المجالات الإنسانية والاجتماعية والإدارية، وكيفية استخدام مناهج البحث العلمي في إجراء الدراسات في شتى المجالات المعرفية، ومما لاشك فيه أن هناك كمية كبيرة من الكتب والمقالات في الموضوع ولكن المعلومات عنه إما مفصلة جدا أو مبعثرة ومتناثرة في كتب مختلفة وأحياناً غير متوفرة في مكتباتنا، فهذه السطور التالية تقدم لهم المعلومات اللازمة حول الموضوع بأسلوب سهل وشامل مستوعبا جوانبه المختلفة.

إن مصطلح "البحث العلمي "يتكون من كلمتين "البحث" و"العلمي" أما البحث فيقصد به لغويا "الطلب" أو "التفتيش" أو التقصي عن حقيقة من الحقائق أو أمر من الأمور، أما كلمة "العلمي" فهي كلمة تنسب إلى العلم، والعلم معناه المعرفة والدراية وإدراك الحقائق، والعلم يعني أيضا الإحاطة والإلمام بالحقائق، وكل ما يتصل بها، "والبحث في اللغة كما يقول ابن منظور: (البحث طلبك الشيء في التراب) والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر) وعند الجرجاني (البحث لغة: هو التفحص والتفتيش واصطلاحاً: هو إثبات النسبة إيجابية أو سلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال) ومعنى اصطلاحي آخر يقول : طلب الحقيقة وتقصيها وإشاعتها بين الناس وقد ذكر المؤرخ التركي المعروف (حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) أن التأليف والبحث لا يخرج عن أن يكون في سبعة أنواع، ونصت عبارته الشهيرة التأليف في سبعة أنواع لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي: (1) إما إلى شيء لم يسبق إليه فيخترعه(2) أو شيء ناقص يتمه (3) أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه (4) أو شيء متفرق فيجمعه (5) أو شيء مختلط يربطه (6) أو شيء مغلق يشرحه (7) أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه"[2].

يضع قاموس المتعلم المتقدم للغة الإنجليزية الحالية معنى البحث على أنه

"A careful investigation or inquiry specially through search for new facts in any branch of knowledge[3].

(التحقيق الدقيق أو الاستفسار خاصة من خلال البحث عن حقائق جديدة في أي فرع من فروع المعرفة)

ويعرف D. Slesinger وM. Stephenson في موسوعة العلوم الاجتماعية البحث بأنه:

"The manipulation of things, concepts or symbols for the purpose of generalizing to extend, correct or verify knowledge, whether that knowledge aids in construction of theory or in the practice of an art[4]"

(معالجة الأشياء أو المفاهيم أو الرموز بغرض التعميم لتوسيع المعرفة أو تصحيحها أو التحقق منها، إما أن تساعد تلك المعرفة في بناء نظرية أو في ممارسة فن)

وفي رأى سي. آر. كوتاري أن البحث:

"Research is, thus, an original contribution to the existing stock of knowledge making for its advancement. It is the pursuit of truth with the help of study, observation, comparison and experiment"[5].

(وبالتالي فإن البحث هو مساهمة أصيلة في المخزون الحالي من المعرفة التي تساعد على تقدمه، إنه البحث عن الحقيقة بمساعدة الدراسة والملاحظة والمقارنة والتجربة).

إن البحث العلمي هو"وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بمشكلة محددة"[6].

وبالتالي يمكن أن نستخلص من التعريفات والآراء المذكورة أن البحث العلمي هو عدد من الإجراءات المنظمة التي يتبعها الدارس أو الباحث للوصول إلى حلول واقعية للمشكلات العلمية، ويمكن لنا أن نقول أيضا إنه رسم لخطة عمادها المعلومات والبيانات التي يحصل عليها الباحث أو يستشفها من مصادر متنوعة من أجل دراسة موضوع معين بجميع جوانبه، إن "البحث العلمي هو نتاج إجراءات منظمة ومصممة بدقة من أجل الحصول على أنواع المعرفة والتعامل معها بموضوعية وشمولية، وتطويرها بما يتناسب مع مضمون واتجاه المستجدات البيئية الحالية والمستقبلية"[7].

فلابد لكل باحث أن يفكر ويقدر ويبحث عن العلاقات المتبادلة بين الظواهر والأحداث والمتغيرات المختلفة التي تتعلق بحياة الإنسان في شتى المجالات ويقوم بتحليلها تحليلا دقيقا ويحاول اكتشاف معارف جديدة ويبتكر أشياء جديدة ويساهم في بناء المجتمع العلمي متابعا إطار قوانين عامة لها مناهجها الواضحة، لأن العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلم والمعرفة، وعصر المنافسة والسباق، فمن تفوق ساد العالم، ومن تخلف خاب، وإن الباحثين في الحقيقة هم مستقبل الأمة والبلاد.

مناهج البحث العلمي: إن محور بحثنا الرئيسي الذي نحن في صدده هو منهج البحث، وإن منهج البحث هو العمود الفقري لأي بحث علمي، وإنه يلعب دورا رئيسيا في نجاح أى بحث ودراسة، وإن لدراسته أهمية كبيرة في حياة الباحثين العلمية، بل إن البحث العلمي رهين بالمناهج، ويدور معها وجودا وعدما، فلا وجود للبحث العلمي السليم مع

افتقاد المنهج العلمي الملائم، وإن دراسة مناهج البحث أصبحت في هذه الأيام جزءاً لا يتجزأ من اهتمامات الجامعات الحديثة، وإنها تساعد الباحث في تنمية قدراته على فهم أنواع البحوث والمفاهيم والأسس والأساليب التي يقوم عليها البحث العلمي، واختيار مشكلة معينة لبحثه وتحديدها، وتعيين الأساليب لدراستها، والتوصل إلى نتائج يوثق بصحتها، وتزوده بالخبرة والمهارات التي تجعله أكثر قدرة على تصميم خطة بحثه، وحسن تنفيذها وفق منهج البحث العلمي.

والمنهج في رأى عبد الرحمن بدوي هو "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، وإما من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين بها".[8] يقول الدكتور عبد الفتاح خضر مسلطا الضوء على المنهج العلمي "هو الطريقة التي يتعين على الباحث أن يلتزمها في بحثه، حيث يتقيد باتباع مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير البحث، ويسترشد بها الباحث في سبيل الوصول إلى الحلول الملائمة لمشكلة البحث[9]".

قبل كل شئ يجب للباحث قبل الشروع في بحث أن يحدد موضوعا خاصا أو ظاهرة من الظواهر أو مشكلة من المشاكل يريد أن يعمل فيها، ثم بعد دراسة الموضوع العميقة والمستوعبة يختار منهجا خاصا ملائما للظاهرة يتابعه في بحثه، ويسير عليه لدراسة المشكلة التي طرحها، بقصد تشخيصها، وتحديد أبعادها، ومعرفة أسبابها، وطرق علاجها، والوصول إلى نتائج عامة يمكن تطبيقها، فالمنهج هو فن تنظيم الأفكار، سواء للكشف عن حقيقة غير معلومة لنا، أو لإثبات حقيقة نعرفها ، وبدون المنهج إن البحث مجرد حصر وتجميع معارف، دون الربط بينها وبين استخدامها لمعالجة مشكلة، يفقد الإبداع العلمي.

"ولقد تعددت أنواع المناهج وصنفت عدة تصنيفات، فمنها المنهج الوصفي، ومنها الاستطلاعي، والتحليلي، والمقارن، والمسحي، والتاريخي والتجريبي ... الخ. كما صنفت إلى أنواع رئيسية وأخرى فرعية، ولكل نوع طريقته وقواعده التي يجب على الباحث أن يتقيد بها[10]" .

إن مناهج البحث تختلف باختلاف طبيعة المشكلة التي يتناولها الباحث لدراستها وباختلاف الباحثين وقدراتهم، وليس هناك منهج أمثل صالح لجميع الحالات بل يوجد

هناك عديد من المناهج يختارها الباحث حسب مقتضيات بحثه، ومن أشهر مناهج البحث العلمي التي تتعلق بالدراسات العلمية هي:

(١) المنهج الوثائقي، (٢) المنهج الاستقرائي، (٣) المنهج التحليلي، (٤) المنهج الوصفي، (٥) المنهج الاستنباطي، (٦) المنهج التاريخي، (7) المنهج التجريبي، (٨) المنهج المقارن و(9) المنهج المتكامل.

1. **المنهج الوثائقي:** يقوم على تتبع مرحلة أو مراحل زمنية معينة للوصول إلى الحقائق التاريخية، وأهم خطواته: (1) جمع الوثائق والآثار والتحري في إثبات صحتها، (2) التحري في إثبات نسبتها إلى مؤلفها أو صانعها، (3) تحديد زمان ومكان تأليفها أو صناعتها، و(4) نقدها داخليا وخارجيا، إيجابيا وسلبيا.
2. **المنهج الاستقرائي:** هو عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية. وفي هذا المنهج ينتقل الباحث من الجزء إلى الكل، أو من الخاص إلى العام، حيث يبدأ الباحث بالتعرف على الجزئيات ثم يقوم بتعميم النتائج على الكل، ويقوم المنهج الاستقرائي على دراسة أفراد الظاهرة وهو نوعان:

(١) الاستقراء التام: هو دراسة شاملة لأفراد الظاهرة وإصدار حكم كلي على مفردات الظاهرة، اعتقد أن هذا الاستقراء غير عملي من الناحية الواقعية لما يتطلب الاستقراء التام من القيام بدراسة كافة عناصر الظاهرة، بل يعتبر البعض الاستقراء التام استنباطا لأنه لا يسير من الخاص إلى العام بل تأتي المنتجة مساوية للدراسة.

(٢) الاستقراء الناقص: هو دراسة عينات محدودة للوصول إلى حكم عام ينطبق عليها وعلى غيرها من أفراد الظاهرة، فالباحث ينتقل من المعلوم إلى المجهول، ويعتمد هذا المنهج على: **(١)** ملاحظة العينات، (٢) وضع الفروض، (٣) تحليل تلك الفروض واختبارها، و (٤) الوصول إلى الفرض الصحيح.

3. **المنهج التحليلي:** هو المنهج الذي يقوم من خلاله الباحث بدراسة مختلف الإشكاليات العلمية معتمداً على عدة أساليب كالتفكيك والتركيب والتقويم، أو هو طريقة منظمة تُستخدم في معالجة الدراسات الانسانية والعلمية، ويعتمد هذا المنهج على **(١)** عزل عناصر الشيء الواحد بعضها عن بعض، (٢) دراسة هذه العناصر دراسة جزئية لمعرفة خصائصها، (3) إدراك الصلة الرابطة بينها، و(4) تأليف هذه الجزئيات للوصول إلى نتائج.

4. **المنهج الوصفي:** "نعرف المنهج الوصفي بأنه (أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة"[11].

يعتبر الوصف ركناً أساسياً من أركان البحث العلمي، ومنهجه من أهم المناهج المتبعة فيه، إذ إن الباحث الذي يرغب في الوصول إلى نتائج علمية يعتمد عليها لابد من أن يحرص على وصف الوضع الراهن للظاهرة، وذلك برصدها وفهم مضمونها والحصول على أوصاف دقيقة وتفصيلية لها للإجابة عن الأسئلة التي يطرحها والمشكلات التي يدرسها، يعتمد هذا المنهج على جمع المعلومات والحقائق ودراستها دراسة وصفية تقوم على (١) المقارنة، (٢) التحليل، (٣) التصنيف، و(٤) التفسير للوصول إلى نتائج وأحكام عامة.

5. **المنهج الاستنباطي:** هو منهج يعتمد على الاستدلال بالعقل والتفكر والتأمل والتحليل والقياس المنطقي في الاستنباط للوصول إلى النتائج والحقائق العلمية، وبالانتقال من الكل إلى الجزء أو من العام إلى الخاص، ومن هنا يمكن أن نقول أن ما يصدق على الكل يصدق على الجزء، والاستنباط في الحقيقة هو انتقال الذهن من قضية أو قضايا مسلم بها إلى القضية غير المعروفة هي النتيجة، والقضايا هي: (١) البديهيات : هي القضايا البينة بنفسها والصادقة بالضرورة، مثل : الكل أكبر من جزئه، و(٢) المسلمات: هي القضايا غير المتناقضة و غير المحتاجة إلى دليل، مثل : لا يمكن رسم أكثر من مستقيم بين نقطتين، ولا يتقاطع المستقيمان إلا في نقطة واحدة.

6. **المنهج التاريخي:** هو المنهج الذي يعتمد على وصف الأحداث التي وقعت في الماضي وصفا كيفيا، يتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، بل يهتم بدراسة ظواهر حدثت في الماضي وبتفسيرها بهدف الوقوف على مضامينها والتعلم منها ومعرفة مدى تأثيرها على الواقع الحالي للمجتمعات واستخلاص العبر منها، ويمكن أن يقال إن هذا المنهج يستخدم لحل مشكلات معاصرة على ضوء خبرات الماضي وإنه يساعد في إلقاء الضوء على اتجاهات حاضرة على ومستقبلية "منهج البحث التاريخي فنعرفه (بأنه مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه

ومكانه وبجميع تفاعلات الحياة فيه وهذه الطرائق قابلة دوما للتطور والتكامل، مع تطور جميع المعرفة الإنسانية وتكاملها ومنهج اكتسابها"[12].

نرى أن هذا المنهج لا يقوم على الملاحظة المباشرة للظواهر والأحداث، فالمؤرخ يتعامل مع ظواهر حدثت في الماضي وانتهت، فهو يعتمد على الطريقة التقليدية في جمع البيانات والتي تتلخص في السماع عن الآخرين والنقل عنهم أو الأخذ عن بعض الوثائق التي كتبها أشخاص آخرون شاهدوا هذه الظواهر أو سمعوا عنها، وهذه المصادر قد لا تكون دقيقة، ولا يعتمد على التجربة العلمية للوصول إلى الحقائق، فمصدر المعرفة الأساسي فيه هو الآثار والسجلات التاريخية وأحيانا الناس أو الأفراد، وإن كان هؤلاء لا يملكون القدرة التي تمكنهم من الاحتفاظ بالحقيقة لفترة زمنية طويلة. وقد يميل هؤلاء الأفراد إلى التحيز أو المبالغة في وصف الحقائق وتصويرها، المنهج التاريخي بحكم دراسته للماضي لا يمكن الباحث من استرجاع الظواهر والسيطرة عليها أو التأثير فيها، لذلك فإن النتائج والمعرفة التي يتم التوصل إليها من خلال تطبيق المنهج التاريخي تكون غير دقيقة بالمعايير العلمية الحديثة لأنها غير كاملة وتستند إلى أدلة وبراهين جزئية، لا يستطيع الباحث التاريخي مهما كان دقيقا أن يصل إلى كل الحقائق المتصلة بمشكلة الدراسة، فالمعرفة تبقى جزئية تستند إلى أدلة جزئية ولن يستطيع الباحث اختبار كل الأدلة.

7. **المنهج التجريبي**: هو المنهج الذي يقوم بها الباحث بتحديد الظروف والمتغيرات المختلفة التي تظهر في التحري عن المعلومات التي تخص ظاهرة ما، و كذلك السيطرة على مثل تلك الظروف والمتغيرات، والتحكم بها، معنى ذلك أن المنهج التجريبي يقوم على التحكم في الظاهرة وإجراء بعض التغييرات على بعض المتغيرات ذات العلاقة بموضوع الدراسة بشكل منتظم، "يعتبر هذا المنهج أقرب مناهج البحث العلمي لحل المشكلات بالطريقة العلمية، وهو الأسلوب الذي استخدمته العلوم الطبيعية، وحققت بوساطته تقدماً علمياً ملموساً، مما دفع الكثير من الباحثين في حقول المعرفة الإنسانية إلى استخدامه في البحث ... وبهذا يصبح المنهج التجربي المنهج الوحيد الذي يستخدم في دراسة وقائع وأحداث ماضية، باعتبار أنها تحارب عرضية يمكن الاستدلال منها للتوصل إلى وضع قوانين وصياغة نظريات خاصة بالبشرية في معاشرتهم بعضهم بعضاً، وهذا النوع من الاستدلال

المبني على ملاحظات حسية، أي مشاهدات اجتماعية سجلها المعنيون بها في الماضي ثم تركوها لنا تاريخياً هو المنهج التجريبي الاجتماعي بمعناه الصحيح"[13].

ويلاحظ أن المنهج التجريبي يعتمد على إيجاد بيئة اصطناعية لقياس العلاقات بين المتغيرات ربما تدفع الأفراد موضع التجربة إلى تغير سلوكهم لشعورهم بأنهم موضع ملاحظة واختبار مما قد يؤدي إلى تحيز في النتائج، وكذلك يعتمد على عينة خاصة في إجراء التجربة وتعميم نتائجها على غيرها، وفي نفس الطريق إن تصميم التجربة وتنفيذها في هذا المنهج يتطلب إجراء تعديلات إدارية وفنية متعددة قد لا يستطيع الباحث بمفرده أن يقوم بها مما يتطلب الاستعانة بالجهات المسؤولة لمساعدته في إجراء التعديلات.

8. المنهج المقارن: هو منهج يعتمد على المقارنة في دراسة الظاهرة حيث يبرز أوجه الشبه والاختلاف فيما بين ظاهرتين أو أكثر، يهدف هذا المنهج الى تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين ظاهرتين أو أكثر أو بالنسبة لظاهرة واحدة ولكن ضمن فترات زمنية مختلفة، وفي هذا المنهج تجري المقارنة بين ظاهرتين سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو طبيعية أو سياسية بقصد الوصول الى حكم معين يتعلق بوضع الظاهرة في المجتمع والحكم هنا مرتبط باستخدام عناصر التشابه أو التباين بين الظاهرتين المدروستين أو بين مراحل تطور ظاهرة ما. على الرغم من أن المنهج المقارن هو منهج مستقل بحد ذاته ولكن معظم الدراسات المقارنة لا يمكن أن تتم دون الاعتماد على مناهج أخرى مساندة مثل المنهج التحليلي حتى أن الكثير من الباحثين يقيمون دراساتهم على منهج يطلق عليه المنهج التحليلي المقارن دلالة على اعتماد المقارنة على بيانات تحليلية ويمكن أن يعتمد على المنهج التاريخي للمقارنة.

9. **المنهج المتكامل**: "هذا المنهج مستحدث لدراسة الظواهر الانسانية والاجتماعية، ويستند هذا المنهج على حقيقة وجود ارتباط وتلازم بين الإطار العلمي للبحث (أي الفكر النظري) وبين الواقع العملي (أي المجال التطبيقي)، مما يسمح بالمزج بين النظريات التي تفسر الظواهر، والتطبيق العملي في المناطق محل الدراسة ، بمعنى أن هذا المنهج يجمع ما بين الإطار النظري والواقع العملي...ويستخدم هذا المنهج في الدراسات التطبيقية، التي تدرس ظاهرة من الظواهر في منطقة جغرافية معينة، ويسمح المنهج بدراسة كافة العوامل والمتغيرات،

التي تؤثر في الظاهرة، وفي نفس الوقت يسمح بدراسة الظواهر الاجتماعية، وعلاقتها بالمنطقة والمناطق الأخرى، مما يزيد من إمكانية تعميم النتائج والتوصيات"[14].

أخلاقيات البحث العلمي

إن الأخلاقيات هي في الحقيقة مجموعة من القواعد المكتوبة وغير المكتوبة التي تحكم سلوكنا، وتحدد طبيعة تصرفاتنا مع أنفسنا ومع الآخرين، أما أخلاقيات البحث العلمي فهي مجموعة من المبادئ والقيم المرسومة التي تحكم كيفية إجراء البحث والدراسة وتطبيقها فيه، فيجب لكل باحث أن يلتزم بتلك المبادئ والأخلاقيات ويتمسك بها عند إجراء بحثه حتى يكون بحثه بحثا علميا نزيها ومقبولا وموثوقا ومعترفا به في الأوساط الأكاديمية، وكذلك يجب له أن يبتعد عن كل ما يسيء بحثه من الأعمال كالغش وتزوير المعلومات والبيانات أو الانتحال أوغير ذلك، وإن عدم الالتزام بتلك الأخلاقيات يؤدي إلى نتائج سلبية بل الى عواقب وخيمة له، فلا يمكن لأى بحث أن يكون ناجحا ومفيدا بدون رعايتها والالتزام بها.

"Research ethics involves the application of fundamental ethical principles to a variety of topics involving research, including scientific research. These include the design and implementation of research involving human experimentation, animal experimentation, various aspects of academic scandal, including scientific misconduct (such as fraud, fabrication of data and plagiarism) etc".[15]

(تتضمن أخلاقيات البحث تطبيق المبادئ الأخلاقية الأساسية مجموعة متنوعة من المواضيع التي تنطوي على البحث، بما في ذلك البحث العلمي، وتشمل هذه الأخلاقيات تصميم وتنفيذ البحوث التي تنطوي على التجارب البشرية، والتجارب على الحيوانات، والجوانب المختلفة للفضائح الأكاديمية، بما في ذلك سوء السلوك العلمي مثل الاحتيال وتلفيق البيانات والانتحال وما إلى ذلك).

من أهم أخلاقيات البحث العلمي **هي:**

1. **الحياد والموضوعية:** يعنى الحياد والموضوعية تجنب الانحياز إلى الآراء والميول الشخصية والابتعاد عن التحيز لفكرة معينة وإهمال بعض الحقائق التي تتعارض مع موقفه من البحث والدراسة، بصفة خاصة في عرض النتائج ومناقشتها، وتقديم

التوصيات والمقترحات، ولا يمكن الوصول الى بحث علمي أكاديمي عالي الجودة إلا مع التزام الباحث بمبدأ الحياد والموضوعية، والابتعاد عن ميوله وآرائه الشخصية وعن الانصياع لرغباته، وهى من أهم شروط البحث العلمي وأبرز الصفات التي يجب أن يتحلى بها الباحث، ويجب للباحث عند إجراء بحثه ودراسته أن يتعامل معها بشكل منطقي وعلمي، وأن لا يتأثر بشعبية أي شخص أو رأي عام، وأن لا يندفع لتأييده دون دراسته ونقده بشكل علمي منطقي.

"أوجب الباحثون المحدثون من الغربيين أن يتوخى العالم الموضوعية (objectivity)، في كل بحث يتصدى له، بمعنى أن يحرص على معرفة الوقائع كما هي في الواقع، وليس كما تبدو في تمنياته، ويقتضي هذا إقصاء الخبرة الذاتية (subjectivity)"[16].

2. **الالتزام بالصدق والأمانة العلمية والغرض النبيل**: يجب على الباحث أن يشير إلى كل مصدر يراجعه ويستفيد منه وينقل عنه لتوثيق بحثه ودراسته، وعندما يرتب استنتاجات بحثه، وكذلك يجب له أيضا أن لا يغيّر أي شيء من النتائج التي وصل إليها أو يزورها متأثراً بميوله أو آرائه أو بأي أمر آخر، ولا يختلق أية معلومات لا وجود لها، وأن لا يضع استنتاجات غير واقعية، ومن مظاهر الأمانة العلمية أيضا، احترام مجهودات الباحثين العلميين الآخرين، وتوثيق جميع المعلومات والبيانات التي اعتمد عليها الباحث في بحثه والتي تنتمي لدراسات سابقة، ولا ينسب عمل الآخرين الى نفسه، فهذا يخل بالأمانة العلمية ويعتبر سرقة أدبية، لذلك يجب عليه أن يطلب الإذن قبل استخدام المواد والبيانات غير منشورة لباحثين آخرين. لأن الانتحال والسرقة الأدبية وعدم توثيق المعلومات المقتبسة من أكبر الإساءات لمفهوم أخلاقيات ومبادئ البحث العلمي.

وكذلك يجب على الباحث أن يعمل لغرض نبيل، وهو النهوض بعملية البحث العلمي، وليس فقط للنهوض بحياته المهنية، ولابد أن يكون عمله لإنتاج عمل أصيل يضيف للعلم ويثري مجال تخصصه ونشر الدراسة العلمية المفيدة التي تثري المجتمع.

3. **حماية البشر واحترام سريته والحفاظ على سلامة عينة الدراسة:** يجب علي الباحث أن يقلل المخاطر المحتملة على العينة التي اختارها، كما يجب عليه تشجيع المشاركين في دراسته بكل الطرق الممكنة، ومن الجدير بالذكر أن استغلال أفكار وآراء المشاركين في الدراسة لأغراض ليس لها علاقة بالبحث يعتبر انتهاكاً فادحا لأخلاقيات البحث

العلمي، حيث أن علي الباحث دائماً احترام حقوق الإنسان، بما فيه الحق في الخصوصية والاستقلالية، ولابد له أن يتجنب عن تعريض عينة الدراسة والمستهدفين بالبحث لأي خطر محتمل، سواء كان الخطر جسدي أو نفسي أو أخلاقي، وفي حال وجود أي خطر على عينة الدراسة يجب عليه المصارحة بذلك وعدم إجبار أي من أفرادها على القيام بأي عمل لا يريد القيام به، مع أخذ موافقته الخطية إن كان هناك أي احتمال لتعرضه لأي خطر كان، ولأفراد عينة الدراسة دور أساسي في نجاح الدراسة العلمية ووصولها الى النتائج المطلوبة، فيجب للباحث الالتزام بالعديد من الأمور عند التعامل مع أفراد هذه العينة، فعلى سبيل المثال يجب في بعض الحالات الحفاظ على سرية المعلومات التي يعطيها أفراد عينة الدراسة، كأن تكون المعلومات مرتبطة بأمور شخصية و بمرض أو غيرها من المعلومات التي لا يرغب المبحوث في معرفة الآخرين لها، والتي يكون قد منحها للباحث العلمي لثقته به ومعرفته بأهمية البحث العلمي، كما يفترض أن يتعامل الباحث العلمي مع عينة الدراسة باحترام وصدق وأن يحترم رغباتهم، فإذا رغب المبحوث عدم المشاركة في الدراسة العلمية أو الانسحاب منها فيفترض عدم الضغط عليه، وفي حال وجود أي خطر عليهم يجب أن يصارحهم بذلك وشرح نوعية المخاطر، وأن يأخذ منهم موافقة خطية للمشاركة في البحث بهذه الحالة.

يجب عليه احترام سرية البيانات التي يقدمها المشاركون في دراسته، كسجلات المرضى، والآراء والأفكار التي يقدمها أفراد العينة بناءً على ثقتهم فيه كباحث .

4. **أهلية البحث والرغبة الملحة فيه والإلمام الكامل بالموضوع:** بعد اختيار موضوع بحثه يجب على الباحث أن يتأكد من الأهلية والإمكانيات المعرفية والإبداعية والمادية التي تسمح له بإجراء الدراسة بالشكل الأمثل، والوصول إلى النتائج الدقيقة المدعومة بالبراهين والأدلة، وبعد التأكد من أهليته، يجب عليه أن يبذل كل ما في وسعه من المجهودات لتنمية معارفه، وتوسيع ثقافته، وتعميق دراسته، وعليه أن يطلع بشكل تام على كل الدراسات والأبحاث والمعلومات المرتبطة بتخصصه وبموضوع دراسته العلمية، وبكل التطورات الواقعة في الموضوع، وبكل الإمكانيات المعرفية والمادية والإبداعية التي تسمح له بالوصول الى النتائج البحثية الدقيقة، من المهم أيضا أن توجد لديه رغبة ملحة في البحث والدراسة، وأن تكون لديه ميول في حل ظاهرة علمية، وهذا ما يساعده على بذل

جهوده، ويعمل بكل جدية في سبيل الوصول الى النتائج المطلوبة، ومن أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الباحث العلمي أيضا هي الذكاء والإبداع، ليتمكن من ربط الأفكار والمعلومات، ويستطيع أن يناقش المعلومات ويحللها بكل تركيز وخبرة وصولاً الى النتائج المنطقية المطلوبة.

5. **الالتزام بالقوانين والأعراف الرائجة:** يجب أن يكون الباحث دائمًا على دراية بالقوانين واللوائح التي تحكم عمله، والالتزام بها، ويختار المواضيع والمشكلات البحثية التي تكون شرعية، ولا تخالف الأعراف أو القوانين المرسومة الرائجة، ولا تعارض الشرائع العامة.

6. **الالتزام بالصبر والتأني والابتعاد عن الانفعالية:** ربما يواجه الباحث بعض المشاكل والصعوبات أثناء بحثه، فعليه أن يوجهها بالصبر والتأني والهدوء والتفكير السليم وسعة الصدر، وأن يبتعد عن الانفعالات التي تربكه، وإن الأبحاث والدراسات العلمية من الأعمال الجدية التي تحتاج الى المجهودات المضنية، فلا يمكن لباحث أن يقوم بإجراء دراسة علمية بنجاح ما لم يمتلك الصبر والهدوء، فالدراسات العلمية تحتاج الى تنظيم وقت محكم، والاجتناب عن الاستعجال، وإتمام الدراسة بكل هدوء، وإن الشخصية الانفعالية تجعل البحث مردودا وتنعكس على دراسته العلمية سلبيا، وتعيق تصاعد تفكيره الطبيعي، فيجب على الباحث العلمي أن يتسم بالصبر والتأني، حتى يستطيع أن يتجاوز المشكلات والعقبات بسهولة.

7. **الاهتمام بالدقة والعناية الكاملة أثناء العمل البحثي:** لابد من العناية الدقيقة الكاملة عند إجراء البحث والدراسة وتجنب ارتكاب الأخطاء الفادحة، بل يفترض أن يقوم بعمله بكل عناية وهدوء وتنظيم، وأن يتأكد من معلومات ونتائج بحثه، يجب للباحث أن يقوم أثناء الإعداد للبحث بكتابة المعلومات والبيانات وكل ما يرتبط بالبحث عل أوراق، وكذلك يجب عليهن يبتعد عن التعميم العشوائي، وأن يحاول قدر الامكان أن يربط المقومات البحثية بالنتائج، وأن لا يخرج خارج النقاط المحددة بإطار الموضوع الذي تناقشه الدراسة.

8. **مشاركة الأفكار والأدوات:** يجب أن يكون الباحث مستعدًا دائمًا لمشاركة بياناته ونتائج بحثه إلى جانب الأدوات التي قام بتطويرها للوصول إلى النتائج، لأن ذلك يساعد على زيادة المعرفة وتعزيز العلم، كما يجب أن يكون منفتحاً على النقد والأفكار الجديدة.

9. تحديد **المفاهيم وعدم الخلط فيما بينها:** على الباحث أن يلتزم بتحديد مفاهيم وعمليات وخطوات البحث ليميزها عن غيرها من الأبحاث العلمية الأخرى وأن لا يستخدم أية مصطلحات أو تعاريف متنازع على مفهومها، لأن ذلك سيؤثر على موثوقية النتائج. من الضروري للباحث أيضا أن يكون مدركاً بشكل كامل لمعاني كافة المفاهيم التي يقوم باستخدامها في بحثه العلمي، وأن لا يخلط بين هذه المفاهيم ويستخدمها بشكل خاطئ في موضع لا يمكن استخدامه.

لابد لكل باحث أن يلتزم بجميع أخلاقيات البحث العلمي المرسومة والمعترف بها أكاديميا وعلميا عند إجراء بحثه، لأن عدم التزامها ربما يدفعه إلى مشكلات قانونية من قبل الجهة المسؤولة عن تنفيذ الإجراءات ضد عملية الانتحال والسرقة، لأنه توجد لدى كل جامعة **من** الجامعات أو معهد من معاهد الدراسات العليا لجان لمراقبة الأبحاث والدراسات وتنفيذ المبادئ والأخلاقيات المرسومة لها، ومن أهم وظيفتها هي التدقيق في جميع مقترحات الأبحاث، والتأكد من أن الباحثين يتبعون المبادئ والأخلاقيات اللازمة المرسومة للبحث العلمي في أبحاثهم، والتأكد من أن أهداف الدراسة متناغمة مع الإجراءات البحثية التي يقوم بها الباحث، وتوفر لجان أخلاقيات البحث العلمي نموذجا معياريا يتوجب على طالب الدراسات العليا أن يلتزم به ، ويشمل النموذج طريقة جمع البيانات، وعينة الدراسة، وكيفية التعامل معهم، وهل تم الحصول على موافقتهم أم لا قبل البدء في استطلاع آرائهم، وإذا أثار مقترح بحثي قضايا أخلاقية، فستطلب اللجنة من الباحث إعادة النظر في دراسته مرة أخرى، ليحدد هل يستطيع القيام بالدراسة بشكل مختلف أم لا.

وبالإضافة إلى اللجان الجامعية، يوجد بعض البرامج والتقنيات الحاسوبية التي يمكن من خلالها كشف السرقة العلمية والانتحال الأدبي، وتساعد هذه البرامج والتقنيات الحاسوبية في مراقبة الانتحال العلمي (Plagiarism)، وإن هذه البرامج في الحقيقة آلة الكترونية مؤثرة في منع الباحث عن ارتكاب عمل السرقة الأدبية لأن الباحث عندما يكون على دراية بمثل هذه الآلات وأنه سوف يتعرض لنتائج وخيمة في حالة اكتشاف سرقته، يتجنب من السرقة العلمية.

ومن بعض أهم هذه **البرامج** والتقنيات هي:

1. برنامج:Turnitin"هو أحد أكثر برامج كشف السرقة العلمية شيوعًا التي تستخدمها الجامعات والمجلات، وهذا البرنامج يساعد في تحقق عمل أدبي وعلمي في مقابل آلاف المنشورات العلمية والكتب الأكاديمية، يقارن بينها، ويكتشف السرقات إذا كانت، ويدل على مصادر التشابه ويلون أماكنه، بحيث يستطيع المعلم تمييز أعمال الباحث وأعمال الآخرين. يعتبر نظام Turnitin من أهم الأنظمة التي تقدم سهولة التحقق من الأصالة إلكترونيا، وبذلك يمكن منع السرقة العلمية أو الأدبية أو الفكرية، وهذا البرنامج Turnitin)) يميز الفقرات التي يكتبها الباحث عن أي سرقات علمية أو عمليات نسخ ولصق بشكل حرفي.
2. **وبرنامج** "IThenticate " هو جزء من مجموعة (Turnitin) يستخدم أيضا لتحقق أصالة الأوراق العلمية ولتحديد الانتحال، يستخدم العديد من الناشرين برنامج " IThenticate" للتحقق من أوراق المجلات المقدمة من المؤلفين بحثًا عن الانتحال قبل النشر.
3. **برنامج :Grammarly يقدم سهولة** الكشف عن الانتحال النحوي، وتحديد الأطاء النحوية، إنه يستوعب البيانات الأكاديمية ويقوم بتشخيص النصوص الأدبية وتمييز الأصل من الانتحال، ولكن فعاليته أقل من فعالية برنامج (Turnitin)، مع ذلك إنه يقوم Grammarly بإجراء فحوصات مقابل بعض قواعد بيانات البحث.
4. **PlagiarismChecker:** أداة سهلة يستخدم للكشف عن الانتحال والسرقة الأدبية للتحقق مما إذا كان المحتوى مسروقًا أم لا.
5. **PlagScan:** أداة للكشف عن الانتحال لكل من الأفراد والشركات، وإنها تساعد في تحقق أصالة النصوص مقابل المحتوى المسروق عبر الإنترنت بدون حاجة للتنزيل.
6. **Plagiarisma:** أداة مهمة وسهلة للاستخدام ومتعددة الأغراض للكشف عن الانتحال يتم استخدامها من قبل الباحثين والمعلمين والكتاب.
7. **DupliChecker:** هذه واحدة من أكثر أدوات الكشف عن السرقات الأدبية فعالية على الإنترنت، وإنها تنجز مهمة الكشف عن السرقات الأدبية بشكل جيد

ومجاني ليس على المستخدم دفع أي شئ، فإن برنامج (Duplichecker) يسمح لك بإجراء 50 عملية تحقق من الانتحال في يوم واحد.

8. **Plagium:** أداة كشف سرقة أدبية، وهى تعمل في مستويات مختلفة من البحث، وهذا البرنامج يتميز بنوعين من عمليات البحث، البحث السريع والبحث العميق.

بالاضافة إلى هذه البرامج توجد هناك تقنيات أخرى تساعد في تمييز الأصالة من السرقة، على كل حال هذه محاولة بسيطة لفهم البحث العلمي ومناهجه وأدواته وأخلاقياته والبرامج الحاسوبية لكشف السرقات العلمية، آملين أن نكون قد وفقنا في ذلك.

الخاتمة: هذه دراسة نوقش فيها البحث العلمي من زواياه المختلفة، وهو عمل منظم للوصول إلى حلول الإشكاليات التي تنشأ في خاطر الباحث، بطريق موضوعي ومنهجي ملتزما فيه بالدقة والشمولية ما يتناسب مع مضمون واتجاه المستجدات في مجال بحثه الذي شرعه.

وتفيد هذه الدراسة الباحثين لتشخيص ظاهرة من الظواهر، وتحديد أبعادها، وطرق علاجها، والوصول إلى نتائج مرجوة، وكذلك ألقى الضوء على المناهج المختلفة المتداولة في الأوساط الأكاديمة، وأهمية هذه المناهج لإجراء أي بحث أكاديمي، لأنه بدون المنهج يكون البحث مجرد جمع المعلومات لا فائدة فيها، وكذلك تمت الإشارة إلى أن المناهج ربما تختلف باختلاف طبيعة المشكلة التي يتناولها الباحث لدراستها وباختلاف الباحثين وقدراتهم.

واستعرضت فيها أيضا أخلاقيات البحث العلمي التي يجب للباحثين أن يلتزموا بها عند إجراء أي بحث أو دراسة حتى يكون بحثه بحثا علميا نزيها ومقبولا وموثوقا ومعترفا به في الأوساط العلمية، كما ناقشت فيها بعض أهم أخلاقيات البحث وهى الحياد والموضوعية، والالتزام بالصدق والأمانة، وأهلية البحث، والالتزام بالقوانين والقواعد الرائجة، والتحلي بالصبر والتأني والابتعاد عن الانفعالية والرأي الشخصي، و الالتزام بالدقة والعناية الكاملة في العمل البحثي مع الإشارة إلى مشكلات قانونية يمكن أن يواجهها الباحث في حالة عدم الالتزام بتلك الأخلاقيات، لأنه بجانب اللجان الجامعية المختلفة أو الجهات المسؤلة عن البحث

والدراسة، يوجد بعض البرامج والتقنيات الحاسوبية التي يمكن من خلالها كشف السرقة العلمية والانتحال الأدبي (Plagiarism) والمراقبة عليه، وإن هذه البرامج في الحقيقة آلة الكترونية مؤثرة في منع الباحث عن ارتكاب أي عمل غير شرعي، وعندما يكون الباحث على دراية بمثل هذه الآلات وعلى أنه سوف يتعرض لنتائج وخيمة في حالة اكتشاف سرقته، يتجنب من السرقة العلمية.

الهوامش

[1] سيمث ل. و. و بيكفورد ل. ج. (ترجمة) أبو سليمان، عبد الوهاب إبراهيم. **الدليل إلى كتابة البحوث الجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراه.** جدة: تهامة للنشر، 1984م، ص: 126.

[2] نقلا عن دويدري، رجاء وحيد. **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية**، بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م، ص: 68.

[3] The Advanced Learner's Dictionary of Current English, Oxford, 1952, P: 1069.

[4] Redma L.V. and Mory A.V.H. **The Romance of Research**. 1923, P: 10.

[5] Kothari, C.R. **Research Methodology**. New Delhi, New Age Internarional (P) Limited, Publishers, 2004, P: 1.

[6] المحمودي محمد سرحان علي. **مناهج البحث العلمي**. صنعاء: دار الكتب، الجمهورية اليمنية، 2019م، ص: 25.

[7] نقلا عن المصدر نفسه ص. 69

[8] بدوي، عبد الرحمن. **مناهج البحث العلمي، ط3**. الكويت: وكالة المطبوعات، 1977م، ص: 18.

[9] خضر، عبد الفتاح. **أزمة البحث العلمي في العالم العربي، ط 3**. المملكة العربية السعودية: مكتب صلاح الحجيلان، 1992م، ص: 17.

[10] المرجع نفسه، ص: 17.

[11] المرجع نفسه ص: 181.

[12] المرجع نفسه، ص: 151.

[13] دويدري، رجاء وحيد. **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية.** بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م، ص: 221 و227.

[14] الصاوي، محمد مبارك. **البحث العلمي اسسه وطريقة كتابته، الكتبة الأكاديمية.** القاهرة: 1992م، ص: 32.

[15] Basu, Debabrata and others. ***Research and Publication Ethics: A Textbook.*** New Delhi: Concept Publication Company, 2022, P: 46.

[16] دويدري، رجاء وحيد. **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية.** بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م، ص: 69.

المصادر والمراجع

- السالم، سالم بن محمد. " البحث العلمي في مجال دراسات المعلومات دراسة للتحديات التي تواجه الشراكة المجتمعية" مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية مج 17، ع2، رجب – ذو الحجة، يونيو – نوفمبر، 1432هـ / 2011م.
- شلبي، أحمد. **كيف تكتب بحثا أو رسالة: دراسة منهجية، ط 6.** القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1998م.
- اشيتة، محمد وعلى خليل حمد. **دليل الباحث العربي في كتابة البحث ونشره.** القدس: مطبعة القادسية الإسلامية، 1990م.
- بدوي، عبد الرحمن. **مناهج البحث العلمي، ط 8.** القاهرة: دار النهضة، 1974م.
- الحسن، إحسان محمد. **الأسس العلمية لمناهج البحث العلمي، ط 2.** بيروت: دار الطبيعة، 1976م.
- العبد، عبد اللطيف محمد. **مناهج البحث العلمي.** القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1979م.
- عبد الحق، كايد. **مبادئ في كتابة البحث العلمي.** دمشق: دار الفتح، 1972م.
- ضامن، منذر. **أساسيات البحث العلمي.** عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2007م.
- العنبكي، طه حميد حسن. **أصول البحث العلمي في العلوم السياسية.** بيروت: منشورات ضفاف، 2015م.
- دويدري، رجاء وحيد. **البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية.** بيروت: دار الفكر المعاصر، 2000م.
- الصاوي، محمد مبارك. **البحث العلمي اسسه وطريقة كتابته، الكتبة الأكاديمية.** القاهرة: 1992م.

المراجع الأجنبية

- Kothari, C. R. ***Research Methodology.*** New Delhi: New Age International (P) Limited, 2004.
- Gibaldi Joseph. ***MLA Handbook for Writers of Research Papers.*** New Delhi: Affiliated East West Press Pvt Ltd, 2003.
- Basu Debabrata, Samarpan Chakraborty and Aditya Sinha. ***Research and Publication Ethics***. New Delhi: Concept Publishing Company PVT. LTD, 2022.
- Dr. Kishor S. B, and others, ***Research and Publication Ethics.*** Nagpur: Das Ganu Prakahan, 2021.

حديث عن حقيقة الحياة ومعنى الوجود الإنساني في ضوء التراث الشعري العربي

د. محمد سليم*
saleem@ignou.ac.in

ملخص البحث: *يهدف هذا البحث إلى الكشف عن حقيقة الحياة ومعنى الوجود الإنساني في التراث الشعري العربي، وخلال هذا البحث قد بينت بالتفصيل عن المعاني المختلفة التي ركز عليها الشعراء العرب الكبار، فمنهم من أكد على أهمية الزهد عن ملذات الحياة ومنهم من حث على التمتع بما في الحياة من اللذة والمتعة والبهجة والسرور. ولكن طائفة أخرى من الشعراء الكبار ما لبثت أن اهتمت بالحث على التحلي بمكارم الأخلاق وأهمية الصبر والقناعة في الحياة والرجوع إلى الله. فالشعر العربي يقدم إلينا ألوانا مختلفة من الحياة الإنسانية وهو منهل عذب صاف نمير لكل من أراد أن يغترف منه.*

كلمات مفتاحية: *حقيقة الحياة، التراث الشعري، الشعر العربي، الشعراء، مكارم الأخلاق*

المقدمة: ما هي حقيقة الحياة؟ ماهو معنى الوجود؟ لماذا جئنا لو كنا ذاهبين؟ لماذا نعاني من متاعب الحياة ونجزع جزعا شديدا كلما فارق حبيب؟ ما بال الشمس البازغة والقمر المنير والنجوم الساطعة والجبال الشامخة باقية ثابتة لا تزول؟ وما هو الخير والشر؟ وما هو العقل والفهم والعلم والمعرفة؟ ما هي الإرادة وما هو الكون؟ ما الفرق بين المادة والروح؟ الفلاسفة والحكماء، فيما مضى، قد أثاروا أسئلة كثيرة من هذا النوع. وفي طليعة الفلاسفة الذين تناولوها أعلام بارزة مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو وسانت اغسطيونس[1]، وماركوس أودليوس[2]، والسفسطائيون[3]. فلو أقبل الفلاسفة الكبار على إثارة الأسئلة من هذا النوع، لم يتخلف الشعراء الكبار عنهم في تناولها. الشعراء مثل الرومي وعمر خيام وفردوسي وحافظ في الأدب الفارسي، وطاغور واقبال وغالب في الأدب الهندي، وهوميروس[4]، في الأدب الإغريقي، ودانتي[5]، في قصيدته

* الأستاذ المشارك، جامعة إنديرا غاندي الوطنية المفتوحة

"الكوميديا الإلهية" والشعراء في الأدبين الألماني والإنجليزي مثل غوته[6]، ونوفاليس[7]، وشيلي[8]، وكيتس[9]، ووليم وردزوورث[10]، وتي إيس إليوت[11].

الشعر والفلسفة: لم يكن الشعر يحتل مكانة مرموقة عند بعض الفلاسفة الكبار. فيصف أفلاطون الشعراء بأنهم "صناع الأوهام ومفسدو العقول"[12]. وكذلك لم تكن نظرة بعض النقاد العرب القدماء إلى الفلسفة إلا نظرة سلبية مثل الآمدي[13]، والقاضي الجرجاني[14]، وأبو منصور الثعالبي[15]، وابن رشيق القيرواني[16]. ولكن الطبقة الأخرى من الفلاسفة والحكماء والنقاد شرقا وغربا قد غنّوا بمجد الشعر واعترفوا بما فيه من القوة والروعة والتأثير. يقول أرسطو في كتابه "فن الشعر" إن الشعر أكثر تفلسفا وأهم من التاريخ؛ لأن الشعر يتعامل مع الكليات، والتاريخ يتناول الجزئيات". وقد كتب الشاعر الإنجليزي من عصر الحديث Philip Sidney كتابا رائعا للدفاع عن الشعر سمّاه "An Apology for Poetry"، وكذلك الشاعر الإنجليزي "شيلي" يثبت بدلائل واضحة وبراهين قاطعة في كتابه الشهير " A Defence of Poetry" أن الشعراء من طبقة الفلاسفة".

أما فحول الشعراء العرب الذين عاشوا في خشونة البادية، فإنهم ما لبثوا أن تناولوا القضايا الفلسفية المتعلقة بالحياة الإنسانية وحقيقة الكون والوجود في شعرهم. وفي طليعة الشعراء أسماء لامعة مثل لبيد بن ربيعة، وزهير بن أبي سلمى، وأبو تمام، والمتنبي، وأبو العلاء المعري وغيرهم.

ولكن الذي أحرز قصب السبق في هذا المجال وأتى بما لم يستطع الآخرون هو لبيد بن ربيعة. ويمكن لنا أن نقول: إن هذا هو الذي قد أراده الشعراء الكبار، فلما عجزوا عنه أقبلوا على التعلّل بذكرى حبيبب ومنزل.

فلنقرأ الأبيات التالية:

بَلِينَا وما تَبلَى النّجُومُ الطّوالِعُ ... وتَبقَى الجِبالُ بَعدَنَا والمَصانِعُ

وَقَد كُنتُ في أكنَافِ دَار مَضنّةٍ ... ففَارَقَني جارٌ بأرْبَدَ نَافِعُ

فلا جَزعٌ إن فرّقَ الدَّهرُ بَينَنَا ... فكُلُّ امرئٍ يوماً له الدّهرُ فاجِعُ

وما النّاسُ إلّا كالدِّيار وأهلِها ... بِهَا يومَ خلَّوها وتَغدو بَلاقِعُ

عمر الإنسان قصير وعيشه حقير وخطره كبير وزاده للآخرة قليل. والإنسان دائما في حالة الخوف كأنه واقف على شفا جرف هار لا يدري متى يقع فيه وتنقضي أحلامه ويصير إلى التراب.

ولو لم يصبه نوائب الدهر إلا قليلا وتخلص من مخالب الموت إلى مدة، لا يلبث أن يشيب ويهرم ويلزم العصا التي تحني عليه الأصابع. يدبّ دبيبا رفيقا كأنه راكع وكلما يقوم ليقدم خطوة إلى الأمام، تخاله أوتراه ساقطا على الأرض من شدة ضعفه. هل يمكن لأحد أن يقدم هذه الصورة مثلما فعل لبيد؟

أليس ورائي إن تراخَتْ مَنيّتي لزومُ العصا تحُنَى عليها الأصابعُ؟
أُخبّر أخبارَ القرون التي مضت أدبُّ كأني كلّما قمتُ راكعُ

أنظر في القول "لزوم العصا تحُنى عليها الأصابع، "وأدبّ كأني كلما قمتُ راكعُ" فهل يمكن لأحد أن يقوم بتأدية معنى الحياة الإنسانية وحقيقة العيش الإنساني الحقير أحسن من ذلك؟ توجد في الأبيات المذكورة أعلاه من الحسن والروعة والقوة والبراعة والتصوير ما يعجز عنه البيان هكذا أجاد الشعراء العرب في موضوع حقيقة الحياة وأثر تقلّب الدهر على الرجال وما أروع ما بيّن الأعشى هذه الحقيقة:

وَلَكِن أَرى الدَهرَ الَّذي هُوَ خائن إِذا أَصلَحَت كَفّايَ عادَ فَأَفسَدا
شَبابٌ وَشَيبٌ وَافتِقارٌ وَثَروَةٌ فَلِلَّهِ هَذا الدَهرُ كَيفَ تَرَدَّدا

الإنسان يتعب نفسه لإصلاح أحواله وتحسين أموره وتقلبات الدهر تعود فتفسد كل ما أصلح من شئون حياته. الإنسان يتمنى أن يبقى شابّا قويّا ناضرا باسما ولكن تقلّب الدهر ينهك قواه ويضني جسمه ويدخله في التراب. وما أحسن ما جاء في "كتاب الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيّان التوحيدي. وهو أنه "قيل لبعض الزهّاد: كيف ترى الدّهر؟ قال: يخُلق الأبدان ويجدّد الآمال ويقرّب المنيّة يُبعد الأمنية. قيل" فما حال أهله؟ قال من ظفر به تعب ومن فاته نَصِبَ[17].

وتقلّب الدّهر يؤثّر على الرجال تأثيرا بالغا "أخذ يعقوب الليثي في أول أمره رجلا فاستصفاه، ثم رآه بعد زمان، فقال له: أبا فلان، كيف أنت الساعة؟ قال له: كما كنت أنتَ قديما. قال: وكيف كنتُ أنا؟ قال: كما أنا الساعة: فأمره بعشرة آلاف درهم"[18].

ومن المعروف أن تقلّب الدهر يؤدّي إلى خسارة المال وفراق حبيب. وما أروع ما بيّن الشاعر هذه الحقيقة المريرة:

هَلِ الدّهرُ والأيّامُ إلّا كما تَرَى ... رزيّةُ مالٍ أو فراقُ حبيبِ[19]

ويقول أبو نواس أن الدنيا عدوّ في ثياب صديق:

أرى كُلّ حَيٍّ هالكًا وابنَ هالك ... وذا نَسَب في الهالكينَ عَريق

إذا امتَحَنَ الدُّنيا لبيبٌ تَكَشّفَت ... لَهُ عَن عَدوٍّ في ثيابِ صديق[20]

وكم لدينا من آمال وأحلام لا نستطيع أن نحققها وكم عندنا من أمور الحياة التي لا نزال نسعى لها فلا ندركها ولكن الذين حققوا أحلامهم وظفروا بما طلبوا ما لبثوا أن بادوا أو اندثروا حتى الملوك والسلاطين الذين لم يغن عنهم كل ما جمعوا من المال والسلاح والكراع.

لَنا في الدَهرِ آمالٌ طوالٌ ... نُرَجّيها وَأَعمارٌ قِصارُ

أَصابَ الدَهرُ دَولَةَ آل وَهب ... وَنالَ اللَيلُ مِنهُم وَالنَهارُ

وَقد كانُوا فَأَوجُهُهُم بُدورٌ ... لِمُبصرها وَأَيدهم بِحارُ[21]

يتمنى الفتى أن يعيش طول الدهر عيشة راضية مطمئنة. فهو يفرح بزيادته في الجسم ولا يدري أن زيادته في الجسم نقص حياته.

يقول محمود الورّاق:

يحُبُّ الفَتى طولَ البَقاء كأنَّهُ ... عَلى ثِقَةٍ أَنَّ البَقاءَ بقَاءُ

إذا ما طَوى يَوماً طَوى اليَومُ بَعضَهُ ... وَيَطويهِ- إن جَنَّ المَساءُ مَساءُ

زِيادَتُهُ في الجِسمِ نَقصُ حَياتِهِ ... وَلَيسَ عَلى نَقصِ الحَياةِ نَماءُ

جَديدان لا يَبقى الجَميعُ عَلَيهِما ... وَلا لَهُما بَعدَ الجَميعِ بَقاءُ[22]

وكم نحب المال حبّا جمّا، والحقيقة هي أننا لا نجمع المال ولا نبني القصور إلّا لغيرنا. كما ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة "المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمحفوظ للعدوّ".

يقول البحتري:

ألمْ تَرَ رَيْبَ الدّهْرِ في كلّ ساعةٍ ... لَهُ عارضٌ فيهِ المنيَّةُ تَلْمَعُ

أيَا بَانيَ الدُّنْيَا لغيْرِكَ تَبْتَني ... ويَا جامِعَ الدُّنيَا لغَيْرِكَ تَجْمَعُ[23].

يقول الشاعر:

لا شَيْءَ مما تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... يَبْقَى الإِلَهُ وَيؤدى المَالُ وَالْوَلَـدُ
لمَ تُغْنِ عَنْ هُرْمُزَ يَوْمًا خَزَائِنُهُ ... وَالخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلا سُلَيْمَانُ إِذْ تَسرِي الرِّيَاحُ به ... وَالإِنْسُ وَالجِنُّ فيمَا كُلِّفوا عُبُدُ
أَيْنَ المُلُوكُ الَّتِي كَانَتْ نَوافِلُها ... مِنْ كُلِّ أَوْب إِلَيْـهَا رَاكِبٌ يَفِـدُ
حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلا كَذِب ... لا بُدَّ مِنْ وِرْدِنا يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا[24]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: يا ابن آدم، لا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، فإنه إن يُعلم من أجلك يأت فيه رزقك، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئا فوق قوتك إلا كنت فيه خازنا لغيرك"[25].

وأنشد أبو عبيدة:

وَاعلَم وأيقِن أنّ مُلكَكَ زائلُ ... وَاعلَم بأنّ كما تَدِينُ تُدانُ

يقول الأسود بن يعفر وكان أعمى:

فأرى النعيم وكلّ ما يلهي به ... يوماً يصير إلى بلى ونفاد

يقول الشاعر:

نَعَى نَفسي إِلَيَّ مِنَ اللَيالِي ... تَصَرُّفُهُنَّ حالاً بَعدَ حال
فَمَالي لَستُ مَشغولاً بِنَفسي ... وَمالي لا أَخافُ المَوتَ مَالي
لَقَد أَيقَنتُ أَنّي غَيرُ باقٍ ... وَلَكِنّي أَراني لا أُبالِي
هَبِ الدُنيا تُساقُ إِلَيكَ عَفواً ... لَيسَ مَصيرُ ذاكَ إِلى الزَّوال[26].

حياة الدنيا متغيرة وكل متغير فانٍ فالدنيا فانية، فلا يليق بنا أن نجزع على ما فات ونفرح كثيرا بما أسبغ الله علينا من النعمة. إن مع العسر يسرا، ولا يعيش الإنسان عيشة الهم والحزن والبلاء والعذاب دائما. لأن البلاء، لو طال الزمان به، فالموت يقطعه ويريح الإنسان من متاعب الحياة حسب قول الشاعر:

قال محمد بن حزم الباهلي:

هَوِّن عَلَيكَ فَكُلُّ الأَمرِ يَنقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنكَ عِنانَ الهَمِّ يَندَفِعُ
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِن بَعدِهِ فَرَجٌ ... وَكُلُّ أَمرٍ إِذا ماضاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ البَلاءَ وَإِن طالَ الزَمانُ بِهِ ... فَالمَوتُ يَقطَعُهُ أَو سَوفَ يَنقَطِعُ[27].

وأنشدنا الرياشي:

وَبَينَا الفَتَى في الفقرِ إذ صَارَ في الغِنَى ... وَبَينَا الفَتَى في البؤسِ إذ صَارَ في الخَفضِ

كذاكَ صروفُ الدَّهرِ تلعَبُ بالفَتى فتبرم أحياناً وتسرع في النَّقضِ[28]

الفقير ينظر إلى الغني، فيتلهف حسرة على حياة الترف والرغد والمتعة ويقارنها بحياته المليئة بالبؤس والشقاء والحرمان، ولكنه لا يدري أن الغني أيضا يعاني من المشاكل والمتاعب والآلام والأحزان الكثيرة. فهو أيضا دائما في بلاء وعذاب. وهو محفوف بالمخاطر من كل جانب لا يدري كيف يتخلص منها. قال بعض الحكماء في ذمّ الغِنَى: "طالبُ الغنى طويل العناء، دائم النصب، كثير التعب، قليل منه حظه، خسيس منه نصيبه، شديد من الأيام حذره، ثم هو بين سلطان يرعاه ويفغر عليه فاه، وبين حقوق تجب عليه يضعف عن منعها وبين أكفاء وأعداء ينالونه ويحسدونه ويبغون عليه، وأولاد يملّونه ويودّون موته ونوائب تعتريه وتحزنه"[29].

الزهد عن ملذّات الحياة: فلو كانت الحياة الإنسانية مليئة بالشقاء والوباء والحرمان والكآبة والأسى فلا يليق برجل عاقل أن يغترف من مناهلها العذبة السريعة النفاد بل يحسن به أن يغض البصر ويصرف النظر عن الملاهي والملذات المؤقتة، ويركز على الحياة الأبدية. أنشد عبد الله بن شبيبب:

فَمَن يحَمَدِ الدُنيا لعَيشٍ يَسُرُّهُ فَسَوفَ لَعَمري عَن قَليلٍ يَلومُها

إذا أَقبلَت كانَت عَلى المَرءِ حَسرَةً وَإن أَدبَرَت كانَت كَثيراً هُمومُها[30]

يخيّل إلى رجل عادي أن حياة الدنيا حياة مليئة بالنعمة والترف والرغد، فيقترب إليها بكل شوق ولهفة ولكنه لا يكاد يستقر في مهدها ليتمتع بنعمتها المرجوة إلا تنكشف عليه مرارتها وقذارتها وفتنتها وآلامها. فيجب على الرجل العاقل أن يعيش حياة راضية مطمئنة مقتنعة بما عنده من المال القليل. يقول الشاعر:

أَرى الدُنيا لِمَن هِيَ في يَدَيهِ عَذاباً كُلَّما كَثُرَت لَدَيهِ

تُهينُ المُكرمينَ لَهَا بِصُغرٍ وَتُكرِمُ كُلَّ مَن هانَت عَلَيهِ

إِذا إِستَغنَيتَ عَن شَيءٍ فَدَعهُ وَخُذ ما أَنتَ مُحتاجٌ إِلَيهِ[31]

قيل لبعض الزهاد: كيف ترى الدهر؟ قال"يُخلق الأبدان ويجُدد الآمال ويُبعد الأمنيّة. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به تعب ومن فاته نصبَ.

ويقول البحتري:

تَعالى اللهُ يا سَلمَ إِبنَ عَمرٍ أَذَلَّ الحِرصُ أَعناقَ الرِجال

هَبِ الدُنيا تُساقُ إِلَيكَ عَفواً أَلَيسَ مَصيرُ ذاكَ إِلى الزَّوال[32]

الناس يموتون ولا يرجعون إلى الدنيا. الملوك والسلاطين الذين عاشوا طويلا وتمتعوا بالملاهي والملذات قد صاروا إلى التراب. وهم الذين قد شيدوا القلاع العظيمة والمباني الفاخرة والمدن الكبيرة وأعدوا من السلاح والكراع والجيش القوي لمحاربة الأعداء. ولكن الحقيقة المريرة هي أن جميع ما هو فوق التراب لا قيمة له ولا معنى، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

قال قُسّ بن ساعدة في خطبة له: ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أ رضوا فأقاموا، أم حُبسوا فناموا، وهو القائل: يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، أين المعروف الذي لم يُشكر، والظلم الذي لم ينكر، أقسم قسّ بالله، إن لله لَدِينًا هو أرضى له من دينكم هذا. وأنشدوا له:

في الذاهِبينَ الأَوَّلي ... نَ مِنَ القُرونِ لَنا بَصائِر
لَمّا رَأَيتُ مَواردا ... لِلمَوتِ لَيسَ لَها مَصادِر
وَرَأَيتُ قَومي نَحوَها ... تَمضي الأَصاغِرُ وَالأَكابِر
لا يَرجِعُ الماضي وَلا ... يَبقى مِنَ الباقينَ غابِر
أَيقَنتُ أَنّي لا محَا ... لَةَ حَيثُ صارَ القَومُ صائِر[33]

ويتعجب أبو العتاهية من الدنيا ويتحسر على زهرة الأيام التي تقلّبت:

أَيا عَجَبَ الدُنيا لِعَينٍ تَعَجَّبَت ... وَيا زَهرَةَ الأَيّامِ كَيفَ تَقَلَّبَت

وللإمام الشافعي أبيات رائعة في حقيقة الدنيا وملذاتها والزهد عنها:

دَعِ الأَيّامَ تَفعَلُ ما تَشاءُ ... وَطب نَفساً إِذا حَكَمَ القَضاءُ
وَلا تَجزَع لِحادِثَةِ اللَيالي ... فَما لِحَوادِثِ الدُنيا بَقاءُ

ومن أروع أبيات ما جاء في مطلع قصيدة لأبي نواس:

يا دارُ ما فَعَلَت بِكِ الأَيّامُ ... ضامَتكِ وَالأَيّامُ لَيسَ تُضامُ
عَرَمَ الزَمانُ عَلى الَّذينَ عَهِدتُهُم ... بِكِ قاطِنينَ وَلِلزَمانِ عُرامُ

يقول أبو العتاهية:

سَيُعرَضُ عَن ذِكري وَتُنسى مَوَدَّتي ... وَيَحدُثُ بَعدي لِلخَليلِ خَليلُ
إِذا ما انقضت عَنّي مِنَ الدهرِ مُدَّتي ... فَإِنَّ غَناءَ الباكِياتِ قَليلُ

يقول أبو العتاهية:

فَلا تَعشَقِ الدُنيا أُخَيَّ فَإِنَّما ... تَرى عاشِقَ الدُنيا بِجُهدِ بَلاء

حَلاوَتُها ممَزوجَةٌ بِمَرارَة وَراحَتُها ممَزوجَةٌ بِعَناء
فَلا تمَشِ يَوماً في ثيابٍ مخَيلَةٍ فَإِنَّكَ مِن طينٍ خُلِقتَ وَماء

يقول البقاء الرندي:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقصانُ فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إِنسانُ
هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ مَن سَرّهُ زَمَن ساءَتهُ أَزمانُ
وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

يتفكر ابن عبد ربه في حقيقة الدنيا، فلا يجدها إلا مناما وحلما:

ألا إنَّما الدنيا كأحلامِ نائمِ وما خيرُ عيشٍ لا يكون بدائمِ
تأمَّلْ إذا ما نلتَ بالأمسِ لذَّةً فأَفْنَيتَها هل أنتَ إلا كحالمِ
وما الموتُ إلا شاهدٌ مثل غائب وما الناسُ إلا جاهلٌ مثلُ عالمِ

وقد تناول الشعراء العرب موضوع الدنيا وحقيقتها، فاستخدموا تعبيرات مختلفة لذمّ الدنيا، ومتاعب الحياة فيها. والدنيا عند الإمام علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه "كبيت نسجته العنكبوت". فالدنيا عند أبي العتاهية "عذاب كلما كثرت وهي تهين المكرمين وتكرم كل من هانت عليه".

قال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: ما لك من عيشك إلا لذّة تزدلف بك إلى حمامك، وتقربك من يومك، فأية كلمة ليس معها غصص أو شربة ليس معها شرق. فتأمل أمرك، فكأنك قد صرت الحبيب المفقود، والخيال المحترم، أهل الدنيا أهل سفر لا يحلّون عقد رحالهم إلا في غيرها[34].

وقيل لرجل من أشراف العجم في علّته التي مات فيها: ما بك؟ قال: فكر عجيب وحسرة طويلة. فقيل: ممّ ذاك؟ فقال: ما ظنكم بمن يقطع سفرا قفرا بلا زاد، ويسكن قبرا موحشا بلا مؤنس، ويقدم على حكم عادل بلا حجّة؟[35].

قال رجل من الأنصار لعبد الرحمن بن عوف: ما ترك لك أبوك؟ قال: ترك لي مالا كثيرا، فقال: ألا أعلمك شيئا هو خير لك مما ترك أبوك؟ إنه لا مال لعاجز، ولا ضياع على حازم، والرقيق جمال، وليس بمال، فعليك من المال بما يعولك ولاتعوله[36].

يقول البحتري:

ألمْ تَرَ رَيْبَ الدّهْرِ في كلّ ساعةٍ لَهُ عارِضٌ فيهِ المنيَّةُ تَلْمَعُ
أيَا بَانيَ الدُّنْيَا لِغَيْرِكَ تَبْتَنِي ويَا جامِعَ الدُّنيَا لِغَيْرِكَ تَجْمَعُ

كتب حكيم إلى حكيم يشكو إليه دهره: إنه ليس من أحد أنصفه زمانه فتصرفت به الحال حسب استحقاقه، وإنك لا ترى الناس إلا أحد رجلين: إما مقدم أخره حظه، إما متأخر قدمه جده. فارضَ بالحال التي أنت عليها، وإن كانت دون عملك واستحقاقك اختيارا، وإلا رضيت بها اضطرارا[37].

ومن حديث ابن وهب عن الليث بن سعد، أن أبا بكرلم يكن يأخذ من بيت المال شيئا ولا يجُري عليه من الفئ درهما، إلا أنه استلفّ منه مالا، فلما حضرته الوفاة أمر عائشة بردّه. وأما عمر بن الخطاب فكان يجُري على نفسه درهمين كل يوم. فلما ولى عمر بن عبد العزيز قيل له: لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب! قال: كان عمر لا مال له، وأنا مالي يغنيني. فلم يأخذ منه شيئا[38].

خرج هشام بن عبد الملك متنزها ومعه الأبرش الكلبي، فمرّ براهب في دير، فعدل إليه، فأدخله الراهب بستانا له، وجعل يجتني أطايب الفاكهة: فقال له هشام: يا راهب: بعني بستانك! فسكت عنه الراهب، ثم أعاد عليه، فسكت عنه، فقال له: ما لك لا تجيبني؟ فقال: وددتُ أن الناس كلهم ماتوا غيرك! قال: لماذا ويحك؟ قال: لعلّك أن تشبع[39].

التمتع بملذات الحياة: هكذا التراث الأدبي العربي حافل بالحكايات الكثيرة التي تحث على الزهد عن الدنيا وما فيها من متاع الغرور، أما الشعر العربي القديم فهو يقدم هذه الحقيق في صورة أروع وأبهى ما يمكن أن يكون. فلو أن التأملات في حقيقة الحياة ومعنى الوجود أدت إلى الحث على الزهد عن الدنيا وملذاتها من جانب، نفر من هذه الفئة طائفة من الشعراء الذين حرضوا على التمتع بملذات الحياة. يقول الشاعر:

هل العيش إلا أن أرُوحَ مع الصبا وأغدو صريع الرَّاح والأعين النُجلِ

يقول الحطيئة:

دَعِ المَكارمَ لا تَرحَل لبُغيَتِها وَاقعُد فَإِنَّكَ أَنتَ الطاعِمُ الكاسي

يقول ابن المعتز:

وَصَوتِ حمَامَةٍ سَجَعَت بِلَيلٍ وَقَد حَنَّت إِلى إِلفٍ بَعيدِ
فَما زلنا نَقولُ لَهَا أَعيدي وَلِلساقي أَلا هَل مِن مَزيدِ

يقول طرفة بن عبد:

وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الخُمُورَ وَلَذَّتِي وبَيْعِي وإِنْفَاقِي طَرِيْفِي ومُتْلَدِي

إلَى أنْ تحَامَتْني العَشيْرَةُ كُلُّهَا وأُفْرِدْتُ إفْرَادَ البَعيْرِ المُعَبَّد

هكذا نجد الشعراء يحرضون الناس على التمتع بملذات الحياة قبل أن يفوت العمر القصير وتنقضي الأحلام ويصير الإنسان إلى التراب. فلو أن الرجل لا يجد فرصة أن يعيش إلا مرة واحدة، فيجب عليه أن يعيش فرحا مسرورا متمتعا باللهو واللعب والمرح والطرب والحب والغرام.

أيام الإنسان في هذه الدنيا قليلة معدودة معارة، والموت لا يغادر غنيا ولا فقيرا إلا يدركه لا محالة. فلما لا نبذل قصارى جهودنا في الاغتراف من مناهل الحياة العذبة أوالتزوّد بكل ما نستطيع من معروفها.

لَعَمرُكَ ما الأَيامُ إلّا مُعارَةٌ فَما إسطَعتَ مِن مَعروفِها فَتَزَوَّد
أَرى الموت يعتامُ الكرامَ ويصطَفي عَقيلَةَ مال الفاحِشِ المُتَشَدِّد

قال لقيط بن زرارة:

شَربتُ الخَمرَ حتّى خِلتُ أنّي أبو قابوسَ أو عبد المدان
أمشي في بني عُدسِ بن زيد رَخيّ البَال منُطلقَ اللّسان[40]
شَرِبنَا من الدّاذي حتى كأننا ملوكٌ لهم بَرُّ العراقينَ والبحرُ
فلما انجَلَتْ شمسُ النّهار رأيتنا تولّى الغنَى عنا وعَاوَدَنَا الفقرُ[41]

وقال آخر، وهو عبد الرحمن بن الحكم:

وكأسٍ ترَى بين الإناء وبينَها قِذَى العينِ قد نازَعَت أم أبَان
ترى شاربيها حين يعترانها يميلان أحياناً ويعتدلان

وقال آخر:

دعَتني أخاها أُمّ عمرو ولم أكُن أخاها ولم أرضَع لهَا بِلَبان
دَعتني أخاها بعدَ ما كانَ بَيننا من الأمرِ ما لا يفعلُ الإخوان

يقول عمرو بن كلثوم:

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ فَاَصبَحينا وَلا تُبقي خُمُورَ الأَندَرينا
مُشَعشَعَةً كَأَنَّ الحُصَّ فيها إذا ما الماءُ خالَطَها سَخينا
صَددتِ الكَأسَ عَنّا أُمَّ عَمرو وَكانَ الكَأسُ مجَراها اليَمينا
وَما شَرُّ الثَلاثَةِ أُمَّ عَمرو بِصاحِبِكِ الَّذي لا تَصبَحينا
وَكَأسٍ قَد شَرِبتُ بِبَعلَبَكٍّ وَأُخرى في دِمَشقَ وَقاصرينا

التمتع بمناظر الطبيعة: فلو اهتم عدد من الشعراء بالتمتع بملذات الحياة من جانب، اهتمت طائفة منهم بالتمتع بمناظر الطبيعة الخلابة من جانب. فالمعنى الحقيقي للحياة عندهم يكمن في التمتع بجمال الطبيعة.

يقول أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار:

قال يصف الورد:

لا تصحب الدنيا كئيباً مكمدا ... من ذا رأيت من البرية خالدا؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنه ... فلقد حباك به الغمام وأسعدا
ورد كأن أصوله وفروعه ... سقيت دماً حتى ارتوى فتوردا
وشقائق شق القلوب كأنه ... خد مليح ضم صدغاً أسودا
والماء يجري في الرياض كأنه ... سيف صقيل من قراب جردا
فاشرب عليه فإنه وقت إذا ... ولى تفاوت أن ينال فيوجدا

وجد ابن المعتزّ لذة ومتعة في صوت حمامة حنت إلى ألف بعيد، فدفعه الإعجاب بالصوت العذب إلى أن يلتمس منها أن تعيد نفس الصوت مرات عديدة ليهتز نشوة وطربا. فالنقرأ الأبيات التالية ونتمتع بما فيها من القوة والروعة والبلاغة والتأثير.

وَصَوتِ حمَامَةٌ سَجَعَت بِلَيلٍ ... وَقَد حَنَّت إِلى إِلفٍ بَعيدِ
فَما زِلنا نَقولُ لَهَا أَعيدي ... وَلِلساقي أَلا هَل مِن مَزيدِ

وقد وجد أبو نواس الجمال في عين جارية فاتنة وكفها الناعمة وقدها المعجبة، فما لبث أن اهتز طربا من نشوتين خصص بهما دون الآخرين.

لا تَبكِ لَيلى وَلا تَطرَب إِلى هِند ... وَاِشرَب عَلى الوَردِ مِن حَمراءَ كَالوَردِ
كَأساً إِذا اِنحَدَرَت في حَلقِ شاربِها ... أَجدَتهُ حُمرَتَها في العَينِ وَالخَدِّ
فَالخَمرُ ياقوتَةٌ وَالكَأسُ لُؤلُؤَةٌ ... مِن كَفِّ جارِيَةٍ مَمشوقَةِ القَدِّ
تَسقيكَ مِن عَينِها خَمراً وَمِن يَدِها ... خَمراً فَما لَكَ مِن سُكرَينِ مِن بُدِّ
لي نَشوَتانِ وَلِلنُدمانِ واحِدَةٌ ... شَيءٌ خُصِصتُ بِهِ مِن بَينِهِم وَحدي[42]

ولم يكد أحد يبين صورة التمتع بالحياة مثلما فعل أبو نواس في الأبيات التالية.

ما زِلتُ أَستَلُّ روحَ الدَنِّ في لُطفٍ ... وَأَستَقي دَمَهُ مِن جَوفِ مجَروحِ
حَتّى اِنثَنَيتُ وَلي روحانِ في جَسَدٍ ... وَالدَنُّ مُنطَرِحٌ جِسماً بِلا روحِ[43]

ويقول أبو نواس مدافعا عن اقتراف الشهوات:

غَدَوتُ عَلى اللَذّاتِ مُنهَتِكُ الستر وَأَفضَت بَناتُ السرِّ مِنّي إِلى الجَهرِ
وَهانَ عَلَيَّ الناسُ فيما إِريدُهُ بِما جِئتُ فَاستَغنَيتُ عَن طَلَبِ العُذر
رَأيتُ اللَيالي مُرصداتٌ لِمُدَّتي فَبادَرتُ لَذّاتي مُبادَرَةَ الدَهرِ

الحث على مكارم الأخلاق:

وعدد لا بأس به من الشعراء العرب الكبار الذين يؤكدون على أن الهدف الأساسي وراء الحياة الإنسانية في هذا العالم هو تحلي بمكارم الأخلاق وصالح الأعمال. وأكتفي بذكر نماذج قليلة من الشعر العربي بسبب ضيق المجال.

يقول طرفة بن العبد:

قَد يَبعَثُ الأَمرَ العَظيمَ صَغيرُهُ حَتّى تَظَلَّ لَهُ الدماءُ تَصَبَّبُ
وَالإِثمُ داءٌ لَيسَ يُرجى بُرؤُهُ وَالبِرُّ بُرءٌ لَيسَ فيهِ مَعطَبُ
وَالصدقُ يَألَفُهُ الكَريمُ المُرتَجَى وَالكِذبُ يَألَفُهُ الدَنيءُ الأَخيَبُ[44]

وقيل لحزيم المرّي ما النعمة؟ فقال: الأمن، فإنه ليس لخائف عيش، والغِنَى، فإنه ليس لفقير عيش، والصحة، فإنه ليس لسقيم عيش، قيل: ثم ماذا؟ قال: لا مزيد بعد هذا[45].

ومن قول الخليل بن أحمد:

وَإِذا افتَقَرتَ إِلى الذَخائِرِ لَم تَجِد ذُخراً يَكونُ كَصالِحِ الأَعمال

الصبر والقناعة: هناك عدد غير قليل من الشعراء الذين يركزون على الصبر والقناعة لأن حاجات من عاش لا تنقضي في هذه الدنيا.

قال أبو ذوئيب:

وَالنَفسُ راغِبَةٌ إِذا رَغَّبتَها فَإِذا تُرَدُّ إِلى قَليلٍ تَقنَعُ

قال أبو العينار: سمعت الحسن بن سهل يقول: من أحبّ الازدياد من النعم فليشكر، ومن أحبّ المنزلة عند السلطان فليعظه، ومن أحبّ بقاء عزة فليتواضع، ومن أحبّ السلامة فليدم الحذر[46].

ولما خرج الرشيد إلى خراسان وصار بعقبة همذان أنشأ يقول:

حَتّى مَتى أَنا في حِلٍّ وَتَرحال وَطول سَعي بِإِدبارٍ وَإِقبال
ونازِحِ الدَهرَ لا ينفُكَ مُغتَرباً عَنِ الأَحبَّةِ لا يَدرونَ ما حالي
في مَشرِقِ الأَرضِ طَوراً ثُمَّ مَغرِبِها لا يَخطر المَوتُ مِن حِرصٍ عَلى بالي

وَلَو قَنعتُ أَتاني الرِزقُ في مَهَلِ ... إنَّ القُنوعَ الغنَى لا كُثرَةُ المال[47]

يقول أبو العتاهية:

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ مِن المال نفسَه ... تمَلَّكَه المالُ الذي هو مالكُهْ
ألا إنّما مالي الذي أنا مُنفِقٌ ... وليس ليَ المالُ الذي أنا تاركُهْ
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادرْ به الذي ... يحقُّ، وإلاّ استَهلكَتْهُ مَهالكُهْ[48]

يقول الحطيئة:

وَلَستُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ ... وَلَكِنَّ التَقيَّ هُوَ السَعيدُ
وَتَقوى اللهِ خَيرُ الزادِ ذُخراً ... وَعِندَ اللهِ لِلأَتقى مَزيدُ
وَما لا بُدَّ أَن يَأتي قَريبٌ ... وَلَكِنَّ الَّذي يَمضي بَعيدُ[49]

يقول أبو العتاهية:

ما ضَرّ مَن جَعلَ الترابَ مَهادَه ... ألّا ينام على الحريرِ إذا قَنعَ[50]

قال محمد بن حازم الباهليّ:

هَوِّن عَلَيكَ فَكُلُّ الأَمرِ يَنقَطِعُ ... وَخَلِّ عَنكَ عِنانَ الهَمِّ يَندَفِعُ
فَكُلُّ هَمٍّ لَهُ مِن بَعدِهِ فَرَجٌ ... وَكُلُّ أَمرٍ إِذا ماضاقَ يَتَّسِعُ
إِنَّ البَلاءَ وَإِن طالَ الزَمانُ بِهِ ... فَالمَوتُ يَقطَعُهُ أَو سَوفَ يَنقَطِعُ[51]

أوصى بعض الحكماء بنيه فقال: الأدب أكرم الجواهر طبيعة، وأنفسها قيمة، يرفع الأحساب الوضعية، ويُفيد الرغائب الجليلة، ويُعز بلا عشيرة، ويكثر الأنصار بغير رزية، فألبسوه حُلّة، وتزينوه حلية، يؤانسكم في الوحشة، ويجمع لكم القلوب المختلفة[52].

الرجوع إلى الله

يقول أبو العتاهية:

أَلا إِنَّنا كُلَّنا بائِدُ ... وَأَيُّ بَني آدَمٍ خالِدُ
وَبَدؤُهُمُ كانَ مِن رَبِّهِم ... وَكُلٌّ إِلى رَبِّهِ عائِدُ
فَيا عَجَبا كَيفَ يُعصى الإِلَ ... هُ أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ
وَللهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ ... عَلَينا وَتَسكينَةٍ شاهِدُ
وَفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدلّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ[53]

يقول الملتمس:

وحبسُ المال خيرٌ من نفاد وَضرب في البِلاد بِغَير زاد
وَإصلاحُ القَليلِ يَزيدُ فيهِ وَلا يَبقَى الكَثيرُ مَعَ الفَسادِ[54]

وأنشد ابن يزيد المهلبي في المعتمد:

سيبقى فيك ما يُهدي لساني إذا فنيت هدايا المهرجان
قصائدُ تملأُ الآفاقَ مما أحلَّ اللهَ من بسطِ اللسان

يقول البحتري:

لَنا في الدَهرِ آمالٌ طوالٌ نُرَجّيها وَأَعمارٌ قِصارُ
أَصابَ الدَهرُ دَولَةَ آل وَهب وَنالَ اللَيلُ مِنهُم وَالنَهارُ
وَقد كانوا فَأَوجُهُهُم بُدورٌ لمُبصرها وَأَيدهم بِحارُ[55]

هذه بعض الأمثلة من الشعر العربي القديم التي تكشف عن جوانب الحياة الإنسانية المختلفة ومعنى الوجود الإنساني في هذا الكون. وكل ما قدمت في هذا المقال غيض من فيض.

الخاتمة: وفي نهاية المطاف قد وصلنا إلى بعض النتائج وهي كما يلي: إن الشعر العربي القديم لم يتخلف عن الشعر العالمي في كشف الغطاء وإزالة الستار عن حقيقة الحياة الإنسانية من نواحيها المختلفة، فلو أن الشعراء والفلاسفة والمفكرين في الغرب منذ قديم الزمان قد أقبلوا على البحث عن أسرار معاني الحياة الإنسانية وقدموا أروع ما يمكن من التراث الأدبي والفكري الهائل منذ زمن قديم، فلم يتخلف الشعراء العرب عنهم في تأملاتهم في حقيقة الحياة الإنسانية وتقديم أجمل وأروع وأبهى ما يمكن أن يكون في صورة الأبيات الرائعة البديعة التي تعجب القلوب وتطرب النفوس وتمنح لذة ونشوة وطربا لكل من تناولها قراءة وبحثا.

الهوامش

[1] (Just War) القديس أوغسطيونس (354-430) من الشخصيات الفلسفية والروحية المؤثرة في المسيحية، له مساهمات في تطوير نظرية الحرب العادلة، ووصف الكنيسة كمدينة روحانية ونشر تعاليمه حول الخلاص والنعمة الإلهية.

[2] ماركوس لوريليوس انطونيونس اوغسطويس (161-180) من أبرز الفلاسفة القدماء. سميت كتاباته الفلسفية بالتأملات التي تعتبر كأحد أعظم الأعمال الفلسفية في الحكم والإدارة.

[3] فئة محدودة من المعلمين الذين تخصصوا باستخدام أدوات الفلسفة في القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد. وسافروا في أنحاء الإغريق معلمين الناس البلاغة والخطابة. ولهم تأثير عظيم على الحياة الفكرية من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الأول.

[4] هو شاعر ملحمي إغريقي شهير تنسب إليه الملحمتان الإغريقيتان الإلياذة والأوديسة. وقد أجمع الباحثون أن إلياذة وأوديسة تعود إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد مما يجعل هوميروس من أقدم الشعراء الغرب.

[5] دانتي أليغيري (1265-1321م) شاعر إيطالي اشتهر بعمله العظيم "الكوميديا الإلهية التي تعتبر تحفة من الأدب الإيطالي وتمثل عصر النهضة الفكرية الأوروبية ويرى الكثيرون بأنها من أفضل الأعمال في الأدب على المستوى العالمي. وقد تعرضت لسهام النقاد خاصة ايدوارد سعيد الذي قدمها كنموذج لتعصب غربي تجاه العرب والمسلمين.

[6] يوهان غوته (1749-1832م) شاعر ألماني مبدع وعالم طبيعي ترك إرثا أدبيا ضخما وأثر تأثيرا بالغا على الحياة الأدبية والفلسفية، تنوعت مؤلفاته بين الرواية والشعر والمسرح والسيرة الذاتية بالإضافة إلى المساهمات العلمية. ويعد غوتة ممثلا للفكر الألماني كما تعد كتاباته من روائع الأدب العالمي.

[7] نوفاليس (1772-1801م) شاعر رومانتيكي وفيلسوف ألماني، من أعماله الشعرية المهمة أناشيد لليل.

[8] بيرسي بيش شيلي (1792-1822م) شاعر إنجليزي رومانتيكي، اشتهر بأشعاره الرائعة.

[9] جون كيتس (1795-1821م) من رواد شعر الحركة الرومانتيكية الإنجليزية.

[10] ولد وليم وردزوورث عام 1770م، في إنجلترا، نشأ وترعرع في مناطق ريفية وبين المناظر الطبيعية مما أثر على خياله الأدبي تأثيرا بالغا، يعد وليم وردزوورث أحد مؤسسي الحركة الرومانسية الإنجليزية. اشتهر بتركيزه البالغ على الطبيعة الخلابة والتعاطف مع الإنسان العادي. وذاع صيته بسبب "القصائد الغنائية" التي كتبها مع صديقة الشاعر صمويل تايلوركوليريدج، وقصيدة أخرى بعنوان "المقدمة" وهي عبارة عن قصيدة ملحمية رومانسية، وتوفي عام 1850م في إنجلترا.

[11] توماس ستيرنز إليوت (1888-1965م)، شاعر ومسرحي وناقد أدبي حائز على جائزة نوبل في الأدب عام 1948م، ولد في الولايات المتحدة الأمريكية، وانتقل إلى المملكة المتحدة عام 1914م، ومن أشهر قصائده الأرض اليباب.

[12] يقول أفلاطون في الجمهورية.

[13] أبو القاسم الآمدي هو الحسن بن بشر بن يحي الآمدي، ولد وتوفي بالبصرة، اشتهر في مجال الأدب والشعر واللغة، ومن أعماله البارزة، الموازنة بين البحتري وأبي تمام، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم.

[14] هو علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي القاضي الجرجاني. ولد بجرجان ونشأ بها، رحل إلى العراق والشام في طلب العلم واتصل بالصاحب بن عباد الذي كان وزيرا لبني بويه فولّاه منصب القضاء. ومن أشهر مؤلفاته "الوساطة بين المتنبي وخصومه".

[15] هو عبد الملك بن محمد بن اسماعيل المعروف بأبي منصور الثعالبي النيسابوري. امتاز في النحو والأدب والكلمات والمصطلحات العربية. كان الثعالبي واعية كثير الحفظ، فقصد إليه القاصدون لطلب العلم. ومن أشهر مؤلفاته " فقه اللغة" و"يتيمة الدهر".

[16] أبو علي حسن بن رشيق المعروف بالقيرواني. كان أبوه يعمل صائغا، فعلمه صنعته وتعلم ابن رشيق الأدب ومن أشهر مؤلفاته "كتاب العمدة في محاسن الشعر ونقده وآدابه"، يقع هذا الكتاب في الجزئين ويحتوي على خلاصة النقاد كما يحتوي على موضوعات أدبية مهمة.

[17] التوحيدي، **كتاب الإمتاع والمؤانسة.** ص: 95.

[18] **المرجع نفسه**، ص:66.

[19] الثعالبي، **لباب الآداب.** ص: 144.

[20] المقدسي، أنيس. **أمير الشعراء العرب.** ص:144

[21] **زهرة الآداب وثمرة الألباب، الجزء الأول.** ص: 270.

[22] **المرجع نفسه**، ص: 270.

[23] الأصبهاني. **كتاب الأغاني.** ص: 1276.

[24] التوحيدي. **كتاب الإمتاع والمؤانسة، 3.** ص:103.

[25] المبرد. **الكامل، الجزء الأول.** ص: 216.

[26] ابن المعتز. طبقات الشعراء. ص: 234.

[27] القرطبي. بهجة المجالس، 1. ص:182.

[28] **المرجع نفسه**، ص:206.

[29] القرطبي. **كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس.** ص: 212.

[30] **بهجة المجالس، 2.** ص:283.

[31] البستاني. **بطرس، منتقيات أدباء العرب في العصر العباسي.** ص:24.

[32] المقدسي، أنيس. **أمراء الشعر العربي.** ص:156.

[33] الجاحظ. البيان والتبيين. ص:215.

[34] المبرد. **الكامل.** ص: 216

[35] المبرد. **الكامل، 2.** ص:185

[36] المبرد. **الكامل، 2.** ص:186.

[37] ابن عبد ربه. **العقد الفريد، الجزء الثاني.** ص:161.

[38] **العقد الفريد، 5.** ص:24.

[39] المرجع نفسه، ص: 196.

[40] المبرد. **الكامل.** ص:180.

[41] المرجع نفسه، ص:181.

[42] **منتقيات أدباء العرب في العصر العباسي.** ص:35.

[43] المرجع نفسه، ص: 37.

[44] **أشعار الشعراء الستة.** ص: 71.

[45] المبرد. **الكامل، 1.** ص:186

[46] أسامة بن منقذ. **لباب الآداب.** ص: 20.

[47] **كتاب المحاسن والمساوي.** ص: 4.

[48] **الأغاني، الرابع.** ص:1230.

[49] أسامة بن منقذ. **لباب الآداب.** ص: 22.

[50] **الأغاني، 4.** ص:1227.

[51] **بهجة المجالس وأنس المجالس.** ص: 182.

[52] **العقد الفريد، 1.** ص: 285.

[53] البسنتاني. **منتقيات أدباء العرب.** ص:28.

[54] ابن عبد ربه. **العقد الفريد، 7.** ص:219.

[55] العلامة القيرواني. **زهرة الآداب وثمرة الألباب.** ص: 270.

العلامة فضل حق الخير آبادي شاعراً عربياً هندياً

د. هاشم رضا*
mdhraza@gmail.com

ملخص البحث: *لقد أنجبت أرض الهند الخصبة عددا كبيرا من الكتاب البارزين والأدباء المتفوقين والشعراء النابغين الذين قاموا بإسهامات كثيرة في مختلف المجالات العلمية والأدبية فيما بينهم العلامة فضل الحق الخيرآبادي الذي يعتبر من أعظم شعراء اللغة العربية الذين نبغوا في شبه القارة الهندية، وساهموا مساهمة فعالة في قرض الشعر العربي، وقاموا بخدمات رائعة في تطويره في الهند. وكان العلامة الخيرآبادي شاعرا مطبوعا أصيلا من ناحية وفرة الصور الإبداعية والمعاني الخيالية حيث يعتبر شعره ثروة أدبية قيمة في تاريخ الشعر العربي في شبه القارة الهندية. وقد قرض العلامة الشعر العربي الرائع في أغراض متنوعة حتى فاق أهل زمانه من الشعراء الهنود حيث يبلغ عدد أبياته إلى أكثر من أربعة آلاف، ومعظمها في المديح النبوي صلى الله عليه وسلم وهجو الكفار والمشركين وفتنة الثورة الهندية التي وقعت في عام 1857 للميلاد، وأروع قصيدته: "قصيدة رائية" و "قصيدة نونية" و "قصيدة عينية" و "قصيدة سينية" و "قصيدة هائية" وغيرها، وبالإضافة إلى ذلك، القصيدة الهمزية و القصيدة الدالية التي نظمها العلامة حين كان في المنفى، وصور فيها أحسن تصوير لما تجشمه من الصعوبات والمشاكل في جزيرة إندمان، وكان موضوع هاتين القصيدتين نقض عهد ملكة فكتوريا. ولا يفوتني من الذكر أن العلامة قد قرض الأشعار والقصائد في موضوعات شتى والتي تتميز بصدق المشاعر ونيل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول صلى الله عليه وسلم والمحافظة على وحدة الوزن والقافية. وكان يلتزم بالتقاليد الشعرية الموروثة رغم أنه ولد وعاش في مطلع عصر النهضة. وقصائده محيطة بوصف الليل والشعر والغزل والرثاء، كما هي مملؤة بالمحسنات اللفظية والمعنوية من التكرار والتلميحات والتشبيهات التي تدل على تبحره في فنون الشعر ورموزه، وعلى قدرته في قرض الشعر في أغراض شعرية مختلفة.*

كلمات مفتاحية: *الشعر العربي، فضل حق الخيرآبادي، القصيدة، المديح النبوي، الهند*

*استاذ مساعد، قسم اللغة العربية بجامعة بتنة

المقدمة: لا يختلف الإثنان في أن العلاقات بين الهند والعرب قائمة منذ زمن سحيق إذ تعود جذورها وأصولها إلى ما قبل التاريخ. وقد قامت قوافل التجار العرب النازلين على سواحل الهند الجنوبية والغربية بتوطيد هذه العلاقات وتعزيزها من جديد منذ أن طلعت شمس الإسلام في جزيرة العرب. وهذه هي القواقل التي دخلت بها أنوار الإسلام واللغة العربية شبه القارة الهندية. وسرعان ما بدأت رقعة الدولة الإسلامية تتوسع حتى أصبحت الهند جزءا من الكيان الإسلامي الكبير وسيطرت الخلافة الإسلامية بغزو محمّد بن قاسم الثقفي بلاد السند سنة إثنتين وتسعين من الهجرية[1].

وكانت اللغة الفارسية لغة رسمية للمسلمين الهنود لأيام طويلة فإعتنى العلماء البارزون والأدبا المرموقون عناية كبيرة بتأليف الكتب وتصنيفها في هذه اللغة طوال الفترة. أما الكتب العربية في هذه الأثناء فلم تؤلف فيها إلا قليلا. ومع ذلك فإن للمسلمين الهنود لم يكن بإمكان أن يغمضوا عيونهم عن اللغة العربية أو يتجاهلوا عن أهميتها القصوى بكونها لغة الكتاب والسنة وذلك لأن جميع العلوم العربية والمصادر الإسلامية كلها توجد فيها. فقد اشتغل - نظرا لهذه الحقيقة – عدد كبير من العلماء والأدبا باللغة العربية دراسة وتاليفا وتصنيفا.

أما بالنسبة للشعر العربي فقد نهضت من أرض الهند الخصبة جماعة من الشعراء البارزين الذين قاموا بقرض قصائد غزيرة وأبيات جميلة حتى فاق بعضهم بعضا من شعراء العرب بروعة بيانهم وجمال تعبيرهم وحسن ديباجتهم. وكان منهم العلامة فضل حق الخير آبادي الذي قطع شوطا كبيرا في مجال الشعر العربي ولعب دورا ملموسا في تطوير الشعر العربي الهندي. حتى تقّدم على جميع شعراء اللغة العربية بالهند في عصره.

حياته وأعماله: ولد العلامة فضل حق الخير آبادي في قرية "خير آباد" بمديرية سيتافور بولاية أترا براديش في الهند سنة 1212ه المصادف 1797م في أسرة دينية بعيدة عن ملاهي الدنيا و لذاتها[2]. وبدأ تعليمه الابتدائي في منزله ودرس جميع العلوم المتداولة على أبيه الشيخ فضل إمام الخير آبادي الذي كان إماما في العلوم العقلية والفنون الحكمية في عصره، ومحتلا بمنصب صدر الصدور في مدينة دهلي، ومؤلفا لعشرات من الكتب ومن أشهرها "مرقات" في علم المنطق وهو مقرر في مناهج الدرس النظامي في معظم المدارس العربية والإسلامية بالهند حتى الآن. وأخذ علم الحديث

عن الشاه عبد القادر الدهلوي والشاه عبد العزيز الدهلوي وهما إبني الشاه ولي الله الدهلوي (1114-1176ه) صاحب "حجة الله البالغة". وحفظ القرآن الكريم في أربعة أشهر وبضعة أيام فقط. وأكمل جميع العلوم العقلية والنقلية الرائجة في ذلك الحين في سن صغره حتى تخرج في عام 1809م وهو كان إبن ثلاث عشرة سنة فقط[3].

واشتغل بعد ذلك بمهنة التدريس وقام بتدريس الطلاب الذين يزورزن أباه الشيخ فضل إمام من أدنى بلاد الهند إلى أقصاها للإستزادة من معينه العلمي الفياض طوال خمسين عاما مع أنه كان منهمكا في الوظائف المختلفة، وترك خلال هذه الأثناء مئات من التلامذة الذين ذاع صيتهم في أواسط العلم والأدب حتى كانوا بعضهم يعدون من أئمة العلوم والفنون في عصورهم.

وكان العلامة الخير آبادي من المساهمين في فتنة الثورة الهندية التي وقعت في عام 1857م فحبسته الحكومة الإنجليزية بعد إعلان عفو عام من قبل الملكة "فكتوريا" للثوار الهنود، ونفته إلى جزيرة إندمان حيث لم يشغل عن الكتابة والدراسة برغم تحمل الصعوبات والآلام بل كتب فيها بقلم الرصاص والفحم رسالة "الثورة الهندية" و "قصائد فتنة الهند" وأرسلهما على يد المفتي عنايت أحمد الكاكوروي (1228-1279ه) مؤلف "علم الصيغة" في علم الصرف، سنة 1277ه إلى إبنه البار عبد الحق. ولبّى دعوة ربه عزّ وجلّ في التاسع عشر من شهر صفر المظفر سنة 1278ه الموافق 1861م في المنفى[4].

وله كتب قيمة ورسائل غالية في موضوعات شتى يبلغ عددها إلى العشرات ومعظمها في الفلسفة والمنطق ومن أشهرها "الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية"، و"الجنس الغالي في شرح الجوهر العالي"، و"الروض المجود في تحقيق حقيقة الوجود"، و "الثورة الهندية"، و "قصائد فتنة الهند"، و "تحقيق الفتوى في إبطال الطغوى" وما إلى ذلك[5].

رغبته في الشعر: كان العلامة الخير آبادي شاعرا موهوبا مطبوعا أصيلا وذلك لأنه قد وجد منذ طفولته في مسقط رأسه "خيرآباد" جوا شعريا أدبيا بكونها قريبة من مدينة "لكناؤ" التي أنجبت الأدباء الكبار والشعراء العظام، و كان نفس الجو سائدا في مدينة دهلي حتى أن الملك المغولي الأخير بهادر شاه ظفر(1775-1862م) بنفسه كان من كبار الشعراء في عصره[6]. فقد مالت قريحته إلى دراسة الأدب والشعر وبدأ ينظم

الأشعار في اللغتين – العربية والفارسية – وكان يعرض أشعاره على أستاذه الشاه عبد العزيز الدهلوي لتصحيحها. ولم تمض أيام كثيرة حتى بلغ ذروة كماله وعلو كعبه في مجال الشعر العربي حتى تقّدم على جميع شعراء اللغة العربية بالهند في عصره. ويبلغ عدد أبياته إلى أكثر من أربعة آلاف ومعظمها في المديح النبوي وهجو الكفار والمشركين وفتنة ثورة الهند. كما قال الشيخ عبد الحي الحسني في هذا الصدد: "وفاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والميزان واللغة وقرض الشعر وغيرها. ونظمه يزيد على أربعة آلاف، وغالب قصائده في مدح النبي صلى الله عليه وسلّم وبعضها في هجو الكفار"[7].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلامة الخير آبادي كانت له علاقات عميقة مع الشاعر الأردي الكبير مرزا أسد الله خان غالب (1797-1869م) الذي كان يستخدم في أشعاره ألفاظ صعبة وتراكيب ثقيلة لا يمكن فهمها لعامة الناس فاقترح العلامة الخير آبادي عليه أن يخرج من ديوانه جميع أشعاره مثل هذه، فقبل مرزا غالب هذا الإقتراح الجيّد وأخرج ثلثي أشعاره من كلامه الأردي[8]، و إن دلّ هذا على شيئ فهو يدلّ على قدرته الكاملة وبراعته الموفورة في فن الشعر وفهمه.

شعره في المديح النبوي: قد قرض العلامة الخير آبادي عشرات من القصائد حول موضوعات شعرية مختلفة ولكن أكثرها تدور حول مدح النبي صلى الله عليه وسلم. ونقوم بنقل فيما يلي بعض النماذج من أبياته التي قرضها في "قصيدة بائية" في شأن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

وأوّل رسل الله آخرهم فما ... له مساو في العلى ومقارب
مكين مثيل مثله ليس ممكنا ... وويل لمشكوك عن الحق ناكب
يفوق النبيين الكرام نقيبة ... فمنه استفادوا ماله من مناقب
سما فوقهم كالشمس فوق كواكب ... السموات أو كالملك فوق الكواكب
له خلق الله الأراضي والسماء ... وما بينهما أو فوقهما من عجائب
فلو لاه لم يوجد خمير وطنية ... لآدم فضلا عن وليد وعاقب
ولو لم يكن في صلب نوح لما استوت ... سفينته بعد التطام الغوايب
ولو لاه في صلب الخليل لما نجا ... ببرد لهيب لاقح الحر ثاقب[9].

وكذلك قرض العلامة الخيرآبادي "قصيدة عينية" مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم قائلا:

قد اختصه الباري بأعلى فضائل خصائص تأبي الاشتراك وتمنع
به ختم الله النبيين وابتدأ به الخلق بل لولاه لم يك مبدع
نذير نظور مستحيل نطيره بشير بشير بإسم البشر أروع
فهذا هو الحق اليقين فلا تقول كما كان يهذي ساكع متسكع[10].

وقال في "قصيدة هائية" تشتمل على مائة وأثنى عشر بيتا، وقد خص نصفها الأخير لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أبياتها:

هو أول في الخلق أرسل آخر وأذيع في زبر الأوائل صاته
فالرسل قد ختموا بأفضل مرسل رفعت على درجاتهم درجاته
لم يعط يوسف ولا الخليل ولا ابنه قسماته وقسيمه وأناته
مرقاة موسى الطور في الوادي طوى والعرش فوق ذرى السما مرقاته
لم يعط داؤد أولا مولوده سلطانه وولاءه وغزاته
الفضل كان موزعا بين الورى فتجمعت في ذاته اشتاته
هو مظهر إسم الله تحوي ذاته ما تحتوي اسماءه وصفاته
نور سراج قد تلألأ أولا وسنا العوالم كلها جذواته
لولاه لم يكن الوجود ولم يكن فلك ولا آفاقه وجهاته[11].

وبين في "قصيدة همزية" الأوصاف الحميدة والأخلاق الحسنة لنبينا الكريم صلي الله عليه وسلم، وبعض نماذج من أبياته:

هو أول النور السني تبلّجت بضيائه في العالم الأضواء
هو أول الأنباء آخرهم به ختم النبوة وابتدأ الإبداء
بدء به أبدى المهيمن سره فلأجله الأيداء والإبداء
قد خصّه الباري بأوصاف على لم يعطها الأحداث والقدماء
أعطاه فضلا ليس يمكن أن يكون له شريك فيه أو شركاء
أسماه إذا سماه بالحسنى فمن أسماء خالقه له أسماء
بر رحيم مفضل ذو قوة هاد رؤف محسن معطاء[12].

وقال في نفس القصيدة طالبا منه الرحمة:

يا رحمة للعالمين إرحم على من لا له في العالمين رثاء
فاشفع له من دون إرجاء فقد ضاقت عليه الأرض والأرجاء

ويشير إلى معجزة انشقاق القمر قائلا:

أومى إلى القمر المنير فشقه وأبانه شقين ذا الإيماء[13].

وقال في "قصيدة ميمية" بالدعاء إلى سيّد الإنس والجان طالبا منه الشفاعة إلى ربّه عزّ وجلّ لزيارة الحرمين الشريفين ويشفع له يوم الحساب:

تصرم جل عمري في الملاهي وما لهواي بعد من انصرام
فسل ربي ليوديني شهيدا بطيبة عند عزيك الكرام
ويوزعني بحج واعتمار فارغب في الحطيم عن الحطام
ويدخلني، أزورك في حياتي مزارك مستكينا باستلام
وكن لي في ثرى قبري أنيسا وكن لي شافعا يوم القام[14].

شعره في فتنة الثورة الهندية: قد قرض العلامة الخير آبادي حول فتنة ثورة الهند الواقعة في عام 1857م خلال حبسه في جزيرة إندمان قصيدتين رائعتين مهمتين و هما "قصيدة همزية" و "قصيدة دالية" تصوّران جميع جوانب الثورة وأحوالها من بدايتها إلى نهايتها وذلك لأنه قد رأى كل ما حدث أثناء هذه الثورة بعينيه ثم ذكرها في رسالته "الثورة الهندية" نثرا و في "قصائد فتنة الهند" نظما. وفي خاتمة هاتين القصيدتين قرض أبياتا في المديح النبوي وأتمّهما بالدعاء إلى الله سبحانه بفضل حبيبه الكريم وقال: "تمت القصيدتان في شهر رجب سنة 1276ه يعني ألفا ومأتين وستا وسبعين من الهجرة المقدسة النبوية على صاحبها أزكى الصلوة والتحية، وأنا محبوس في الجزيرة الوبية، نجاني الله سبحانه منها برحمته الوسيعة، وقدرته البديعة، بجاه حبيبه وآله وعترته عليه وعليهم أزكى الصلوات وأسنى التسليمات"[15].

ثم يتحدث العلامة عن كيفية سيطرة الإنجليز على أرض الهند بمساعدة بعض الهنود ويقول بمنتهى الصراحة أن الإنجليز قد قاموابتخريب ديار الهند وهدم مساجدها ومعابدها بدون هوادة للديار وللمساجد والبيوت وكما يكتب عن مناظر المشاكل والمتاعب التي مر بها الهنود بعد أن سيطرت الحكومة الإنجليزية على الهند، إذ هو يقول:

قد سلط الأنصار في أمصارنا أن صار أنصارا لهم سفهاء

لم يعلموا أن لا وفاء لهم ولا أن لا لهم مندوحة ووقاء
من قبل ولاهم عليها من لها إذ صده عنها غنى وغناء
والآن إذ نصر النصارى افرطوا في الظلم فاخترم الضعاف جفاء
فتفرقوا أيدي سبا وأداركت فرقا كثيرا أخذة وسباء
عال الغنى وذل ذوعز كما هان الخطير وصغر الكبراء
قتلوا وغالوا جل من أخذوا وهم مما ادعوا من جرمهم براء
غالوا برایاهم برایا غیلة فجرت كما انفجر العيون دماء
كم خربوا بلدا ولم يذروا به بلدا فصار كأنه بيداء
هدموا المساجد والقصور كأنها لم تبن لم يك ثم قط بناء
بخست بخستهم زروع الأرض من شئوم فلا ريع لها ونماء
قدروا على الناس والمعاش فقدر هم أن لا غذاء عندهم وعشاء[16].

وقرض العلامة الخير آبادي "قصيدة همزية" يصور أحواله في السجن بعد انتهاء الثورة:

لجوى له بجوانحي إيراء جمد الدموع و ذابت الأحشاء
و لما ألم من النوائب والنوى يبكي الصديق و يشمت الأعداء
قد كنت في غزو جاه كان في أعيان أعيان به أقذأ
أسى الصديق على أساى وحار من حوري في أسوى اساء إساء
شمت العدي اذ حال حالي واعترى ما شاء بي المساء والوشاء
ألم ألم بنا وهم همنا ونوى لنا منها بلى وبلاء
حلت عظام مصائب جلت بها وهن العظام ودقت الأعضاء

ويصوّر كذلك فيها نقض العهد للملكة "فكتوريا" بعد إعلان عفو عام للثوار الهنود أحسن تصوير:

إني بلاني خدعة إمرأة بلي كيد عظيم ما تكيد نساء
يخلبن خلقا بالمواثق ثم لا لعهودهن وعهدهن وفاء
خدعت بأن قد شهرت أن آمنت قوما نبت بهم الديار وناءوا
فأتيت داري آئبا إذ غرني أيمان كافرة لها إستيلاء

ثم يتحدث عن حياته الشديدة في المنفى قائلا:

ألم ألمّ بنا وهم همّنا ونوى لنا منها بلي وبلاء
حلت عظام مصائب جلت بها وهن العظام ودقت الأعضاء
قد ضيقوا عيشي علىّ فعفته ونسيت عيشا كان فيه رخاء[17].

ويقول في "قصيدة دالية" مخاطبا حبيبته على طريقة الشعراء القدماء:

عودي فعودي مريضا داءه عادي اشفى على الحين حتى عاداه العادي
عواد سقم قلى عواده ولهوا وكان يلهي بذمار وعواد
واعتاد ودي كل الإساءة به فعاد كلا على أهل وعوادي
داء دواه عياء لا دواء له حمامه حاضر من سقمه البادي
ويلاه من زمن لا يشتفي زمنا علاجه ليس يجدي غير إكماد
دائي عضال ولا يجدي بعائدة عود لداء بعواد الداء عواد
حشا حشاي جوي يشوي الجوانح والحشا كنار غضا توري بإقاد
كم بين نار حشا التنور موقدها وقودها حطب من بعض أعواد
وبين نار جوى يصلي جوانحنا وقودها من حشا منا وأكباد
ولي السعود فلا سلمي تسالمني ولا سعاد تداريني بإسعاد[18].

وبالإضافة إلى ذلك قرض العلامة الخير آبادي الشعر في أغراض متنوعة من الغزل والوصف والرثاء.

وقال في الغزل:

تواري نوارا ثم تطلع متلعا كشمس تبدي من سجوف السحائب[19].

وقال فيه:

مريحة أمرحت بالبسم مكتسا بكى بعين كعين الماء ممراح

وقال في وصف الشعر:

فرع أثيث مظلم بل كافر متظلم فلكم سليم مسلم ألهاه عن إيمانه[20].

وقال في وصف الليل:

وطرف أرمد يوذيه غمض وليل سرمد داجي الظلام[21].

وقال في الرثاء:

علا زفيري ودمع العين ينحدر وبلني الدمع والأحشاء تستعر
ما لي أرى الليل لا ينجاب ظلمته كأنما ضلّ فيها الشمس والقمر[22].

الخاتمة: وفي نهاية المطاف وصلنا إلى النتائج التي تدور حول أن العلامة الخيرآبادي كان شاعرا هنديا عربيا ولع باللغة العربية، وتبحر في قواعدها، وتفنن في فنونها، ونال حظا وافرا من الشيوع والذيوع على المستوى الوطني، ولعب دورا هاما في تطوير الأدب العربي في الهند، وبذل كل ما في وسعه في المحافظة عليه في أنحاء البلاد. كما أنه قرض الشعر العربي في الموضوعات المختلفة من المدح والغزل والوصف والرثاء والهجو، والتزم فيه بالصدق والأمانة، وصوّر فيه عن المناقب الفاضلة والأخلاق الحسنة والأوصاف الحميدة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأسلوب رائع، وعبّر فيه عن وصف الليل والشَعر تعبيرا حسنا، وهجا فيه الملكة فكتوريا بعد نقض عهدها بالإضافة إلى توضيح الصعوبات والآلام والمشاكل التي واجهها العلامة الخيرآبادي من قبل الإنجليز. والجدير بالذكر هنا أن قصائده مملؤة بالأسلوب البديع والتعبيرات الدقيقة والمحسنات اللفظية والمعنوية من التكرار والتلميحات والتشبيهات التي تميزه عن معاصريه في شبه القارة الهندية.

الهوامش

[1] الندوي، سيد سليمان. **عرب وهند کی تعلقات.** ص: 15- 16.

[2] الخير آبادي، فضل حق. **الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية.** ص:3.

[3] شرواني،عبد الشاهد خان. **باغي هندوستان.** ص: 145.

[4] المصدر نفسه، ص: 148 و227.

[5] الخير آبادي، فضل حق. **الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية.** ص:5.

[6] . http: / /www.iloveindia.com /literature /urdu /poets /zafar.html

[7] الحسني، عبد الحي. **نزهة الخواطر، ج7.** ص: 413.

[8] . آزاد، محمّد حسين. **آب حيات.** ص: 497.

[9] . الخير آبادي، فضل حق. **قصائد مخطوطة.** ص: 6

[10] المرجع نفسه، ص: 7.

[11] المرجع نفسه، ص: 30.

[12] قمر النساء. **العلامة فضل حق الخير آبادي مع تحقيق كتابه "الثورة الهندية".** ص: 96-97

[13] المرجع نفسه، ص: 100-102

[14] الخير آبادي، فضل حق. **قصائد مخطوطة.** ص: 18

[15] الخير آبادي، فضل حق. **قصائد مخطوطة.** ص: 20

[16] الخيرآبادي، فضل حق. **مخطوطة الثورة الهندية مع القصيدتين الهمزية والدالية.** ص: 81- 85.

[17] قمر النساء. **العلامة فضل حق الخير آبادي مع تحقيق كتابه "الثورة الهندية".** ص: 85- 86.

[18] **المرجع نفسه**، ص: 100- 102.

[19] قمر النساء. **العلامة فضل حق الخير آبادي مع تحقيق كتابه "الثورة الهندية".** ص: 100- 102.

[20] **المرجع نفسه**، ص: 208 – 212.

[21] الخير آبادي، فضل حق. **قصائد مخطوطة.** ص: 14.

[22] الندوي، رضوان علي. **اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون.** ص: 39.

المصادر والمراجع

- الندوي، سيد سليمان. **عرب وهند كى تعلقات.** أعظم كره: مطبعة معارف، 1992م.
- الخيرآبادي، فضل حق. **الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية.** كانفور: مطبعة شعلة طور.
- الحسني، عبد الحى. **نزهة الخواطر.** حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1963م.
- الشرواني، عبد الشاهد خان. **باغي هندوستان.** مباركفور: المجمع الإسلامي، 2001م.
- http: / /www.iloveindia.com /literature /urdu /poets /zafar.html
- آزاد، محمّد حسين. **آب حيات.** لكهنو: أتر برديش أردو أكادمي، 1998م.
- حالي، ألطاف حسين. **يادغار غالب.** نيو دلهي: غالب إنستي تيوت، 1996م.
- الخيرآبادي، فضل حق. **قصائد مخطوطة، رقم1/ 892.711.** عليكره: مكتبة مولانا آزاد، جامعة عليكره الإسلامية.
- د. قمر النساء. **العلامة فضل حق الخير آبادي مع تحقيق كتابه "الثورة الهندية".** لاهور: مكتبة قادرية بجامة نظامية رضوية،1985م.
- الخيرآبادي، فضل حق. **مخطوطة الثورة الهندية مع القصيدتين–همزية و دالية، رقم2 / 892.712.** عليكره: مكتبة مولانا آزاد، جامعة عليكره الإسلامية.
- الندوي، رضوان علي. **اللغة العربية و آدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون.** كراتشي: مطبعة مكرم، 1995م.

قضية الهوية والعمالة الوافدة كما تتجلى في رواية ساق البامبو

د. أنوار الحسن*

ملخص البحث: *قضية الهوية والعمالة الوافدة تعتبر من أبرز وأهم القضايا التي تناولت العديد من الروايات العربية، ومن أهمها رواية ساق البامبو للروائي الشاب الكويتي سعود السنعوسي، فهذه الرواية ركزت عنايتها على قضية الهوية والعمالة الوافدة بكل دقة ومهارة، وقد فازت بالجائزة العالمية للرواية العربية المعروفة بـ"بوكر العربية"، وذلك لأنها تناولت هذا الموضوع الخطير الذي أغفله الكثير من الكتاب والروائيين العرب تهاونا في أمرهم. وتعتبر هذه الرواية مهمة بأنها عمل جرئي يتناول على نحو موضوعي موضوع قضية الهوية والعمالة الوافدة في الخليج العربي. وتناول الكاتب سعود هذه القضايا الاجتماعية والسياسية في رواياته وكتاباته الإبداعية بدون خشية لومة لائم بكل جرأة وصداقة.*

كلمات مفتاحية: الهوية، العمالة الوافدة، الرواية العربية، سعود السنعوسي، الخليج العربي

المقدمة: أنجبت دولة الكويت العديد من الأدباء والكتاب البارزين الذين خدموا الأدب العربي نثرا وشعرا، فكتبوا روايات، وقصصا قصيرة، ومسرحيات إلى جانب الاهتمام بالدراسات الإسلامية والفقهية. من أبرزهم وعلى رأسهم الروائي الشاب الكويتي سعود سليمان السنعوسي الذي يلعب دورا ملموسا في تقدم النشاطات الثقافية في الكويت، ويهتم كثيرا بالأعمال الأدبية الفنية، واشتهر أولا ككاتب المقالات في الصحف والجرائد والمجلات. وظهرت روايته "ساق البامبو" في أواخر عام 2012م. وهي رواية ثانية للسنعوسي، التي فازت بالجائزة العالمية للرواية العربية المعروفة بـ"بوكر العربية" لعام 2013م. ووصفت لجنة التحكيم الرواية الفائزة بأنها "محكمة البناء وتتميز بالقوة والعمق وتطرح سؤال الهوية في مجتمعات الخليج العربي"[1]. واعتبرتها أفضل رواية تُنشرخلال سنة 2012م. وتحتوي رواية "ساق البامبو" على مضامين

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مولانا مظهر الحق العربية والفارسية، بتنه، بيهار، الهند

ثرية، وتتميز بالاتزان والتحليل العميق. وهي رواية اجتماعية وواقعية وضعت يدها على الجرح العربي، وكشفت كثيرا من التناقضات في المجتمعات العربية، وعالجت معالجة جريئة المجتمع الخليجي وإشكاليات العمالة الوافدة والمشاكل التي تتعرض لها حياة الخدم في المنازل الثرية. وساق البامبو اكتسب شهرة عظيمة ونال إعجابا كبيرا بين القراء والأدباء لا في الكويت فحسب بل في سائر البلدان العربية أيضا. وفي سنوات عديدة طبعت أكثر من عشرين مرة. كما تم نقلها في العديد من اللغات العالمية: الإنكليزية والرومانية والفارسية وغيرها من اللغات.

قضية الهوية والعمالة الوافدة في رواية ساق البامبو: لقد رضع كاتب الرواية سعود السنعوسي من لبانة الثقافات المختلفة، فاستطاع أن يقدم لنا في هذه الرواية عصارة تجاربه ببراعة فائقة، لأنه كان يشاهد في مجتمعه قضية الهوية وأوضاع العمالة الوافدة السيئة، والتي أثرت في قلبه فأتى بهذه الرواية في أسلوب جديد يميزها عن الروايات العربية الأخرى، هو الجرأة البيانية التي أظهرها الكاتب في عمله، فلم يخش فيها لومة لائم، و أزاح الستار عن مساوئ وعيوب المجتمعات الخليجية ولا سيما فيما يخص تعاملها مع العمالة الأجنبية الوافدة من بلدان آسيوية نامية و فقيرة. صدرت هذه الرواية المشتملة على396 صفحة عن "الدار العربية للعلوم ناشرون" ببيروت، لبنان في آواخر عام 2012م.

وهذه الرواية إنما هي سرد أحوال عيسى وقصة حياته من ميلاده إلى أن استقر في الفلبين بعد عودته من الكويت خائبا في استرداد حقه الواجب. كما أن هذه الرواية تسرد أحوال أمه قبل ميلاده، والظروف التي عاشتها في الكويت، فهذه الشخصية يعني شخصية عيسى راشد أو هوزيه ميندوزا، هي شخصية محورية في الرواية تدور أحداث الرواية كلها حوله، وهو راوي القصة، والبطل الرئيسي لها.

ومن الشخصيات المهمة في الرواية جوزافين ميندوزا، و هي أم عيسى أو هوزية، بطل الرواية، ذهبت إلى الكويت لتعمل كخادمة في بيت ثري، وهو بيت راشد الطاروف الذي أصبح زوجا لها عبر الزواج العرفي، ومن هنا تبدأ المشكلة في حياتها، وقد واجهت جوزافين ظروفا قاسية خلال العمل في الكويت، فكان أهل البيت يعاملون معها معاملة سيئة، ولا يتحدثون معها إلا بلغة الأوامر ويحسبون أن هي وسائر العمال حيوانات لا تشعر ولا تفهم، و زاد الطين بلة إذ تجرأت هذه الخادمة المسكينة أن تصبح جزءا من هذه العائلة بكونها زوجة لإبنها الوحيد المدلل، وليس ذالك خطأها في الحقيقة لأن اليد

الواحدة لا تصفق، فإن راشد الطاروف هو الذي تدلل معها و شغف بها حبا، و جوزافين تتحدث عنه قائلة: "كان سعيدا بي، كما يقول، لأنني مثله أحب القراءة"[2]. وقالت عنه أيضا "تصور مدى جنون والدك! كان يتحدث إلى الخادمة في الأدب و الفن و شئوون بلاده السياسية، في حين لا أحد هناك يتحدث مع الخادمات بغير لغة الأوامر، و راشد كان يتحدث معي في غرفة مكتبه بعد أن ينام سائر أهل البيت، ثم تقول جوزافين: "كنت أغسل و أكنس و أمسح طوال اليوم، لأتفرغ في نهايته لأحاديث الليل، بعد نوم سيدات المنزل، مع أبيك في غرفة المكتب، كنت أحاول أن أجاريه في أحاديثه السياسية، و أن أشد اهتمامه، و استعرض معلوماتي الفقيرة في السياسة"[3].

ومن الشخصيات المهمة في الرواية راشد، و هو الإبن الوحيد المدلل للأسرة الكويتية الثرية، وهي عائلة الطاروف التي كانت تعيش في الجابرية بالكويت، كان شابا مثقفا وجامعيا ومغرما بالقراءة و الكتابة، فيجلس ساعات في غرفة مكتبه، و يكتب الرواية، كما يكتب أيضا المقالات في الصحف و الجرائد و المجلات، و هو رجل منفتح، بعيد عن التعصب، كان ينتقد على الشؤون السياسية لبلاده، ويؤيد الحرية في كل الأمور، وقد أحب فتاة في أيام دراسته في الجامعة، أراد بها الزواج بها، و لكن لأسباب وتصنيفات اجتماعية، وقفت أمه في هذا الزواج، فأحب جوزافين، خادمة البيت، وتزوج بها زواجا عرفيا، ورفضت أمه هذا الزواج أيضا وما تولد منه كما قالت الجدة مخاطبا لإبنه "اقذف بهما خارجا وانظر كيف ستحل البركة عليك. ومن ثم عد إلى بيتك، وستجدني، بقلب الأم، أغفر لك ذنبك العظيم"[4]. ثم يسرد عيسى ما حدث بعد ذلك قائلا "ما أن استخرج أبي شهادة ميلاد لي باسم عيسى حتى اتصل بوكالة سفر، طالبا منهم حجز مقعد على أي طيران يقلنا إلى مانيلا، شريطة ألا يكون ذلك عبر الخطوط الجوية الكويتية"[5]. وبعدها تزوج بفتاة أخرى اسمها "إيمان" وولدت منها خولة، وكانت مثل أبيها في الفكر، وقد بدأ راشد كتابة رواية، ولم يكملها حتى وافته المنية، واستشهد في حرب الخليج التي اندلعت بين العراق والكويت.

وتزوج راشد بإمرأة كويتية باسم "إيمان" بعد أن طلق جوزافين زوجته الفلبينية. كما تزوجت جوزافين مرة أخرى بفليبني بعد أن طلقها راشد، فقامت بتربية عيسى خالته آيدا، وكانت تحبه حبا جما، وكان راشد متفكرا لتربية ولده فيقول في رسالة موجة إلى جوزافين "وصلتني رسالتك الأخيرة، وقرأت ما جاء فيها. أرجو ألا يشغلك

زواجك عن تربية الصغير، كما أتمنى تلغي فكرة السفر للخارج مرة أخرى. سأرسل لك ما تحتاجينه من مال يغنيك عن السفر. فقط إبق إلى جانب عيسى، لا أريد أن يكبر بعيدا عن أمه، فيكفيه ما جاء من أبيه"[6]. ولكن جده من قبل الأم ميندوزا كان يكرهه، واشتد كرهه عندما انقطعت الحوالات المالية من أبيه إثر إغارة العراق على الكويت، ذهب راشد ضحية هذه الحرب التي دمرت الكويت تدميرا، وانزعجت جوزافين انزعاجا للانقطاع المالي وبدأت تفكر عن مستقبل ولدها، ولكنها كانت على يقين على أن راشد لن يخلف وعده، وسيذهب بإبنه إلى بلده الحقيقي. وكانت على حق في يقينها لأن راشد لم يكن ليخلف وعده، وكان قد أوصى صديقه الحميم غسان أن يجيئ بولده إلى وطنه قبل موته لذلك قام بالاتصال مع جوزافين فيقول "أتصور أن الوقت قد حان لعودته، وكانت هذه رغبة راشد منذ خمسة عشر عاما... وأوصاني أن أتكفل بـ عيسى إذا ما حدث له مكروه[7]". ويقوم باسترداد حقوقه الواجبة، فقام بتنفيذ وصيته بالفعل، وجاء به إلى الكويت ولكن عائلة راشد لم تكن أن تقبله بسهولة، وقد كرر غسان محاولاته وعاد خائبا مرات، ولكنه لم يتوان، وأصرت خولة على إبقائه في البيت، وهي أخته من جهة أبيه، ولدت من إيمان الزوجة الثانية لراشد، ووافقت فكرة خولة عمات عيسى ما عدا نورية التي تريد تسوية الأمر بالمال، وبعد الكلام الكثير والمفاوضات العديدة، وجد عيسى القبول في عائلته ولكن بشروط، ومنها أنه يسكن في ملحق البيت وهو مكان مفصول في فناء البيت الداخلي، وأنه لا يفشى هويته ويقول فقط هو الطباخ الجديد ولا يتحدث مع الخدم عن أمره، ويلبث في البيت كـ"سر" للأبد ويعني ذالك أن قبول العائلة له كان قبولا جزئيا.

عاش عيسى في بيت عائلته مدة من الزمان، ووجد نفسه في وضع صعب هنا بسبب التعصب، ونفور أهل البيت منه، وزادت مشكلته بعد أن تفشى سره وعلم أمره الجيران عنه، فتم طرده من البيت ليعيش في سكن العمال الأجانب في الكويت، وواجه عيسى هناك مشاكل كثيرة، ولم تكن الكويت البلد الأسطوري وأرض الحلم والجنة التي كانت أمه تحكي له عنها، لم يجد الوظيفة هنا بسبب جهله بالعربية في القطاع الحكومي، فعمل في القطاع الخاص في مطعم، وعانى مشاكل شتى خلال مكوثه في الكويت بسبب ملامحه الفلبيبية، وذات يوم قبضت الشرطة عليه معتبرة أنه من العمال الوافدين غير الشرعيين، ولم تسلم قوله بأنه كويتي، ثم أن عمته نورية كانت له

بالمرصاد، وهي التي كانت سببا في خسارة وظيفته، وتوقفت جدته أيضا عن إعطائه الراتب الشهري من مكافآة أبيه الشهيد، وهو أربع مئة دينار، فأصبح عيسى مفلسا من المال، وعرض عليه أصدقائه الكويتيون الذين لقى بهم في الفلبين المساعدة المالية، ولكنه لم يأخذ منهم شيئا و أصبح عيسى كئيبا مضطربا في أمره وانزعج من الكويت وعائلته وقال "أنا رغم اختلافي عنكم، وربما تخلفي أيضا، في الكثير من الأشياء، ورغم شكلي الذي يبدو غريبا بينكم، ورغم لهجتي وطريقتي في لفظ الكلمات و الحروف.... رغم كل تلك الأشياء، فأنا أحمل تلك الأوراق التي تحملون، ولي حقوق وعلي واجبات مثل حقوقكم وواجباتكم تماما، كما أنني، رغم كل شيئ، لم أكن أحمل لهذا المكان سوى الحب، ولكنكم، ولسبب أجهله، حلتم بيني وبين أن أحب المكان الذي ولدت فيه، والذي مات أبي من أجله، منعتموني من القيام بواجباتي، وحرمتموني من أبسط حقوقي"[8].

وأضاف قائلا: "قد لا يكون الذنب ذنبكم، بل هو ذنب والدي الذي أحضرني إلى أرضكم بعد سنوات عدة قضيتها هناك. أراد أن يزرعني من جديد، متناسيا أن النباتات الاستوائية ... لا تنمو في الصحراء. خذوا هذه الأوراق، وأعيدوا لي نصف إنسانيتي، أو خذوا ما تبقى منها لدي. خذوا إنسانيتي التي لم تعترفوا بها، وأتركوني أحيا كالنملة، كالنحلة، كالصرصار. ولكن، من دون قرني استشعار"[9].

ونظرا للأمور والأوضاع المحيطة به، قرر عيسى نهائيا مغادرة الكويت والرجوع إلى الفلبين، وعاش هناك عيشا كريما، وتزوج ببنت خالته ميرلا التي أحبته منذ الصغر، وقد أنجبت ولدا، وسماه باسم أبيه الكويتي راشد.

تناول سعود السنعوسي في هذه الرواية قضية الهوية، والهوية هو مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات، وهي قضية شائكة، وروايات عربية عديدة تناولت إشكالية الهوية في الدول الخليجية وفي العالم العربي، ومن بينها رواية "ساق البامبو" تمتاز بأنها عالجت قضية الهوية باتجاه عكسي ينطلق من الخارج باتجاه الداخل منظورا إليها بعين الآخر، أما الروايات التي كتبت في نفس الموضوع قبل ظهور رواية "ساق البامبو" عالجت هذه القضية من الداخل إلى الخارج والنظر إلى الآخر.

فشخصية عيسى التي تمثل أزمة الهوية في الرواية فقد ضاعت هويته بين وطنين، الفلبين والكويت، وبين دينين، المسيحية والإسلام، لأن الإنسان يعشق هويته الخاصة،

ويعرف قدرها فقط من هو محروم منها، فيقول في موضع من الرواية: "إنه قدري، أن أقضي عمري باحثا عن إسم ودين ووطن"[10]. كما يتمنى أن يكون كسائر الناس واضح الهوية والمعالم فيتحسر قائلا: "لو ولدت لأب وأم كويتيين، مسلما، أسكن في بيت كبير تحتل غرفتي فيه مساحة لا بأس بها في الدور العلوي، غرفة فيها تلفاز 46 بوصة وغرفة ملابس وحمام. استيقظ صباح كل يوم لأذهب إلى عملي الذي اخترته بنفسي، مرتديا تلك الثياب البيضاء الفضفاضة مع غطاء الرأس التقليدي، أشكل جزءا من الكل، من دون أن أظهر بصورة الكومبارس الذين يقومون بأدوار العرب في أفلام هوليوود. أنظر إلى الناس من حولي ولا أحتاج لأن أرفع رأسي إلى السماء كي أخاطبهم، ومن دون أن ينظروا إلى الأرض ليتنبهوا إلى وجودي بينهم، أجلس في المقاهي والمطاعم الفخمة من دون أن يتهامس البعض مستنكرا وجود أمثالي في مثل هذه الأماكن الراقية. ارتاد مجالس الشباب ليلا، ويكون لدي الكثير من الأصدقاء الكويتيين، أصدقاء مثل غسان ووليد، اجتمع بهم في الديوانية، وأخرج معهم إلى البحر، أذهب إلى المسجد يوم الجمعة، واستمع إلى الرجل الواقف خلف المنصة وأفهم ما يقول، بدلا من أن أرفع كفي، مقلدا الرجال حولي، مرددا كالببغاء: آمين... آمين...آمين"[11].

هناك تساؤلات عديدة يوجهها عيسى التائه في متاهات هويته إلى نفسه، فلا يجد لها جوابا، وتحدو به الأمنيات والآمال الكثيرة، فلا يرى أي سبيل إلى تحقيقها، و هذه هي الأحاسيس المرهفة لضائعي الهوية، وقد صورها السنعوسي بصورة فنية بغاية من الدقة والبراعة تختزل متاهات البطل الرئيسي في وطنين ودينين وثقافتين، وهذا النموذج الذي قدمه السنعوسي لأسئلة الهوية من خلال هذه الرواية الرائعة كان ليس مألوفا في الذهنية العربية، إن الكاتب شكل الأسئلة الخطيرة أمام القارئ ليبحث عن جوابها.

وخلاصة القول إن هذه الرواية مثلت قضية الهوية خير تمثيل، عبر الشخصيات الروائية التي توجد لديها عقد نفسية عديدة ومشاكل كثيرة، وقدم الكاتب نمطا جديدا من أشكال الهوية وصراعاتها. كما فتح بهذه الرواية أفقا نقديا واسعا لأسئلة الهوية، والتعبير عن طموحات الجيل الجديد في مراجعة التقاليد الجائرة.

وتناول الكاتب سعود السنعوسي في هذه الرواية القيمة قضية البدون، وهي تعتبر من القضايا الهامة في الكويت وفي دول الخليج العربي، كما هي من أكبر التحديات التي يواجهها المجتمع الكويتي على الصعد الاقتصادية والاجتماعية والأمنية. والبدون أي أشخاص بدون جنسية، هم فئة سكانية تعيش في الكويت ولا تستطيع أن تمتلك الجنسية. وبرزت هذه القضية كمشكلة منذ صدور قانون الجنسية في بداية الستينات في الكويت، وهي تنتقل من جيل إلى جيل لأن أبناء البدون تعتبرون من البدون أيضا، ولذا لا يقيمون الكويتيون الأصليون علاقات المصاهرة مع البدون، وعددهم لا يتجاوز من 90 ألف تقريبا، وهم يشكلون حوالي 3٪ من إجمالي غير الكويتيين، يخدمون في سلكي الجيش والشرطة، هكذا يقدمون خدمات جليلة، ويساهمون مساهمة فعالة في بناء الوطن وصونه من الأعداء.

وقد قرأنا في هذه الرواية أن غسان، وهو صديق راشد، هو ينتمي إلى فئة البدون في الكويت، ويمثل معاناة البدون في الرواية، لا يستطيع أن يتزوج مع الهند المواطنة الكويتية التي تنتمي إلى عائلة كبيرة، وعندما يسأله بطل الرواية عيسى عن ذالك فيقول ردا على سؤاله: "لا أريد أن أنجب أبناء يلعنونني بعد موتي يا عيسى..."[12].

فاتضح لنا مما مضى أن قضية البدون في الكويت هي قضية خطيرة وحاسمة، وقد تناول العديد من الروائيين هذه القضية في إنتاجاتهم الأدبية، ومن بينهم سعود السنعوسي في روايته "ساق البامبو" وإنه قدم في روايته صورة نمطية للبدون عبر شخصية ثانوية بصورة غسان، كما تناول معاناة البدون تناولا هامشيا، وركز أكثر على تصوير مشاكل العمالة الأجنبية.

أما لغة الرواية فهي تتمتع بالانسانية وسلاسة السرد، وابتعد الكاتب فيها عن التراكيب الغامضة والتعقيد اللغوي والاصطناع الروائي، والتحليل العميق، ولم يستخدم كلمات صعبة أو مزخرفة، وبصفته عربيا أصيلا، نهل من منهل العروبة الصافية، ونشأ نشأة عربية خالصة، لا يرى في أدبه الاصطناع و التكلف، وإنما روايته بلغة صافية، ولم يستخدم العامية فيها، وكتاباته تتسم بالعبارات الحسنة، والجمل الرصينة، والتراكيب المتينة، وأسلوبه فريد من نوعه، وقد ظهر في هذه الرواية جودة أسلوبه، وتمكنه من آليات الرواية العربية الحديثة من القص والحوار والسرد المتقن وما إلى ذالك بقوة ووضوح.

الخاتمة: فهذه الرواية كما وجدنا سابقا ركزت عنايتها كلها على موضوع قضية الهوية والعمالة الوافدة، وقد تم اختيارها لجائزة بوكر العربية بسبب تناولها هذا الموضوع الخطير الذي أغفله الكثير من الكتاب والروائيين تهاونا في أمرهم، قد نصت لجنة التحكيم عن هذه الرواية "أنها عمل جرئي يتناول على نحو موضوعي موضوع العمالة الأجنبية في الخليج العربي"[13].

فيتضح لنا مما سبق أن الرواية تناولت هذا الموضوع بغاية من الدقة والبراعة، وقد أوفى حقه من البحث والتفصيل، وأدى واجبه الإنساني ككاتب، فهنيئا للأديب البارع سعود السنعوسي، الذي شعر بمسؤليته تجاه العمالة الوافدة، لأن الدول الخليجية من أكثر الدول جذبا واستعانة بالقوى العاملة الوافدة الأجنبية، لأن كانت مشاكلها تزداد يوما فيوما. وهذه الرواية نالت قبولا ورواجا عاما في جميع الأوساط.

فهذه الرواية تتميز من الروايات العربية الأخرى، حيث أن طريقة تناولها تختلف عن الأخرى، فنقدت المجتمع نقدا لاذعا، تارة بصورة صريحة وتارة أخرى بتسخير الرمزية، وصور لنا الكاتب السنعوسي حياة العمال الأجانب في روايته، وبين مشاكلهم ومصائبهم، فقال سعود السنعوسي في مقابلة شخصية أجراها كاتب المجلة العربي، إبراهيم فرغلي: "الحقيقة أن الدافع لكتابة الرواية جاء من الألم، ومن الرغبة في انتقاد الذات، ودعوة أبناء الوطن لكي يتأملوا أنفسهم في المرايا، وصحيح أن هناك بعض الروايات التي تناولت الأوضاع الاجتماعية في الكويت، لكن ليس بالطريقة الموجعة التي كنت أرى أنها ضرورية، لأني أعتقد أن الإنسان لا يشعر بحاجته للعلاج إلا إذا شعر بالألم، وخصوصا أنني أيضا كنت واحدا من بين هؤلاء الذين ينتقدهم خوزية ميندوزا في الرواية، كنت أكتب النص قاصدا أن أسبب الوجع لمن يقرأ من أبناء وطني، محبة فيهم و في الوطن، و رغبة في إظهار و تجسيد الصورة التي يراها علينا الآخر. ومن هنا جاء الدافع للكتابة، وليس بحثا عن نص لم أجده، خصوصا وأنا أعرف أن لدينا في الكويت مساحة كبيرة من الحرية الذي يمكن أن نكتب بها في مجتمعنا. صحيح أنها ليست حرية مطلقة بطبيعة الحال، لكن هناك هامشا كبيرا"[14].

يغلب على روايات سعود السنعوسي طابع الحكمة والفكرة السليمة، فهي مليئة بالحكمة والموعظة الحسنة والنصائح الثمينة، والمقولات الفكرية والفلسفية، ويبدو لنا أن كاتبها رجل مسن، اجتاز مراحل العمر المختلفة، فيدري جميع خفاياة الحياة

وتقلباتها، وليست من مؤلفات كاتب في عقده الرابع، وقدم الكاتب أيضا مقتبسات عديدة من كلام المفكرين المشهورين، منهم المناضل الفلبيني خوسية ريزال، والمفكر الهندي طاغور الحائز على جائزة نوبل، والآخرين.

أما رواية "ساق البامبو" من حيث اللغة والفن، فلا شك في أنها تتسم بجودة اللغة، وقد بلغت إلى درجة الكمال فنيا، فاكتسبت صيتا وسمعة طيبة لا في العالم العربي فحسب بل في سائر العالم، حتى ترجمت ولا تزال في العديد من اللغات العالمية.

الهوامش

[1] عبدالله، عمر. **ساق البامبو للكويتي السنعوسي تفوز بالبوكر العربية**. موقع عشرينات (https://20at.com) تاريخ النشر: 11 يناير 2022م، تاريخ الاطلاع: 5 يناير، 2024م.

[2] السنعوسي، سعود. **ساق البامبو، ط20**. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015م، ص:31.

[3] المرجع نفسه، ص:32.

[4] المرجع نفسه، ص:51.

[5] المرجع نفسه، ص:51.

[6] المرجع نفسه، ص:78.

[7] المرجع نفسه، ص:171.

[8] المرجع نفسه، ص:386.

[9] المرجع نفسه، ص:387.

[10] المرجع نفسه، ص:66.

[11] المرجع نفسه، ص:64.

[12] المرجع نفسه، ص:227.

[13] **جريدة الوطن اليومية**، نشرت 25 من شهر إبريل، 2013، تمت الزيارة 28 دسمبر، 2023م.

[14] **مجلة العربي الكويتية، ع 656**، الصادرة في يوليو 2013م، ص:26.

المصادر والمراجع

- السنعوسي، سعود. **ساق البامبو، ط20**. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2015م
- السنعوسي، سعود. **سجين المرايا، ط1**. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2010م
- عبد الله، عمر. **ساق البامبو للكويتي السنعوسي تفوز بالبوكر العربية**. موقع عشرينات (https://20at.com) تاريخ النشر: 11 يناير 2022م، تاريخ الاطلاع: 5 يناير، 2024

- **جريدة الوطن اليومية**. نشرت 25 من شهر إبريل، 2013م
- **مجلة العربي، ع 656**. الصادرة في يوليو2013 م، الكويت: وزارة الإعلام
- **مدونة الكاتب سعود السنعوسي**. وفيها مقالات عديدة، والتفصيل في هذا الرابط (http: / /rofouf.blogspot.in)
- **موقع الجائزة العالمية للرواية العربية** (arabicfiction.org)

المرأة والنضال الوطني الفلسطيني في ضوء الروايات النسائية والنسوية الفلسطينية

د. مخلص الرحمن*
mukhles1@gmail.com

ملخص البحث: *يعرف كل من له إلمام بالقضية الفلسطينية والصراع الفلسطيني الإسرائيلي أن الشعب الفلسطيني يعيش تحت الاحتلال الإسرائيلي في معاناة سياسية واقتصادية مستمرة منذ أن قامت دولة إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني، ولكن الفلسطينين لم يخضعوا للقوى الاستعمارية، بل لا يزالون يناضلون من أجل الحرية والحصول على الحقوق الإنسانية والسياسية والاقتصادية على الرغم من مرور أكثر من سبعة عقود على النكبة. وكافة فئات وشرائح المجتمع الفلسطيني أسهمت وتسهم في هذا النضال. فلا شك في أن المرأة بصفتها نصف المجتمع، شريكة أساسية في هذا النضال الوطني الفلسطيني بكل صمود وثبات منذ البداية بأدوار مختلفة. فهذه الورقة البحثية محاولة لتسليط الضوء على دور المرأة في النضال الوطني الفلسطيني المستمر منذ عقود في ضوء روايات نسائية ونسوية فلسطينية، ومصطلح "روايات نسائية" يعني الروايات التي كتبتها المرأة كما يعني مصطلح "روايات نسوية" الروايات التي موضوعها المرأة. من ثَمَّ تتركز ورقتي هذه على الروايات التي كتبتها روائيات فلسطينيات، وانتخبت لذلك ثلاث روائيات فلسطينيات يمثلن الساحة الروائية الفلسطينية، وهن سحر خليفة وليانة بدر وليلى الأطرش. أولا يتحدث الباحث عن النضال الفلسطيني ودور الطبقات الاجتماعية المختلفة فيه، ثم يفصل القول في دور المرأة في النضال الوطني الفلسطيني في ضوء روايات الروائيات الفلسطينيات الثلاث سحر خليفة وليانة بدر وليلى الأطرش. والبحث مسبوق بمقدمة ومتبوع بخاتمة.*

كلمات مفتاحية: *النضال الوطني، القضية الفلسطينية، النسائية، النسوية، سحر خليفة، ليلى الأطرش، ليانة بدر*

المقدمة: لا شك في أن المرأة الفلسطينية شاركت في الثورات والانتفاضات الوطنية قبل عام 1948م، إلا أن دورها كان مقتصرا على مساعدة المناضلين الوطنيين بتقديم

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية، كلية هيرالا باكات، نالهاتي، بنغال الغربية، الهند

حلاها وذهبها لشراء السلاح أو نقل المعلومات البسيطة أو إخفاء المناضلين في بيوتها وتوفيرهم بما يحتاجون وما إلى ذلك من الأدوار الثانوية. ولكن بعد النكبة عام 1948م أدت الظروف التي عاشتها المرأة إلى تطور دورها من ثانوي إلى رئيسي. وإن انطلاق حركة التحرير الوطني الفلسطيني عام 1965م فتح الأبواب أمام المرأة الفلسطينية لتنضم إلى صفوف الرجال وتمارس دورها النضالي في جميع المجالات العلمية والوطنية والسياسية، وأسهمت إسهاما بارزا في النضال الوطني، وأثبتت حضورها في الميادين المختلفة من العلم والثقافة والإعلام والصحة والسياسة. إن الباحث سيحاول في هذه الورقة البحثية إبراز دور المرأة في النضال الوطني الفلسطيني في ضوء روائيات فلسطينيات شهيرات عالميا، وبذلك يثبت أن المرأة الفلسطينية أثبتت كفاءتها في الساحة الأدبية العالمية أيضا اللواتي استخدمن أقلامهن في الدفاع عن الوطن الفلسطيني من جانب، وإبراز دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني الفلسطيني من جانب آخر. وجد الباحث في الروايات النسائية الفلسطينية تصويرا لنوعين من المرأة فيما يخص النضال الوطني. النوع الأول ينتمي إلى الطبقة البرجوازية أو الإقطاعية. وهذه الطبقة لا تهتم إلا بالهم الخاص الشخصي، والنوع الثاني ينتمي إلى الطبقة الكادحة المسحوقة التي تهتم بالهم العام الوطني.

- **النضال الوطني الفلسطيني والطبقات الاجتماعية المختلفة:** يرى الباحث أن الانتماء إلى الطبقة الاجتماعية المختلفة أثّر على دور المرأة الفلسطينية في النضال الوطني الفلسطيني. فالسطور التالية تتركز على إبراز الدور المتفاوت الذي لعبته المرأة الفلسطينية المنتمية إلى الطبقتية المختلفتين، وهما الطبقة البرجوازية أو الإقطاعية، والطبقة الكادحة المسحوقة.
- **النضال الوطني الفلسطيني في الطبقة البرجوازية:** إن دراسة الروايات النسائية والنسوية الفلسطينية تشير إلى أن المرأة التي تنتمي إلى الطبقة البرجوازية معزولة في عالمها الخيالي الضيق، ومهتمة بمصالحها الشخصية، ولا ترى الأحداث والاضطرابات التي تحدث داخل الأرض المحتلة إلا من باب القدر، كما نجد شخصية أم أسامة في رواية "الصبار" وهي شقيقة الإقطاعي الوجيه، تقول: "البلد بخير، وبكره يحلّها الحلال، ويمكن الصحفيين الأجانب الذين يزورون خالك يؤثّرون على أمريكا، وأمريكا تقول لإسرائيل انسحبي فتنسحب، أرأيت كيف أن

الأمور ليست صعبة كما تتصور؟ ألم أقل لك بكره يحلها الحلال؟"[1]، فهي لا تهتم بالهم الوطني بل تهتم بالهم الشخصي وتلح على ابنها أسامة الذي رجع إلى الأرض المحتلة بعد غياب خمس سنوات أن لا يقلق على البلد وتقول لها: "لا تكفر يا أسامة! -الله يرضى عليك-ألا تؤمن بقدر الله جل وعلا؟"[2]. وتقترح عليه أن يعمل في مزرعة خاله مع ابن خاله ويتزوج ابنة خاله "عرضت عليه فكرة غير متوقعة، فلماذا لا يعمل في مزرعة خاله؟ المزرعة خالية، وعادل مثل أخيه، والعمل في الزراعة ليس صعبا، كان والدك مزارعا طيلة عمره.. وقد جعل من الأرض الصخرية جنة. نقب الحجارة وفتت الصخور ونخل التربة. ستتعب في البداية لكنك ستعتاد ذلك، ولن تكون مرؤوسا من قبل أحد. فعادل مثل أخيك. وبعد عمر طويل سترث نوار حصتها. وتصبح شريكا في المزرعة"[3].

وكذلك نقع في رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" على شخصية "عفاف" سليلة الطبقة البرجوازية، وهي تستسلم كليا لهمومها الشخصية، ولا تهتم بكل ما يجري في الوطن الفلسطيني، وتعيش معزولة في عالمها الخيالي الضيق كما لو انقلبت دودة كما تقول هي نفسها: "وأنا في الداخل دودة قز في شرنقة. ومع الوقت انقلبت دودة. دودة حقيقية. دودة لا تقوى على شيء إلا ممارسة الزحف. وكنت أسمع أخبار البلد بالصدفة لأهز كتفي وأقول: يكفيني همي"[4]. فهي لا تهتم بما يجري في الأرض المحتلة من المشاكل والتحديات ومعاناة أهلها بسبب الاحتلال والحواجز الخارجية.

- **النضال الوطني الفلسطيني في الطبقة الكادحة:** وجد الباحث أن نساء الطبقة الكادحة والمسحوقة يشاركن الرجال في الدفاع عن الوطن الفلسطيني في جميع المستويات الوطنية والإعلامية والثقافية، ويواجهن جميع صنوف القهر والاضطهاد لتحرير الأرض المحتلة من براثن المحتلين الصهاينة، ولا يهتممن بالهم الشخصي أو الفردي. فقد قدمت الروائيات الفلسطينيات صورا متعددة لنساء الطبقة الكادحة ودورهن في العمل النضالي بأشكال مختلفة، على سبيل المثال؛ قدمت الرواية "عباد الشمس" صوراً متعددة للفتيات التي ينتمين إلى الطبقة الكادحة ولكنهن يمتلكن حماسة بالغة، ويقاومن قوات الاحتلال على طريقتهن بكل ما يمتلكن كاستعمال الحجارة والسباب والشتائم والمشاركة في المسيرات

والمظاهرات مع أولادهم والاصطدام مع قوات الاحتلال والاشتباك معهم بالأيدي، وبالتضامن والتوحد في وجه المحن، كما تقدم رواية "عباد الشمس" "وجهاً من أوجه تضامن النساء الفلسطينيات والشعب الفلسطيني، وذلك أثناء عرضها لردات فعل الفلاحين، إثر مصادرة قوات الاحتلال لأراضيهم واستيلائهم عليها، بعد إبادة المحاصيل، وقطع المياه، وتهجير الأهل إذ يأمر الحاكم العسكري كل ذكر من سن الثالثة عشرة، ومافوق بأن يذهب إلى ساحة المدرسة في القرية. وهناك تكوّم الرجال صفوفاً مرصوفة على الأرض، والجنود يعملون فيهم ضرباً وتنكيلاً. يستفزون هذا ويصفعون ذاك. وتظهر "سعدية" التي صودرت أرضها، أيضًا، وهي تبحث بعيون أرهقتها الدموع، وأضناها السهر، عن ابنها رشاد بين الجموع، فإذا بها ترى في كل الوجوه وجه رشاد. فهناك يتوحد الشعب الفلسطيني، فيغدو لمئات الفتيان أماً واحدة، بعد أن انصهروا جميعاً في بوتقة النضال والصمود وبعد أن أعلنوا حالة العصيان، بوجوه غاضبة تتحدى الأوامر"[5]، "همس الصوت بإصرار: واحد... اثنين... ثلاثة... وهبّ الرجال في وقفة واحدة، وصاح صوت قوي "عصيان" واشتبكت الأصوات بالهتافات البعيدة... "صاحت سعدية: ابني.. واندفعت تركض... لحقت بها النسوة، كل واحدة تصرخ ابني..."[6]، "في مثل تلك الأوقات العصيبة، واللحظات الحاسمة، والمواقف الجريئة، تتلاشى الخلافات الصغيرة بين أبناء الجرح الواحد - كما هو الحال بين سعدية وجاراتها- وتتطهر القلوب، وتخلع النفوس ما علق بها من غبار البغضاء والكراهية، لترتّل نشيد التضامن والتعاون والألفة."[7]، فهناك أمثلة كثيرة لنضال نساء الطبقة الكادحة والمسحوقة في الدفاع عن الوطن الفلسطيني التي سيأتي ذكرها بمزيد من التفصيل في السطور القادمة.

دور المرأة في النضال الوطني الفلسطيني في ضوء كتابات الروائيات الفلسطينيات:

- **في روايات سحر خليفة:** قدمت الروائية سحر خليفة نماذج عديدة لنضال المرأة الفلسطينية في رواياتها المختلفة. فمن الدور الذي لعبت المرأة الفلسطينية في النضال الوطني أنها تقاوم الجنود والقوات بجرأة وبسالة بكل سلاح تمتلكه. فمن الأسلحة الأولية التي تمتلكها المرأة هي السباب والشتائم، كما نجد في رواية

الصبار لسحر خليفة أن أم أسامة شتمت أحد الجنود عندما اقتحموا بيتها بحثا عن ولدها أسامة وسأل أحدهم: "أين ابنك؟... وماذا تريدون من ابني؟ لا شئ سنأخذه دقائق معدودات ونعيده إليك بالسلامة. لا سلم الله فيك موخز إبرة يا ابن الحرام، تضحك على شيبتي يا لعين الوالدين! سافر ابني – الله يرضى عليه – إلى عمان قبل ثلاثة أيام ولم يعد"[8].

هذا مثال للمقاومة العفوية والصدام المباشر مع قوات الاحتلام، "ولكن هناك نوعا آخر أكثر تقدماً وفاعلية وتطوراً، يدخل في إطار العمل السياسي السري المنظم، من مثل ماعرف بالخلايا الفدائية، التي سجّلت نشاطًا له تأثير كبير في الأرض المحتلة، ولا سيما في منتصف الستينات، وما بعد. وكان للمرأة الفلسطينية دورها المميز والفعال في هذا الميدان، إذ أسهمت نظريًا وعملياً في العملية النضالية. وقدمت الرواية الفلسطينية صوراً متعددة لتلك المهمات الجليلة والنشاطات السرية، التي قامت بها المرأة. فصورتها وقد انخرطت في صفوف الثورة، فدائية، منظمة للخلايا، مناضلة سياسية وقيادية بارعة، فأثبتت جدارتها وكفاءتها العالية في تحمل مسؤولية الكفاح المقدس"[9].

وتقدم رواية "الصبار" صورة "لينا" المثقفة، وهي أخت المناضل "صالح" كفتاة مناضلة تتصف بالجدية والصلابة، وتنتمي إلى إحدى الخلايا الفدائية كما يتحدث عنها أسامة في أحد المواضع في الرواية "حاذر يا باسل، المسألة جدية. أنت تعرف العاقبة. لن أذكرك بما أوصيتك به سابقا. نصيحة نهائية. لا تقطع بأي موضوع دون استشارة لينا، فتاة صلبة، لديها خبرة"[10].

وعندما عثر اليهود على أن "لينا" تنتمي إلى خلية فدائية طوّقوا الشارع الذي تسكن فيه، واعتقلوها سحبا من فراشها في منتصف الليل، فيخاف باسل الذي ينتمي إلى نفس التنظيم عقب اعتقال لينا، ويفكر أن الاعتقال يجرّ من نتائج ويتسأل: "ماذا لو حضر اليهود؟ ماذا لو حصلوا من لينا على اعتراف كامل؟!. التعذيب... أسامة... القبو... الصناديق.. المناشير.... ما العمل؟! لينا إنسانة صلبة؟ هكذا قيل له، وقد تحتمل التعذيب، ولكن هل يحتمله هو؟"[11]. فهذه الفقرة تدل على أن الرواية الفلسطينية غلّبت إمكانية عدم انهيار السجينة الفلسطينية أمام جلادها المجرد من

الرحم والإنسانية وعدم اعترافها بالرغم من أنواع شتى من التعذيب والتنكيل. وتشير إلى أن المرأة مستعدة لتحمل جميع صنوف المصائب والآلام في سبيل تحرير الوطن بكل صمود وصلابة. ففي روية "الصبار" يلفت أسامة أنظارنا إلى فتاة ضُبطت في نقطة التفتيش لتهريبها شيفرة تحت الباروكة، وهي تتعرض للضربات والتعذيب الجسدي على أيدي الجنود الصهاينة "وفجأة ارتفع صياح فتاة ما... وسمع دوي صفعات متلاحقة، وقف الشعر في رأسه..... وارتفع صوت الصراخ ثانية، وبدأت الفتاة تشهق، والجندية الإسرائيلية تصيح: افتخ رجليك، افتخ رجليك، لازم أشوف جوه.... وتلاحقت الفرقعات، ياكلاب، ياكلاب، ياكلاب.....آ.....آ.....آ..."[12].

فالسطور المذكورة تصور معاناة المرأة الفلسطينية المناضلة وتعرضها للاعتقال والتعذيب الجسدي والنفسي وثباتها وصلابتها أمام جميع أنواع التعذيب، كما تشير السطور إلى همجية قوات الاحتلال التي تمارس جميع أنواع التعذيب تجاه المرأة الفلسطينية دون مراعاة القوانين الإنسانية الدولية.

كذلك تشير رواية "باب الساحة" لسحر خليفة إلى صلابة المرأة وصمودها ودورها المهم في الانتفاضة والمقاومة في الأرض المحتلة، بل حاولت الرواية أن تثبت أن المرأة هي الدعامة الحقيقية في المواجهة والنضال لأنها تبقى ثابتة وصامدة في جميع الظروف ولا تلجأ إلى الهروب والاختفاء بينما يلجأ الرجل إليهما[13].

- **في روايات ليانة بدر**: تتعدد أشكال النضال الوطني لدى شخصيات ليانة بدر النسائية في روايتها "بوصلة من أجل عباد الشمس ."فها هي جنان تحاول أن تنكر جسدها الأنثوي، لما يمثله من ضعف، فترتدي اللباس العسكري في معظم أوقاتها، وتمارس نشاطها الوطني عبر المعسكرات الطلابية التي يتم فيها تدريب الفتيات على حمل السلاح، واستعماله ساعة الحاجة، كذلك تشارك في جمع التبرعات وشرح المواد التحريضية، وتوزع المنشورات السياسية. ولم يقتصر دور "جنان" على هذه المهمات الثانوية، بل تعداه إلى المشاركة الفعلية في العمل التمريضي، ولا سيما أثناء أحداث أيلول. ويعلق صديقها عامر أثناء مروره بمركز الإسعاف: وأصبحت ممرضة أيضاً؟ لا شك أن سليمة الحاجّة سوف تخيط لك ثوباً أبيض بعد انتهاء الحرب، وتدعوك بالطبيبة الجليلة[14].

كذلك قد أبرزت رواية "بوصلة من أجل عباد الشمس" دور المرأة الفلسطينية المثقفة في النضال الوطني الفلسطيني من خلال تقديم شخصيات نسائية عديدة، منها شخصية "شهد الصمدي" التي كانت صديقة حميمة لجنان منذ طفولتها، وشريكتها في النضال السياسي الفلسطيني. وكانت شهد طالبة فائقة متركزة على التحصيل العلمي، مهتمة بقرأة الكتب الفلسفية الثورية. فكانت تشارك في النشاطات السياسية منذ أن كانت طالبة صغيرة، مثلا توزيع المنشورات السياسية التحريضية والمشاركة في التظاهرات ضد المحتلين. لذلك كانت اعتقلت من قبل السلطات الأردنية وهي لم تعد طالبة صغيرة[15].

في الواقع، حاولت الروائية ليانة بدر في هذه الرواية أن تجسد شخصية "شهد الصمدي" نموذجا ثوريا مثاليا تحطم بذلك المفهوم التقليدي لدور المرأة في الساحة السياسية والنضالية، فتعزو إليها أدوارا كبيرة حسب وعيها الثقافي ومؤهلاتها العلمية وأفقها الفكري ما يجعلها تتجاوز دورها كأنثى حسب الأعراف والتقاليد الاجتماعية. فهي تقوم بجميع النشاطات والأعمال التي لا تقوم بها إلا الرجال في المجتمع الذكوري، تتجاوز شهد كل العقبات التقليدية وتؤدي دورها الريادي في جميع المجالات، فهي تجمع التبرعات للنشاطات النضالية وتقوم بأعمال الإسعاف والتوجيه في الساحة القتالية وتوزع المنشورات السياسية لتحريض الشباب ضد الاحتلال، وفوق كل ذلك هي تحمل السلاح وتشارك مع أصدقائها الرجال في أحداث سبتمبر 1970م وتقاتل بكل جرأة وبسالة في مهامها القتالية حيث استشهد حبيبها "محمد فلاحة" أمام عينيها، ولكنها لا تفقد وعيها بل تتغلب على كل محنة وبلية بفضل وعيها الكامل وإرادتها القوية وإيمانها الراسخ بأن النضال في سبيل الوطن الفلسطيني تتطلب كل هذه التضحيات، وهي تقول بعد استشهاد حبيبها المناضل "محمد فلاحة": بأن "*العالم لا ينتهي عند إنسان واحد، وهو واسع فسيح، يسمح على نحو ما باحتضان أمنياتنا، والعمل من أجل تحقيقها*"[16].

لا تتوقف الكاتبة هنا بل تمضي في إثبات أن شخصية شهد لا تنهار ولا تخضع لما يأتي في طريقها من المصائب والآلام، ولا تذرف الدموع، بل تدفن كل الأحزان وتبدأ حياتها من جديد، وتستمر في الأعمال النضالية والثورية بطرق جديدة باستخدام وسائلها

المتواجدة لديها. فعندما تتخرج من المعهد وتلتحق بمدرسة كمعلمة للغة الإنجليزية تستغل الفرصة الذهبية لنشر الوعي الوطني السياسي بين طلابها في المدرسة، ولكن عندما ينكشف الأمر عند السلطات الحكومية يتم فصلها عن العمل في المدرسة، وتكرر فصلها عن العمل من مدارس عديدة بإيعاز من السلطات الحكومية. هكذا انغلقت أبواب عملها في المؤسسات والدوائر الحكومية، وفي النهاية اضطرت إلى أن تعمل في شركة خاصة في عمان. ويضاف إلى ذلك تعرضها للملاحقة والتفتيش من قبل أجهزة الاستخبارات بعد أحداث أيلول عام 1970م. ولكن هذه الضغوط من قبل السلطات لم تستطع دفعها إلى الانهيار والخضوع أو الاعتراف بما لديها من معلومات بشأن المناضلين والثوريين الوطنيين أو علاقتها بهم أو بهن، بل بقيت ثابتة صامدة أمام كل التحديات، ولا تقنط من رَوح الله تعالى كما تقول: "*يريدون تدمير عالمي بالفصل المستمر من جميع الأمكنة. حسنًا، ليفعلوا إن استطاعوا. لو تفتت العالم فسوف أعيد تجميع أركانه، ولربما خلقته من جديد كي أغيظهم*"[17].

عندما قدمت الكاتبة ليانة بدر شخصية "شهد الصمدي" لتمثيل المرأة الفلسطينية المثقفة الثورية وإبراز دورها في النضال الوطني الفلسطيني، فإنها لم تهمل الجانب العاطفي للشخصية لأنها إنسان، والإنسان لا يخلو من العواطف والمشاعر، فنرى الكاتبة تهتم بالجانب العاطفي لـ"شهد الصمدي" وتذكر حبها للحديقة والأزهار الزرقاء، كما نجد أن سمتها صديقتها جنان بـ"شهد المطر والسوسن البري" إذ وجدتها محبة لهما وشغوفة بهما. كانت شهد تزور الحديقة في أيام المطر وتقطف الأزهار وتزين بها الغرف والرفوف والسرائر[18].

ورواية "عين المرآة" لليانة بدر تلقي الضوء على معاناة المرأة وصمودها في المنفى من خلال نماذج عديدة. ومنها البطلة الرئيسية عائشة التي عاشت في مخيم "تل الزعتر" منذ أن كانت طفلة في مدرسة الراهبات إلى أن أصبحت أنثى مكتملة النضوج ثم متزوجة. والمخيم حيث أصبح "الناس تموت ليل نهار، الحياة هي الإستثناء والموت هو القاعدة"، وهي النتيجة التي يلاحظها من عاش في الواقع أو في الرواية مأساة مخيم (تل الزعتر) عام 1976م، ذلك المخيم/ البؤرة الفلسطينية القابعة – دون سلام – في وسط بيروت الشرقية، حيث الأغلبية المسيحية، والتي أصبحت بعد الفرز الطائفي

الذي أعقب اندلاع الحرب الأهلية عام 1974م، مركزاً للأحزاب والتجمعات اليمينية الساعية إلى اقتلاع الوجود الفلسطيني كاملاً من الأراضي اللبنانية، وسوء حظ (تل الزعتر) إنه كان (التجربة) الميدانية الأولى في هذا المخطط، لذلك ذاق أهله من المرارات ما لا يمكن وصفه ومعايشته إلا كما وصفته ليانة بدر في روايتها "عين المرآة" وصفا تاما صريحا. استطاعت ليانة بدر من خلالها الإطلال على جزئيات وبواطن النفس البشرية لشخصية عائشة لتعطينا شخصية ستظل مميزة ومتفردة[19]، التي يؤرقها أمر وحيد هو أن تفهم لم حدث كل هذا؟ لم الحرب؟ لم نحن هنا؟ لم الموت؟ ولم لا نعيش مثلنا حياة طبيعية مثل غيرنا؟ لم لا يقبلون أن يتركونا في حال سبيلنا؟ لم يخرجوننا من بلادنا ويغضبون حين نعمل على الرجوع إليها، ثم لا يقبلوننا حيث نحن! أين نذهب إذا؟..... سحبت عائشة أنفاسها الثقيلة من قعر صدرها رغما عنها. الحر ! ورائحة الجثث والدماء الفاطسة. لا يمكن أن يتحول البشر الأحياء إلى رائحة مرة وقاتلة كهذه. لا يمكن أهذا معقول!. أهذا معقول على رأي أم حسن التي سبقتها إلى الجانب الآخر من المدينة. واستجمعت في فكرها ما كانت تقوله العجوز لها: يا خالتي سنصير كلنا نساء قبضايات. هل خلوا لنا شيئا آخر كي نكونه؟ كل شيء يأخذونه منا، الزوج والأولاد والبيوت والحواديت والعواجيز.. كل شيء. لهذا نظل ندافع طيلة الوقت كأننا لسنا نساء بل واقفات وراء متراس[20]. وكذلك كانت أم حسين وأم جلال من النماذج الحية للمرأة الفلسطينية التقليدية التي كبرت مع الذل والشقاء، ورغم ذلك يفعلان أكثر مما يستطيعان، لمساعدة المقاتلين المدافعين عن المخيم.. وفي هذا السياق، من المهم ملاحظة أن "عين المرآة" من الروايات القليلة جداً في ميدان الرواية الفلسطينية، التي ركزت وبشكل فني على بطولة (الأنثى) ودورها في صمود مخيم (تل الزعتر)، وهي بطولة ليست مختلفة فنياً، لكنها التعبير الفني عن بطولة حقيقية صنعتها (المرآة) – شابة ومتقدمة في العمر وطفلة – وبدونها لما توفر لمخيم تل الزعتر ومقاتليه الصمود كل ذلك الوقت... أم حسين، أم جلال، الممرضة خزنة، عاملة الإشارة هناء، حتى الطفلة ابتسام، هنّ اللواتي صنعن بطولة "تل الزعتر" وأسطورته. وقد التقطت ليانة بدر تلك النقطة بحسها الأنثوي، وما كان غيرها من الكتاب (الرجال) في مجتمع (رجولي) التفكير والسيادة، أن يدرك الدور الأنثوي في أسطورة "تل الزعتر"[21].

- **في روايات ليلى الأطرش**: حاولت الروائية ليلى الأطرش أيضا في روايتها "وتشرق غربا" أن تثبت بأن النساء مساويات للرجال في الأزمة الوطنية حيث تختفي الفوارق الاجتماعية بين الرجال والنساء لأن التركيز يتحول من الحقوق إلى الواجبات. أعني عندما تكون الواجبات في المقدمة تعتبر النساء دائما مساويات للرجال على الأقل، إن لم يكنّ أفضل، لأنهن يتحملن الأعباء نفسها إن لم يتحملن أكثر. "فعندما تقع البلاد في أزمة، تكون النساء أول من يهب للدفاع عنها من خلال طرق ووسائل مختلفة. حسنة، الشخصية التي يشفقون عليها كثيرا في القرية، قد دفعت بأبنائها الخمسة من أجل فلسطين وعاشت بقية حياتها في حالة جنون. وهي تحمل معها دائما مفتاح بيتهم في القدس الشرقية حتى وهي نائمة."[22] وقد ذكرت الكاتبة ليلى الأطرش أن البطلة هند النجار عندما كانت في السنة الأخيرة من دراستها حدثت النكسة، فهي تمردت على واقع الاحتلال وانضمت إلى صفوف المقاومة المسلحة والنضال الثوري، فهي "لا تريد أن تقف كالآخرين مكتوفة الأيدي والممارسات من حولها تطال الأهل والناس والأرض، وأن تستسلم لليأس وتقاوم"[23]. وهي قامت بتنفيذ عملية تفجير لأحد فنادق القدس، فاعتقلت وأصبحت أسيرة في أيدي الاحتلال الصهيوني وعانت في سجونهم تعذيبا جسديًا ونفسياً شديدًا وتهديدًا لعذريتها، "ضربوا رأسها بالحائط ظلت تصر على روايتها،"[24]، "لكنها ترفض الاعتراف على رفاقها في صفوف المقاومة المسلحة، ويحكم عليها بعشرين عاما، وتدخل السجن لتبدأ شكلاً جديدًا من أشكال المعاناة التي تضطهد إنسانيتها مع مجموع المعتقلات الفلسطينيات في سجون الاحتلال، كذلك تطيل الرواية استعراضها لنماذج نسائية في المعتقل تعبر من خلالها عن تضحيات المرأة والفلسطينية خاصة، ودورها الكبير في مقاومة الاحتلال الصهيوني، الذي لا يعترف بإنسانيتها ولا حتى إنسانية شعبها. بعد فترة من المعاناة يتم الإفراج عنها في عملية تبادل الأسرى شرط إبعادها خارج الوطن"[25]. إن الروائية ليلى الأطرش قد عايشت أحداث النكبة والنكسة وعايشت الواقع الفلسطيني الناتج عن تلك الأحداث. فقد أثر كل ذلك في كتاباتها

الإبداعية، فاستخدمت مثل هذه النماذج لإبراز دور المرأة في النضال الوطني بجانب الرجال النضاليين.

الخاتمة: في الختام توصل الباحث في ضوء روايات الروائيات الفلسطينيات الثلاث – سحر خليفة، وليانة بدر وليلى الأطرش – إلى أن دور المرأة الفلسطينية في المقاومة الوطنية الفلسطينية بارز، التي ضحت بحياتها وهمها الشخصي من أجل الهم الوطني، وشاركت في النضال الوطني بكل ما تمتلك من الوسائل والأدوات، بدءا من مساعدة المناضلين في أصعدة مختلفة ووصولا إلى مواجهة جنود الاحتلال بشكل مباشر، وظلت قوة فاعلة في حركات بناء الوطن الفلسطيني وكائنا مؤثرا في سبيل تحرير الأرض المحتلة واقفة إلى جنب الرجل تشاركه في سفر الكفاح والنضال وتؤازره في معركة الصمود بكل جدية وصلابة. فنجحت الروائيات الفلسطينيات الثلاث في إبراز دور المرأة في النضال الوطني الفلسطيني في أعمالهن الإبداعية بدقة ووضوح. وكذلك نجحن في رصد التطور الذي طرأ على شخصية المرأة من حيث الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي جراء إحراز التقدم الملموس في مجال التعليم. فبعد أن لعبت المرأة دورا ثانويا في بداية النضال الوطني تطورت إلى أن لعبت دورا رئيسيا فيه بالانخراط في جميع أنواع المقاومة والنضال في الأرض المحتلة. فهذه الإبداعات الأدبية تستحق أن تتسم بكونها أدبا ملتزما بالدرجة الأولى لأن هؤلاء الروائيات التزمن بأعمالهن الروائية لأن يشاركن الشعب الفلسطيني في همومه الاجتماعية والسياسية والوطنية بشكل عام، وهموم وآلام المرأة الفلسطينية بشكل خاص.

الهوامش

[1] سحر خليفة. **الصبار**. ص: 30.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه، ص: 36.

[4] سحر خليفة. **مذكرات امرأة غير واقعية**. ص: 44.

[5] حسّان رشاد. **المرأة في الرواية الفلسطينية**. ص: 105–106.

[6] **عبّاد الشمس**. ص: 275– 276.

[7] حسّان رشاد. **المرأة في الرواية الفلسطينية**. ص: 105–106

[8] سحر خليفة. **الصبار**. ص: 142.

[9] حسّان رشاد. **المرأة في الرواية الفلسطينية.** ص: 107-108.

[10] سحر خليفة. **الصبار.** ص: 135-136.

[11] **المرجع نفسه**، ص: 159.

[12] **المرجع نفسه**، ص: 21 و14.

[13] بثينة شعبان. **مئة عام من الرواية النسائية العربية.** ص: 221.

[14] ليانة بدر. **بوصلة من أجل عباد الشمس.** ص: 21 و 62.

[15] **المرجع نفسه**، ص: 53.

[16] ليانة بدر. **بوصلة من أجل عباد الشمس.** ص: 69.

[17] ليانة بدر. **بوصلة من أجل عباد الشمس.** ص: 86.

[18] حسّان رشاد. **المرأة في الرواية الفلسطينية.** ص: 198.

[19] د. أحمد أبو مطر. **حول رواية "عين المرآة" لليانة بدر شخصيات حالمة وسط مأساة دامية".** الموقع الشخصي للكاتب.

[20] ليانة بدر. **عين المرآة.** ص: 174.

[21] د. أحمد أبو مطر. **حول رواية "عين المرآة" لليانة بدر شخصيات حالمة وسط مأساة دامية".** الموقع الشخصي للكاتب.

[22] بثينة شعبان. **مئة عام من الرواية النسائية العربية.** ص: 221.

[23] ليلى الأطرش. **وتشرق غربا.** ص: 221-222.

[24] **المرجع نفسه**، ص: 238.

[25] غادة إسماعيل محمد تيم. **شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي.** ص: 108.

المصادر والمراجع

- تمام سلامة، عسكر الرشود. **البناء الفني في روايات ليلى الأطرش**، رسالة الماجستير المقدمة إلى قسم اللغة العربية في جامعة آل البيت، الأردن، 2009م.
- الشامي، حسان رشاد. **المرأة في الرواية الفلسطينية، ط1.** دمشق: اتحاد الكتاب العربية، 1998م.
- د. أحمد أبو مطر. **حول رواية "عين المرآة" لليانة بدر شخصيات حالمة وسط مأساة دامية".** الموقع الشخصي للكاتب.
- د. بثينة شعبان. **مئة عام من الرواية النسائية العربية، ط1.** بيروت: دارالآداب للنشر والتوزيع، 1999م.
- سحر خليفة. **الصبار، ط3.** بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2013م.

- سحر خليفة. **باب الساحة، ط2.** بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 1999م.
- سحر خليفة. **عباد الشمس، ط4.** بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2008م.
- سحر خليفة. **مذكرات امرأة غير واقعية، ط2.** بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 1992م.
- غادة، إسماعيل محمد تيم. **شخصية المرأة في أدب ليلى الأطرش الروائي: رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك،** 2009م .
- ليانة بدر. **بوصلة من أجل عباد الشمس وشرفة على الفاكهاني، طبعة خاصة.** القاهرة: دار الثقافة الجديدة، 1989م.
- ليانة بدر. **عين المرآة، ط1.** المغرب: دار توبقال، الدار البيضاء، 1991م.
- ليانة بدر. **نجوم أريحا، ط1.** بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، 2002م
- ليلى الأطرش. **ليلتان وظل امرأة، ط1.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998م.

تطور البيئة الأدبية في فلسطين خلال القرن العشرين

د. محمد سليم أختر*
Salimakhter241@gmail.com

ملخص البحث: *فلسطين دولة محتلة ظلت نقطة الصراع بين العرب وإسرائيل، ولا نكران في أن هذا الصراع الدائم لعب ويلعب دورا بارزا في نشأة البيئة الأدبية وتطورها في هذه الأرض المحتلة. ولا شك في أن هذه البيئة الأدبية مرت بمراحل مختلفة عبر العصور، وواجهت ألوانا من الجهل والتخلف والجمود الفكري والثقافي في أصنافها في أواخر القرن التاسع عشر تحت إشراف الأستاذ أبي السعود والشيخ يوسف النبهاني والشيخ سليم اليعقوبي وغيرهم، وتطورت الأكثر بكثير من الفترات السابقة شعرا ونثرا في العقد الثالث من القرن العشرين، وتخلصت من السجع والجناس والطباق والزخارف تحت قيادة إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وأبي سلمي عبد الكريم الكرمي وغيرهم، واهتمت بالشعر العربي بفنونه المختلفة من قصيدة ومسرحية وملحمة ومسرحية، وبالنثر العربي مع ألوانه من خطبة ومقالة وأقصوصة ومسرحية وغيرها بشكل أدب المأساة سنة 1948 – 1960م. وبعد النكسة 1967م ظهر شعر المقاومة وشعر الثورة، واتصل الشعراء الفلسطينيون بالاتجاهات والمذاهب الأدبية، واهتموا بالشعر العمودي ووحدة الوزن والقافية، وبشعر المناسبات الوطنية والسياسية والاحتفالات والمهرجانات، ولمع في هذه الفترة الأدبية الرائعة ثلاثة شعراء من الأرض المحتلة هم: محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد.*

كلمات مفتاحية: *أدب المأساة، أدب المقاومة، البيئة الأدبية، الشعر، النثر، فلسطين.*

نشأة الأدب العربي في الأرض المحتلة: قد شرفت فلسطين بقلب العالم العربي من حيث الموقع الجغرافي، وبالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، والرسل المبعوثين إلى الأمم، وظلت موضع اهتمام من كل عربي ومحب للعدل، حيث أنها نقطة الصراع بين العرب وإسرائيل، واحتلت مكانة عظيمة بين الدول العالمية الأخرى بما لديها من المصادر الاقتصادية والتجارية والدينية، وثلاثة بحيرات تاريخية، والآثار التاريخية. كما هي تعرضت ولم تزل تتعرض للتطورات والأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية

* رئيس قسم اللغة العربية وآدابها، كلية بتنة التابعة لجامعة بتنة- بتنة

والاقتصادية والثورات المتواصلة والحروب الدامية ضد الاحتلال الإسرائيلي والظلم الوحشي والانتداب الإنجليزي، وظلت تواجه تشريد الشعب الفلسطيني عن أرضه المقدسة ووطنه العزيز، وتعاني من المؤامرات والدسائس المشئومة ضدها وضد أهلها. ولا نكران في أن البيئة الأدبية لم تكن بمعزل عن تلك الظروف والأوضاع، بل كان لها دور فعال ومتواصل في رصد تلك الأحداث والكارثات والنكسات، والتفاعل معها، كما أن لتلك الظروف الشديدة والقضية المؤلمة دورا بارزا في تغيير مسار البيئة الأدبية وتطويرها وترويجها وتجديدها. فيكتب غسان كنفاني "إن الحرب النفسية والاقتصادية والسياسية التي تشنها السلطات الإسرائيلية على المثقف العربي، كان لها الأثر الأكبر في بلورة الانتاج الأدبي العربي في فلسطين المحتلة...!"[1]. وفي جملة أخرى أستطيع القول بمزيد من الاطمئنان، وآمنت به إيمانا، وسأبقى على إيماني الوطيد هذا إلى يوم القيامة إن الأدب نبض الأمة والمعبر عن وجدانها وضميرها وحبها وفرحها وحزنها، وحياته مرتبطة أشد الارتباط بحياة الأمة، ولذا نرى قد احتفى العرب والعجم منذ فجر تاريخهم بالكلمة شعرا ونثرا ونقدا وبلاغة.

وعلى الرغم من أهمية هذا الأدب وسمو قيمته الفنية في الأرض المحتلة، لم يهتم به اهتماما بالغا الدارسون والباحثون من مؤرخي الأدب ونقاده، والمتخصصون في الدراسات الأدبية في صفحات كتبهم المشرقة الرائعة كما كان حقه. لعل ذلك يرجع إلى ظروف فلسطين قبل الكارثة وبعد حدوثها حيث حالت تلك الأوضاع دون تسليط الأضواء الكاشفة على أدبها بفنونه المتعددة وألوانه المختلفة، ولعل يمكن ما قال الكاتب العربي أبو شاور رشاد محمود: " المبدعون الفلسطينيون مشتتون داخل فلسطين تحت الاحتلال، وفي المنافي القريبة والبعيدة، وكثيرون منهم لا يعرفون بعضهم، ولا يعرفهم القارئ العربي، لأن نتاجهم لا يصله، وهو بطبيعة الحال لا يصل إلى القارئ العربي الفلسطيني داخل فلسطين، أو في الشتات ..."[2].

وقطعت البيئة الأدبية في الأرض المحتلة أشواطا بعيدة في تطورها ومعاصرتها تساير التطور الذي قطعتها الأجواء الأدبية في مختلف أقطار الوطن العربي، وواجهت العوامل المتنوعة من الجهل والتخلف والجمود الفكري والثقافي والأدبي، والمفاجأة بالاحتلال البريطاني والكارثة والنكبة والنكسة وغيرها، وتمكنت أن تتغلب عليها تماما بمر

العصور والدهور، كما تمكنت من التغلب على الاضطراب السياسي والثقافي والعسكري الذي عايشته فلسطين.

ولا يستطيع قلمي السيال تحديد سنة بعينها لنشأة البيئة الأدبية في فلسطين، ولكن الدراسات الأدبية القاطعة تدل على أن النصف الأخير من القرن التاسع عشر لم يكن خاليا منها [3]، وكان الجهل والتخلف والجمود الفكري والثقافي قد ساد البيئة الفلسطينية، وعمتها المؤامرات العثمانية والدسائس الإسرائيلية لمنع الشباب العرب من زينة العلم والعرفان، فكان لا توجد فيها إلا مدارس ابتدائية وثانوية، ولذا نرى البيئة الأدبية لم تستطع أن تتطور كما كان حقها، وتمتنع أمواجها الشديدة أن تموج بفنونها المختلفة وعلومها المتنوعة في الأرض المحتلة بطونها وأرجائها، ولكن الرغم من ذلك بعض الشعوب الفلسطينية عكفوا على دراسة الشعر والنثر، وجالسوا مجالس الأدب والفن، وصاحبوا مصاحبة الكتاب البارزين والأدباء المتفوقين من الداخل والخارج آنذاك، وحاولوا محاولة جبارة، وبذلوا كل ما في وسعهم لنيل حظهم ونصيبهم من المهارة التامة والتفوق الكامل في الأدب العربي شعرا ونثرا، كما اهتموا بعلوم الدين الحنيف، وشرح الأحاديث النبوية والعقيدة الوسطية وتفسير الآيات الكريمة من كلام الله عز وجل، وتشبثوا الشعر بآلام الأمة المحمدية ومدح الرؤساء والحكام والخلفاء العثمانيين، وما نظموه من قصائد ومقطعات، إلا كان محاكاة وتقليدا لمن سبقهم من الشعراء في عصور الضعف والاضمحلال. فيصور الأديب الأريب الدكتور كامل السوافيري البيئة الأدبية في فلسطين آنذاك تصويرا جميلا صادقا بقلمه الفياض: " ومن بين هذه السحب المتكاثفة تألقت أضواء، ولمعت أسماء، وشق نفر من الشعراء طريقهم بكفاحهم الدامي، ونضالهم من أجل الاستضاءة بالعلم، واتجه نفر من أبناء فلسطين إلى الأزهر الشريف ينهلون منه العلم، ويتمتعون بالمعرفة، وقضوا في رحابه السنوات يرتشفون من رحيقه علوم الدين ... ومارس بعضهم تدريس العلوم الشرعية والعربية في المدارس، واستهواهم القريض، فنظموا العديد من القصائد في الموضوعات الدينية... وكانوا فقهاء وشعراء في وقت معا، وكان نظمهم متجها إلى الأغراض الدينية والمدائح النبوية...."[4]. وفي هذه الحقبة تلمع أسماء قيمة لمعا في الأفق الأدبي، نورت القلوب والنفوس بنور الدين الحنيف تنويرا، وركزت الأذهان على ما يحدث من قبل إسرائيل في فلسطين، وأشارت إلى ما سيجري في الأيام القادمة، ومن أهمهم

الأستاذ أبو السعود وعباس خماش والشيخ يوسف النبهاني الشيخ سعيد الكرمي والشيخ على الريماوي والشيخ سليم اليعقوبي وما إلى ذلك.

وعند ما صدر الدستور العثماني سنة 1908م، فأطلق الحريات، وخفف القيود، وأباح للعرب الفلسطينيين أن يفتحوا أبواب المدارس والمعاهد والكليات والجامعات، ويؤلفوا الكتب القيمة في مختلف العلوم العربية والفنون الأدبية، وينشئوا الصحف والمجلات للتعبير الجميل عما يجول في القلوب والنفوس من الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغير ذلك ... فانتهزت الشعوب الفلسطينية هذه الفرصة الثمينة انتهازا، وأصدر نفر من أبناء فلسطين بعض الصحف والجرائد والمجلات في الفترة التي بين 1908 و1914م [5]، وتسابق على صفحاتها المشرقة فرسان الأدب وبلابل الشعر وعصافير العلم والعرفان تسابقا عظيما لإيقاظ الشعوب الفلسطينية من نومها العميق وسباتها العظيم، وساهمت كواكب السياسة مساهمة كبيرة في أوراقها المتألقة لإثارة مشاعر الشبان العرب وعواطفهم ضد الاستبداد العثماني، وفي مقدمتهم خليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي وخليل بيدس وحنا العيسى وغيرهم، وظلت هذه الصحف والمجلات تؤدي رسالتها السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية، والأدباء يؤلفون الكتب الأدبية الخلابة ... حتى نشبت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، واحتلت بريطانيا فلسطين كدولة منتدبة، فتوقف النشاط الأدبي والفكري، وساد الجمود والتعطل في سماء الأدب. فيا مشئوم الحرب العالمية الأولى!، ويا أنيابها الشديدة!

وإن الثورات الوطنية في الربع الثاني من القرن العشرين من 1926م إلى 1948م، كانت مستمرة في أنحاء البلاد ضد الانتداب البريطاني والاحتلال الإسرائيلي، لا يخبو لها أوار، ووجه كفاح أبناء فلسطين الدائم وثوراتهم المستمرة توجيها كاملا الطاقات الفكرية والأدبية للجهاد المسلح باعتباره السبيل الوحيد للتحرر من الانتداب ومقاومة الصهيونية، والظفر بالحرية والاستقلال... فتروج الأدب شعرا ونثرا في فلسطين أكثر من الفترات السابقة، وانتقل إلى مرحلة جديدة من الرقي والازدهار، وتخلص من السجع الملتزم والجناس والطباق والتورية والزخارف، ومن التقليد الأعمى، وصدر الشعر عن عواطف الشعراء وصور خلجات قلوبهم وهمسات أرواحهم، وارتقى في مدارج الكمال والجودة في الأغراض والموضوعات والأفكار والأساليب، وكانت النصوص الأدبية متسمة برصانة الجمل وصفاء التعبير ووضوح الهدف والبعد عن الالتواء

والتعقيد والغموض. ويكتب غسان كنفاني عن البيئة الأدبية في فلسطين المحتلة آنذاك "إن الثورات المندلعة في فلسطين المحتلة كانت بمثابة يقظة وصحوة أدبية بدأت في الظهور على سطح الأرض منذ العقد الثالث من القرن العشرين"[6]. ويعبر غسان كنفاني في موضع آخر عن رأيه في ألفاظ أدبية جذابة "وحفل التاريخ الفلسطيني، منذ الثلاثينات على الأقل، بمظاهر المقاومة الثقافية والمسلحة على السواء، وإذا كانت الثورات المسلحة التي خاضها شعب فلسطين قد انتجت أسماء من طراز عز الدين القسام مثلا، فان أدب المقاومة قد أنتج، قبل ذلك ومعه وبعده، أسماء من الطراز نفسه، مازال المواطن العربي يذكرها بكثير من الاعتزاز، ومن أبرزها إبراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وأبو سلمى عبد الكريم الكرمي وغيرهم"[7].

وفي الفترة التاريخية من 1948م – 1960م، كان الأدب أدب المأساة أو النكبة أو الكارثة، وهذه هي الكارثة فجرت الشعر بفنونه المختلفة من قصيدة وملحمة ومسرحية في قلوب أبنائها، ولم تزل ولا تزال ينبوعا من ينابيع الأدب في العصر الحديث، مصدرا للوحي، نبعا للإلهام في الشعر المعاصر بأنواعه من الشعر الغنائي والقصص المسرحي، وفي النثر بألوانه من خطبة ومقالة، واقصوصة وقصة مسرحية وخاطرة ويومية.[8]فأستطيع القول بمزيد من الإيمان الوثيق إن الأدب العربي بفنونه المختلفة وأنواعه المتعددة، تروج إلى أفضل مما كان عليه في الحقبات السالفة، وازداد رقيا وازدهارا، وافتتن الشعراء والأدباء في تجويده وإبداعه، لأن الكارثة شردت العديد من شعراء فلسطين وأدبائها عن مدنهم وبلادهم، وعن مراتع صباهم ومهود طفولتهم بجانب تشريد مئات الألوف من أبنائها عن ديارهم، فثارت قريحتهم الشعرية، وعبرت عما حدثت في أرض فلسطين الشاسعة بأسلوب أدبي خلاب شعرا كان أو نثرا، فبذلك تطورت البيئة الأدبية في أسلوب حسن وطراز رائ أكثر بكثير من الأيام الماضية، ووصلت ذروة الكمال والنضج.

وإن هذه الفترة التاريخية فترة أدبية نشطت فيها الحركات الأدبية، وصبت في بحر الإبداع العربي، وأحاطت موجتها العنيفة بأرجاء البلاد، فبرز جيل كبير من شعراء الأرض المحتلة وكتابها وأدبائها، ولمعت نجوم الفنون الجميلة في سماء الأدب العربي، ونورت كواكب المسرحية والرواية سبيل أنهار الأدب بأنوارها المتألقة. فيقول شاعر المقاومة محمود درويش" في الخمسينات من القرن العشرين آمنا نحن العرب بإمكانية

أن يكون الشعر سلاحا، وأن على القصيدة أن تكون واضحة مباشرة، على الشعر الاهتمام بالاجتماعي، ولكن عليه الاعتناء بنفسه أيضا، بالجماليات...آمنت أن أفضل شيء في الحياة أن أكون شاعرا، الآن أعرف عذابه، في كل مرة أنهي فيها ديوانا، أشعر أنه الأول والأخير"[9]. ويقول الدكتور شوقي ضيف: " أخذ الباحثون في الأعوام الأخيرة– بعد تسعة أعوام من الكارثة – يعنون عناية واسعة بدراسة أدبنا الحديث، فقلما يمضي عام دون أن تنشر أبحاث جديدة تترجم لشاعر معروف، أو كاتب مشهور، أو لجيل أجمع من الشعراء والكتاب، أو تصور نزعة وطنية أو قومية أو اجتماعية سرت بين أدباءنا، أو تصف فنا بعينه من فنون الشعرية أو النثرية وبفضل هذه الأبحاث التي تتكاثر يوما بعد يوم، وما تلقى من أضواء على أدبنا العري المعاصر أصبح من الممكن أن يكتب تاريخه كتابة تستوعب أطرافه وأطواره وآثاره وأعلامه"[10].

وبعد النكسة عام 1967م واصلت البيئة الأدبية دورها الأدبي والسياسي، ومشاركتها الفعلية سياسيا ونضاليا على كافة المستويات الوطنية والقومية، وشاركت بنتاجها الأدبي في كافة حروب الاستنزاف العربية الإسرائيلية، وفي المقاومة الفلسطينية ضد الصهاينة من أجل التحرير، فظهر شعر المقاومة وشعر الثورة الفلسطينية، كما أثرت القضية الفلسطينية في هذه الحقبة في البيئة الأدبية تأثيرا كبيرا بفيض غزير جدا من القضايا والموضوعات الجديدة، ووسعت دائرتها الشعرية والنثرية توسيعا كبيرا، ولعبت دورا ملموسا في ترويجها في جوانبها الموضوعية والفكرية والفنية، ومهدت لها الطريق للاتصال بالاتجاهات والمذاهب الأدبية، وللاهتمام بالشعر العمودي ووحدة الوزن والقافية، وبشعر المناسبات الوطنية والسياسية والاحتفالات والمهرجانات[11].

ويقول عز الدين المناصرة " لمع في السنوات الأخيرة وخصوصا بعد هزيمة 1967م ثلاثة شعراء من الأرض المحتلة هم: محمود درويش وسميع القاسم وتوفيق زياد، وقد اعتاد النقاد هذا الترتيب وأحيانا يلحقون بهم سالم بن جبران كألمع أربعة شعراء في الأرض المحتلة"[12]. ويقول الكاتب العربي رجاء النقاش " الحركة الشعرية الجديدة داخل الأرض المحتلة تتمتع بقيمة فنية وفكرية على أكبر درجة من النضج والأصالة بصرف النظر عن جميع الاعتبارات السياسية والعاطفية الأخرى، وأن الشعراء الشبان البارزين في الأرض المحتلة هم شعراء موهبون، ولو ظهروا في ظروف أخرى وأرض أخرى لكان لهم أيضا قيمتهم كفنانين بارزين، إن هؤلاء الشعراء انما يرتفعون إلى

مستوى كبير لا عن طريق القضية التي يعبرون عنها فقط، وإنما عن طريق مواهبهم الشعرية الواضحة في نفس الوقت"[13].

ولا يفوتني من الذكر أن أدب المقاومة[14] ولد في الخمسينات عامة، ووصل إلى درجة عالية في الستينات خاصة، وتطور بين الناس الذين كانوا يبذلون كل ما في وسعهم لتعذيب العرب الفلسطينيين سوء العذاب، وتخليقهم في الأرض المحتلة في كل ميدان من الميادين المختلفة، وينسجون خيوط المؤامرات والدسائس لتحقيق الأهداف والغايات، ويواصلون الليل بالنهار للوصول إليها. وأكبر دليل على هذا أن موظفا كبيرا إسرائيليا أدلى في إبريل عام 1967م " أعتقد أن الكيان القومي هو فوق كل اعتبار، وأن وجود أقلية عربية في اسرائيل يعرض للخطر مستقبل الدولة اليهودية ان آجلا أو عاجلا ... يجب تضييق خطواتهم، وأخذ الآراضي منهم، وإذا أنهى عربي مدرسة ثانوية أو جامعة فلا يجوز إعطاؤه عملا ..."[15] وأن الراسبين في الشهادة الثانوية من الطلاب العرب يبلغون 90٪ كل عام على التقريب... وفي عام 1962م حصل 76 طالبا من العرب على هذه الشهادة، بينما حصل عليها من الإسرائيليين 7502 من الطلاب[16].فنظرا إلى هذا التعصب الشديد أقامت مجلة " هذا العالم" ندوة في مطلع 1967م تحت عنوان " مصائب المجتمع العربي"، وطلبت من المثقفين العرب هناك الأدلاء بآرائهم الثمينة عن أسباب تلك الظاهرة. فانتهز المثقفون العرب هذه الفرصة الذهبية انتهازا للتعبير الصادق عن وعيهم العميق بحقيقة الإشكال الذي يعانونه، والذي يتمردون عليه، ووضعوا فيها مسألة التقدم والتخلف في سياقها النضالي العميق، ولم تكن هذه الآراء في الحقيقة إلا التربة التي أخصبت بذور الأدب المقاوم في فلسطين المحتلة، واحتضنتها بحرارة، وأكسبتها المناعة التي أنتجت في المستقبل ثقة بالنفس[17].

وأحاط الأدب المقاوم الفلسطيني يوما وراء يوم في بطنه الواسع بالموضوعات المختلفة الهامة التي تتركز على قيم البطولة والفداء والصمود والتحدي والثورة والصلابة والشهادة والتمسك بالأرض والمعاناة والسجن والعودة إلى الوطن والمنفى والاغتراب عن الوطن، كما قاتل على أكثر من جبهة في إنتاج أدباء الأرض المحتلة عبر الشعر والقصة والرواية والمسرحية في أعقاب 5 حزيران 1967م. وربط ربطا محكما بين قضية مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وقضايا التحرر من براثن الوحشيين، وبين المسألة

الاجتماعية والمسألة السياسية، واعتبرهما طرفين من صيغة لا بد من تلاحمهما، لتقوم بمهمة المقاومة.

وهكذا ظهر أدب المقاومة في الأرض المحتلة، ونشر أرجله في وسطها وأنحائها بشكل أفضل، وقاوم الاحتلال الإسرائيلي مقاومة عنيفة، وشجع الأدباء والكتاب على التعبير الصادق عما كان يجول في القلوب والنفوس من آلام الأمة الفلسطينية ومصائبها، ومن استبداد الدولة الإسرائيلية بصورة وحشية لا تحصى، والتسابق العظيم على صفحات الكتب الأدبية المشرقة وأوراق الدواوين المتألقة، لتصوير ما يحدث في الأراض المحتلة من قبل اليهود تصويرا جميلا. ففي هذا الصدد لمعت أسماء عباقرة كثيرة في فلسطين المحتلة، جعلت هذا الأدب المقاوم نصب أعنيها في الحياة الكاملة، وشغفت أشد الشغف به في كتابة المقالات وتأليف الكتب وقول الشعر، ولعبت دورا هاما في ترويجه في داخل البلاد وخارجها. فيقول الدكتور عادل الأسطة: " وقد التفت محمود درويش نفسه في إحدى افتتاحيات مجلة " الكرمل " إلى هذا، ولم يكن يعرف أنه يكتب شعر مقاومة، وغسان كنفاني هو أطلق المصطلح عليه، وعلى رفاقه الشعراء"[18]. ومن أهم هذه الأسماء اللامعة في سماء أدب المقاومة: سميح القاسم ومحمود درويش وحسين وفهد أبوخضرة وأحمد حسين وعصام عباس وإبراهيم مؤيد وتوفيق فياض وعطاء الله منصور وزكي سليم درويش وعبد الرحمن محمد سعيد وغيرهم.

وإن محمود درويش كان محور أدب المقاومة كمعركة مباشرة، لأنه قال الشعر فيه، وركز عنايته الفائقة عليه تماما، وجعله نصب أعينيه في حياته الكاملة، وجدد الأفكار والتخيلات، واختار الموضوعات الهامة والأغراض القيمة حسب الأوضاع والظروف، وتعرض لألوان تهديم البيت والتشريد منه، والسجن والمنفى والمصائب والمشكلات للسير في طريق أدب المقاومة، وما كانت العائلة والحب ومنبع قول الشعر عنده إلا الوطن، ولذا نرى الدولة الإسرائيلية تخاف من شخصيته العبقرية دائما، وتخشى من أنيابه الأدبية ليلا ونهارا، وتحاول محاولة جبارة لإطفاء نيرانه الشعرية ضدها بدفعه إلى السجون والمنفى غير مرة، ولذا لقب بشاعر المقاومة ومندوب فلسطين ومجنون التراب وغير ذلك.

الهوامش

[1] كنفاني غسان. **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948م – 1966، ط1.** بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1968م، ص: 9.

[2] أبو شاور رشاد محمود. **قراءات في الأدب الفلسطيني، ط1.** الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007م، ص: 9.

[3] السوافيري، كامل. **الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860م – 1960م،** القاهرة: دار المعارف، 1979م، ص: 261.

[4] **المرجع نفسه،** ص:34.

[5] السوافيري كامل. **الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر.** القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1973م، ص: 96.

[6] كنفاني غسان: الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948–1966م، الطبعة الأولى، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1968م، ص: 8.

[7] **المرجع نفسه،** ص: 10.

[8] السوافيري، كامل. **الأدب العربي المعاصر في فلسطين.** القاهرة: دار المعارف، 1979م، ص: 267 و270و 81 –85.

[9] مايا، جاغي. "محمود درويش ... شاعر العالم العربي"، **صحيفة "الغارديان البريطانية"** حزيران 2002م.

[10] ضيف، شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر، ط13، القاهرة: دار المعارف، 2004م، **المقدمة،** ص: و – هـ.

[11] سعدي، أبو شاور. "تطور الحركة الشعرية الفلسطينية خلال القرن العشرين"، **ديوان العرب،** الثلاثاء، نوفمبر، 2005م (شبكة).

[12] **المناصرة عز الدين. مقدمة ديوان سميح القاسم،** ص: و –ز.

[13] النقاش، رجاء. **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ط2.** مصر: دار الهلال، 1969م، ص: 7 – 8.

[14] أدب المقاومة من الآداب الإنسانية التي تجدها في كل أمة من الأمم نتيجة وقوعها تحت ظلم طويل خانق دفع بمشاعرها وأحاسيسها لرفض هذا الظلم والتمرد على مفاهيم الخضوع له والتعامل معه بوصفه أمرا واقعا.

[15] النقاش، رجاء. **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ط2.** مصر: دار الهلال، 1969م، ص: 21.

[16] **المرجع نفسه،** ص: 22.

[17] كنفاني غسان. **أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، ط2.** بيروت: مؤسسات الأبحاث العربية، 1987م، ص: 35.

[18] عادل، الأسطة. أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، ط2. دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2008م، ص: 8.

المصادر والمراجع

- أبو شاور رشاد محمود. **قراءات في الأدب الفلسطيني، ط1**. الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2007م.
- سعدي، أبو شاور. "تطور الحركة الشعرية الفلسطينية خلال القرن العشرين"، **ديوان العرب**، الثلاثاء، نوفمبر، 2005م (شبكة).
- السوافيري، كامل. **الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة 1860م – 1960م.** القاهرة: دار المعارف، 1979م.
- السوافيري كامل. **الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر.** القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1973م.
- السوافيري، كامل. **الأدب العربي المعاصر في فلسطين.** القاهرة: دار المعارف، 1979م.
- ضيف، شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر، ط13، القاهرة: دار المعارف، 2004م.
- عادل، الأسطة. أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات، ط2. دمشق: مؤسسة فلسطين للثقافة، 2008م.
- كنفاني غسان. **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948م – 1966، ط1**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1968م.
- كنفاني غسان. **أدب المقاومة في فلسطين المحتلة، ط2**. بيروت: مؤسسات الأبحاث العربية، 1987م.
- مايا، جاغي. "محمود درويش ... شاعر العالم العربي"، **صحيفة "الغارديان البريطانية"** حزيران 2002م.
- النقاش، رجاء. **محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ط2**. مصر: دار الهلال، 1969م.

الدكتور رضاء الله المباركفوري في ضوء دراسته وتحقيقه "كتاب العظمة" لأبي الشيخ الأصفهاني

د. نسيم أحمد *
naseemjnu@gmail.com
د. أختر عالم*
akhterjnu@gmail.com

ملخص البحث: *كان الدكتور رضاء الله المباركفوري (1954م-2003م) من أبرز العلماء والكتاب في شبه القارة الهندية في العصر الحديث، وله خدمات متميزة في مجالات شتى من الدعوة والإرشاد والتصنيف والتأليف والتحقيق والتعليق والترجمة والتدريس والنشاطات العلمية الأخرى. وكان له هواية خاصة للاشتغال بالمخطوطات من تراث السلف الصالح لاسيما بما يتعلق منها بالعقيدة الإسلامية. ومن أشهر الكتب والمخطوطات التي حققها الدكتور المباركفوري هو "كتاب العظمة" لأبي الشيخ الأصفهاني (274هـ-369هـ) وهو من كبار علماء الدين الإسلامي في القرن الرابع الهجري، وكتابه هذا كتاب علمي قيم ويُعتبر من المراجع الهامة بالنسبة للباحثين والمتخصصين في مجال دراسات الحديث الشريف والتفسير والتاريخ والعقيدة. وموضوعه كما هو ظاهر من عنوانه البيان بعظمة الله تعالى من خلال ما اتصف سبحانه من صفات الكمال وكذلك من خلال بعض المخلوقات العظيمة من الملائكة والسماوات والشمس والقمر وغيرها من المخلوقات في هذا الكون علويه وسفليه. اختار الدكتور المباركفوري أسلوبا عصريا وطريقة علمية تتصف بالأمانة والدقة في دراسة هذا الكتاب وتحقيقه حيث اعتمد على المصادر الأصيلة الموثوقة وقام ببالغ من التحقيق والتدقيق والبحث والتمحيص للوصول إلى السداد والصواب. هذه الورقة محاولة متواضعة لدراسة هذا التحقيق دراسة وصفية تحليلية وإبراز أهم خصائصه وميزاته.*

كلمات مفتاحية: *رضاء الله، المباركفوري، كتاب العظمة، أبو الشيخ، الأصفهاني.*

الدكتور رضاء الله بن محمد ادريس المباركفوري (1954-2003) هو عالم جليل من علماء الهند البارزين وعلم شهير من أعلام الجامعة السلفية ببنارس الهند، ولد ببلدة

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية بكلية ذاكر حسين دلهي التابعة لجامعة دلهي
* أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو، دلهي الجديدة

مبار كفور التابعة لمديرية أعظم غره، إحدى مديريات ولاية اترابراديش في أسرة علمية كريمة اشتهرت في الهند وخارجها بسبب خدماتها الجليلة في مجال علم الحديث والعلوم الأخرى في سبيل خدمة الإسلام. التحق بالجامعة السلفية ببنارس وحصل فيها على شهادة العالمية ثم سافر إلى مراكش لينهل من منهل تقي الدين الهلالي العلمي وهو واحد من كبار زعماء الدعوة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري، وكان لجهوده المخلصة أثر بارز في نشر اللغة العربية في شبه القارة الهندية. وبعد ذلك التحق بكلية الحديث في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحصل منها على شهادة البكالوريوس في سنة 1979م وشهادة الماجستير في سنة 1985م بدرجة ممتازة، كما حصل على شهادة الدكتوراه سنة 1989م من نفس الجامعة.

بعد التخرج في الجامعة الإسلامية انخرط بسلك التدريس بالجامعة السلفية ببنارس، ثم اختير شيخ الجامعة بها، كما عُين عضوًا في المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكان من العلماء الربانيين الجامعين بين العلم والعمل، والمتصفين بصفات الزهد والورع والتقى والأخلاق الفاضلة والآداب النبيلة.[1]

كان للدكتور المباركفوري اهتمام خاص بالمخطوطات العربية ودراستها وتحقيقها والتعليق عليها، ومن أهم الكتب التي قام الدكتور بدراستها وتحقيقها هو كتاب العظمة للحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني.

كان أبو الشيخ (274-369هـ) من كبار علماء الدين الإسلامي في القرن الرابع الهجري. ولد بأصبهان ونشأ وترعرع في جو علمي صميم فكانت أسرته من قبل أبيه وأمه أسرة علمية عريقة في المعرفة والثقافة. فعلى سبيل المثال كان والده محمد بن جعفر بن حيان من العلماء المحدثين البارزين كما كان جده لأمه محمود بن الفرج بن عبد الله الوذنكاواذي من أبرز العلماء وأشهر المحدثين في ذلك العصر. ومن أثر ذلك أن نبغ أبو الشيخ في ميادين شتى من العلم والمعرفة وصار من العلماء الذين لهم مشاركة في أكثر من فن.[2] وقد صدق عمر رضا كحالة إذ وصفه فقال: محدث، حافظ، مفسر، مؤرخ.[3]

ومما ساعد أبا الشيخ على تقدمه وعلو شانه في مختلف الفنون ونبوغه في أكثر من ميدان، إلى جانب ما كان يحظى به من ذكاء وحفظ.... اعتناء والده وجده به وكثرة العلماء البارزين في فنون متعددة بأصبهان، وكذلك مرور العلماء الوافدين عليها، ثم رحلاته إلى الأماكن المشهورة بالعلم والمعرفة والثقافة مما مكنه من التلمذة على مشايخ كثيرين، فيهم من اشتهر بالتفسير والقراءة، ومنهم من اشتهر بالحديث وعلومه،

ومنهم من اشتهر بالفقه أو التاريخ. فكان لكل منهم تأثير بالغ في تثقفه بثقافات متنوعة، وتمكنه منها، وإن كان نبوغه وتفوقه في فنون التفسير والحديث والتاريخ أكثر وأشهر.[4]

ومن أهم مؤلفاته كتاب السنن، وكتاب العظمة، وكتاب الثواب للأعمال الزكية، وكتاب خطب النبي، وكتاب أخلاق النبي، وكتاب أمثال الحديث، وكتاب طبقات المحدثين بأصبهان، وكتاب ذكر الأقران، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب العوالي، وكتاب الأموال، وكتاب الفرائض والوصايا، وغيرها من الكتب. هذه المؤلفات المتنوعة المشهورة تؤكد لنا غزارة علوم أبي الشيخ وسعة ثقافته، كما تحدد لنا مدى اطلاعه الواسع في تلك الفنون. ويبدو من خلال الاستعراض لمؤلفاته أن حظه من الأدب العربي أيضا لم يكن قليلا. فإن من له نصيب من الأدب لا يمكنه تأليف كتاب له علاقة بالأدب إلى جانب الحديث، فكتاب الأمثال، وهو في أمثال النبي صلى الله عليه وسلم، من أكبر الأدلة على إلمامه بالأدب.

أما كتاب العظمة الذي قام الدكتور المباركفوري بدراسته وتحقيقه وطبعته دار العاصمة، الرياض، في خمسة أجزاء فهو كتاب علمي قيم، ويُعتبر من المراجع الهامة بالنسبة للباحثين والمتخصصين في مجال دراسات الحديث الشريف والتفسير والتاريخ والعقيدة. وموضوعه كما هو ظاهر من عنوانه البيان بعظمة الله تعالى من خلال ما اتصف سبحانه من صفات الكمال وكذلك من خلال بعض المخلوقات العظيمة من الملائكة والسماوات والشمس والقمر وغيرها من المخلوقات في هذا الكون علويه وسفليه- لأن الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة التي قد لا يستطيع الإنسان أن يدرك ما تشتمل عليه من القوة والعظم والسلطان لا بد أن يكون أعظم وأعظم بكثير منها -، وبالمناسبة تكلم المؤلف أيضا على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى، فإنه عقد لذلك بابا مستقلا طويلا استدل فيه بما يوجد في هذا الكون علويه وسفليه من الآيات على وجود الله تعالى وتدبيره لهذا الكون، كما أشار إلى بطلان ما يستدل به الملاحدة على إنكارهم لوجود الله تعالى. وتعرض أيضا لذكر بعض صفاته سبحانه وتعالى التي اختلفت فيه الأمة الإسلامية من حيث إثباتها له أو نفيها عنه فرارا من التشبيه. وهو توحيد الأسماء والصفات عند السلف. فالكتاب كله يشتمل على توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، كما أن فيه ما يدخل تحت باب الإيمان بالأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمها نفسه.

وبما أن المؤلف كان من علماء الحديث، ولد ونشأ في عصر راج فيه الحديث وروايته رواجا كبيرا غلب عليه أسلوب المحدثين إذ أنه استدل في هذا الكتاب على كل قضية من القضايا التي أودعها فيه بالآيات والأحاديث والآثار. وروى هذه الأحاديث والآثار وتفسير الآيات عن الأئمة بالأسانيد لنفسه. وبما أن أبا الشيخ كان يعد أيضا من أئمة التفسير ومن كبار المؤرخين فإن الجانب التفسيري قد أخذ قسطا كبيرا من كتابه حيث إنه أدخل فيه عددا من الآيات ثم روى تفسيرها بسنده على منهج المفسرين عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة التفسير. كما أن الجانب التاريخي أيضا واضح في الكتاب، فإنه أورد فيه كثيرا من الوقائع التاريخية نشاهد ذلك في الأبواب الأولى، إذ ذكر فيها عن بعض الأئمة ما حدث لهم عند تفكرهم في مظاهر هذا الكون، بالإضافة إلى ما ذكره منها أثناء الكتاب كله، ولا سيما في آخره عند ما تعرض لذكر قصة ذي القرنين ونمرود وأصحاب موسى والعمالقة وإرم ذات العماد وغيرها من الوقائع والحوادث التاريخية في أبواب مستقلة، وأراد من تلك الحوادث والوقائع إثبات عظمة الله وقوته، لأنه هو الذي أعطى تلك الأمم الجبابرة ما أعطاهم من القوة والسلطة، ثم أخذ من تمرد منهم أخذ عزيز مقتدر حيث لم يبق لهم عين ولا أثر.

إن المؤلف قد قسّم الكتاب في مباحث أو أبواب، وعقد كلا منها بعنوان مستقل، ويبلغ عدد هذه الأبواب خمسين بابا أورد تحت كل باب منها بإسناده ما يتعلق بترجمته من الآيات القرآنية وتفسيرها والأحاديث والآثار- ونهج في معظم الأبواب أنه يذكر أولا الآيات الكريمة بتفاسيرها ثم يورد الأحاديث المرفوعة والموقوفة وبعد ذلك يذكر الآثار. ولكنه لم يلتزم بهذا المنهج في جميع الأبواب والمباحث إذ تخلو بعضها كليا من الأحاديث المرفوعة كما أنه قدم في بعضها الآثار على الأحاديث.

ويلاحظ أن المؤلف أكثر بصفة ملحوظة من إيراد الآثار عن الأئمة مما يدل على اطلاعه الواسع، وهي وإن لم تكن حجة تنهض للاحتجاج بها في مسائل العقيدة ولكنها إذا لم تتعارض مع نصوص من الكتاب والسنة يستأنس ويستعان بها على فهم ما يشكل من النصوص القرآنية أو الحديثية، كما تحدد لنا موقف الصدر الأول من الأمة الإسلامية في المسائل التي حدثت فيها الاختلافات في الآونة الأخيرة. ثم إنه تساهل كثيرا فيما أورده من الأحاديث والأخبار فيوجد فيها كثير قد حكم عليه بالوضع أو بالضعف الشديد، كما أنه أكثر أيضا بصفة غير مناسبة عمن اشتهر برواية الإسرائيليات من أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه. يقول الدكتور المباركفوري بهذا

الصدد: "قد أورد المؤلف فيه كثيرا من الأحاديث والآثار التي لا تستحق ذكرها لكونها من الواهيات أو الضعاف شديدة الضعف أو الإسرائيليات مما نحن في غنى عنه في موضوع العقيدة"[5]

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أهمية الكتاب فإنه مع ما فيه من ملاحظات ومآخذ يتصف بأهمية لا يمكن التغافل عنها، وهو منفرد في هذا الباب، وإن كان قد ألف فيه الآخرون، ولكن مؤلفاتهم إما مفقودة أو ليس هذا موضوعها. وتأتي أهمية الكتاب من ناحية المؤلف، فإنه كان من العلماء المحدثين البارزين في علم الحديث، ففيه بعض الأحاديث لا تروى إلا من طريقه، كما أنه يروي في بعض الأحيان حديثا واحدا من طرق عديدة، فيجمع بذلك طرقه في موضع واحد، وهو شيء قد لا يجده الباحث في كتاب آخر، كما أن الآثار المروية عن الصحابة ومن دونهم توجد في الكتاب بكثرة حيث يمكن أن يعتبر مرجعا كبيرا لمعرفة هذه الآثار. ويُعد الكتاب أيضا مصدرا مهما في فن التفسير والتاريخ وفي باب العقيدة حيث إنه يشتمل على قسط كبير من الآيات بتفسيرها المأثور والوقائع التاريخية كما يشتمل من أوله إلى آخره على مسائل عقدية من التوحيد الإجمالي والتفصيلي.

نظراً لأهمية هذا الكتاب ومكانته العلمية اختاره الدكتور المحقق المباركفوري ليكون موضوعا لرسالته في مرحلة الماجستير في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وبهذا الصدد يقول المباركفوري "قد كان في اختيار هذا الكتاب الذي أنا بصدد تحقيقه ودراسته بعد توفيق من الله سهم كبير لفضيلة شيخنا حماد بن محمد الأنصاري فإنه هو الذي أشار على أن آخذ هذا الكتاب عند ما كنت أتخبط خبط عشواء وأبحث عما يصلح ليكون موضوعا لرسالة الماجستير وشجعني على اختياره ببيان أهميته وقيمته العلمية وببيان المكانة العلمية لمؤلفه وتمسكه بالعقيدة الصحيحة".[6] وأما الدوافع التي دفعته إلى اختيار هذا الكتاب فهي تنقسم إلى قسمين: أولهما: دوافع عامة. والثاني: دوافع خاصة.

وأما الدوافع العامة فمنها أنه يجد في نفسه هواية للاشتغال بالمخطوطات من تراث السلف الصالح ويرغب في اكتساب الخبرة والتجربة في مجال تحقيقها وأنه يعتقد أن الاشتغال بالمخطوطات تحقيقاً ودراسة ييسر للطالب أو المحقق فرصة ليعيش برهة من الزمن مع أولئك الذين بذلوا في خدمة الشريعة الإسلامية الغالي والنفيس، وتجشموا في

سبيل تحمل الأمانة وتأديتها إلى من بعدهم على وجه صحيح من المشقات والمتاعب ما لا يوجد له نظير ولا مثيل، فبخدمة ما تركوا من ورائهم من تراث ربما نؤدي بعض ما يجب علينا نحوهم. وأما الدوافع الخاصة فمنها تشجيع الشيخ حماد بن محمد الانصاري على اختيار هذا الكتاب كما تقدمت الإشارة إليه، ومنها شهرة المؤلف وشهرة الكتاب، وما ذكره بروكلمان وفؤاد سزكين من كثرة النسخ الخطية لهذا الكتاب فإن كثرة النسخ تساعد كثيراً في إخراج الكتب على وجه صحيح وبنص قريب مما وضعه المؤلف عليه، ومنها أن المؤلف استخدام أسلوب المحدثين في الكتاب إذ أورد فيه كل شيء بالأسانيد، كما أنه يشتمل على تفسير الآيات الكريمة التي تتعلق بموضوع الكتاب، وعلى الأحاديث والآثار مما يهيئ للطالب الفرصة للتدرب في فن التفسير والحديث ورجاله ومعرفة الآثار في آن واحد بالإضافة إلى العقيدة التي هو موضوعه الحقيقي.[7]

وأما الخطة التي سلكها المحقق في دراسة هذا الكتاب وتحقيقه فإنه قسمها إلى قسمين:

القسم الأول: هو القسم الدراسي.

القسم الثاني: هو قسم التحقيق

وجعل قسم الدراسي في مقدمة وبابين. وأما المقدمة فتحدث فيها عن العصر الذي عاش فيه المؤلف من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية، واستطرد شيئاً قليلاً عندما تكلم عن الحركة العلمية فذكر حركة التأليف في أصبهان، كما تعرض للعقيدة السلفية فيها وللمؤلفات التي ألفت في ذلك الوقت في العقيدة السلفية على أيدي العلماء الأصفهانيين.

وأما الباب الأول فهو في ترجمة المؤلف ومنقسم إلى فصلين.

أما الفصل الأول فهو يشتمل على سيرة المؤلف الشخصية ذكر فيها اسمه ونسبه وولادته وأسرته ونشأته وأولاده وأوصافه الخُلُقية والخَلْقية ووفاته على حسب الترتيب.

وأما الفصل الثاني فهو في سيرة المؤلف العلمية تناول فيها دراسته وتربيته ورحلاته في طلب العلم ومشايخه وتلاميذه وثقافته وعلمه وعقيدته ومذهبه ومكانته لدى العلماء ومؤلفاته.

والباب الثاني: يشتمل على دراسة الكتاب والنسخ الخطية له وبيان منهج التحقيق وجعل المحقق هذا الباب في ثلاثة فصول.

أما الفصل الأول فهو في التعريف بالكتاب من اسمه وموضوعه، وتوثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف، والمؤلفات الأخرى بهذا الاسم، ومنهج المؤلف في الكتاب، وأهمية الكتاب، والمآخذ

على الكتاب، ومصادر المؤلف في الكتاب، ومشايخه الذين روى عنهم المؤلف في الكتاب، كما ذكر فيه بعض المقتبسات من الكتاب.

والفصل الثاني يشتمل على دراسة النسخ الخطية للكتاب فذكر فيه المحقق النسخ الخطية المنسوبة إلى المؤلف خطأ، وأقام الدليل على خطأ النسبة، ثم ذكر النسخ الصحيحة التي اعتمد عليها في تحقيق هذا الكتاب مع بيان وصفها، وهي نسخة سراى، ونسخة كوبريلي، ونسخة جوروم، ونسخة دار الكتب الظاهرية، ونسخة دار الكتب المصرية، إلا أنه لم يستطع الإجابة عمن هو مؤلف هذه النسخ التي نسبت إلى أبي الشيخ خطأ.

وأما الفصل الثالث فهو في بيان المنهج الذي سلكه المحقق في الكتاب.

وأما القسم الثاني "قسم التحقيق" فهو في تحقيق النص للكتاب وأما المنهج الذي سلكه المحقق في تحقيق هذا الكتاب فهو يتلخص في الأمور التالية:

- المحاولة لإخراج النصوص على صورة صحيحة قريبة مما يتوقع أن يكون المؤلف قد وضع عليه كتابه، وذلك بالمقابلة بين النسخ الموجودة لدى المحقق وبالرجوع إلى المصادر الأخرى من الكتب المعنية بالموضوع، فمثلا في الكلمات اللغوية رجع إلى القواميس اللغوية وفي أسماء الرجال رجع إلى كتب التراجم وفي الأحاديث إلى كتب الأحاديث، كما أنه رجع إلى الكتب التي توجد فيها مقتبسات من الكتاب، واستعان منها في تصحيح النصوص وبيّن الفروق بين النسخ وأثبت الصحيح منها أو ما يغلب على الظن صحته في المتن، وذكر الخطأ في الهامش مع الإشارة إلى بيان وجه الخطأ أو الصواب، وإذا كان الخلاف مما يحتمل الوجهين أثبت الواحد منهما في المتن وذكر الثاني في الهامش مع العلم بأنه لا يذكر الفروق بين النسخ إلا إذا كانت مما يغير المعنى أو يخل بالكلام، وأما الخلافات التي لا تغير المعنى فلم يذكر منها شيئاً مثل الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم أو الترضي على الصحابة أو الترحم على غير الصحابة من علماء المسلمين.
- استخدام العلامات البيانية المستعملة في كتابات العصر الحاضر كما أنه اصطلح لنفسه على البعض منها فوضع الآيات القرآنية بين القوسين اللذين صممهما هو نفسه والزيادات التي تكون من إحدى هذه النسخ وضعها بين

القوسين ()، فمثلا كلمة أو عبارة لم ترد في نسخة سراى ووردت في نسخة كوبريلي أو في نسخة جوروم وضعها بين القوسين ووضح ذلك في الهامش. أما الزيادات التي تكون من عنده (المحقق) معتمدا على أحد المصادر المعنية فوضعها بين المعكوفين {} فمثلا كلمة أو عبارة لم ترد في إحدى هذه النسخ والمقام يقتضيها وبدونها يختل الكلام فوضعها بين المعكوفين مع بيان المصدر الذي اعتمد عليه في هذه الزيادات في الهامش، وإذا لم يجد مصدرا من المصادر التي يعتمد عليها في إثبات الزيادة وتكون هذه الزيادة مما يقتضيها السياق فلا يثبتها في المتن وإنما يشير إليها في الهامش.

وإذا كتبت الآيات القرآنية في إحدى النسخ أو كلها خطأ فإنه يصلحها دون إشارة إليها، وإن كانت الكلمات مكتوبة على خلاف القواعد الإملائية الحديثة يجعلها طبقا لما تعرف عليه أهل هذا العصر من القواعد الإملائية ولا يشير إليها.

- الإشارة إلى بدء الصفحات من الكتاب، وذلك بوضع خط مائل (/) قبل الكلمة الأولى من أول كل صفحة، وبكتابة رقم الصفحة في محاذاتها في الهامش هذا من نسخة (سراى). وأما نسخة (كوبريلي) فيشير إلى بداية الصفحات منها في الهامش في أسفل الصفحة. والمقصود من ذلك تسهيل الرجوع إلى الأصول لمن أراد الرجوع إليها. ولم يذكر بداية الصفحات من نسخة (جوروم)، والسبب في ذلك أن المحقق لم يتمكن من تصويرها ولم يمتلك صورة منها.
- ترقيم الأبواب بأرقام مسلسلة.
- ترقيم الأحاديث والآثار بأرقام تسلسلية.
- ترقيم الوارد منها تحت باب واحد من الأبواب في الكتاب بأرقام مستقلة خاصة إلى جنب الأرقام التسلسلية العامة، وذلك ليسهل معرفة العدد الوارد منها تحت كل باب.
- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها.
- تخريج الأحاديث والآثار من المصادر المعتبرة في هذا الشأن، وقد لا يكتفي في تخريج الحديث بمصدر واحد، بل يخرجه من كل ما يتوصل إليه من المصادر،

وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما يخرجه أيضا من غيرهما إذا كان يوجد عند غيرهما، وليس ذلك لسبب الإقلال من شأنهما- فإنهما في مرتبة لا يشق غبارهما- وإنما لتواتر المخرجين للحديث، ثم إنه التزم ببيان الضعيف من الرجال في سند الأحاديث والآثار وذلك في ضوء تراجمهم. وإذا وجد لأحد من علماء الحديث المتقدمين أو المتأخرين كلاماً على الحديث يذكره بنصه ويعتمد عليه إلا إذا تبين له شيء آخر غير ما ذكره فيشير إليه في ضوء الأدلة، وإذا لم يجد كلاماً لأحد منهم على حديث أو أثر يحكم عليه هو من عنده في ضوء تراجم الرواة. وإذا كانت الرواية مما انفرد بها المؤلف حيث لم يهتد إلى من أخرجها غيره يذكر من أوردها في كتابه من المتأخرين فيحكم عليها في ضوء تراجم الرجال في سند المؤلف، ويوضح بأنه لم يجد من أخرجه غير المؤلف.

- وإذا كانت الرواية من الإسرائيليات ويوجد في السند من هو متهم بالكذب أو الوضع يوضحه ولا يتعب نفسه ورائها بأكثر من ذلك. وإذا كانت بسند صحيح ويتفق ما جاء في شريعتنا يبيّن ذلك، وإذا كانت مما لا يوافق شريعتنا يوضحه ولا يطيل بأكثر هذا.

- ترجمة الرواة والأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب لأول مرة، ثم يحيل إليه عند التكرار برقم الحديث أو يكتفي بتوضيح الاسم فقط إذا كان مبهماً. والتزم في تراجم الرجال الإيجاز حيث يذكر اسم الرجل كاملاً ثم يذكر أحد شيوخه وأحد تلاميذه إن رأى المقام يقتضي ذلك وإلا يهمله، ثم يذكر مرتبته من الجرح التعديل ويبيّن سنة وفاته، ويشير إلى من أخرج له من أصحاب الكتب الستة إذا كان منهم، وإذا وجد بغيته في التراجم في التهذيب والتقريب لا يتجاوز إلى غيرهما إلا إذا لزم الأمر واقتضت الضرورة، وإن لم يجدها في التهذيب والتقريب يبحث عنها في غيرهما، وإذا ندّت عنه ترجمة من التراجم حيث لا يجدها يصرّح بذلك فيقول "لم أجد ترجمته...أو لم أعثر على ترجمته" وهو أيضا لا يعني نفي وجود الترجمة. والتزم أيضاً في الترجمة ضبط الشكل من الأسماء وتوضيح النسبة، وإذا كان الضبط من التقريب نفسه يذكره بين القوسين ويكتفي بذلك، وإذا كان من غيره يذكره أيضاً بين القوسين، ويذكر في المقام نفسه المصدر الذي اعتمد عليه في الضبط أو توضيح النسبة. ومما يجدر

ذكره هنا أنه لم يترجم مشاهير الصحابة، وإنما ترجم لمن هو غير معروف لدى عامة الناس. وأيضاً إنه أطال قليلاً في ترجمة المشايخ للمؤلف- وذلك لإبراز من أخذ عنهم المؤلف في هذا الكتاب.

- شرح الكلمات الغريبة مستمدا في ذلك من القواميس المعتبرة.
- التعريف بالبلدان والأماكن مستمدا من كتب هذا الشأن.
- التعليق على بعض المواضع التي تحتاج إلى التعليق مما يتعلق بالمسائل العقدية أو تفسير الآيات وغيرها.
- ذكر خلاصة موضوعية لما يشتمل عليه كل باب من أبواب الكتاب في نهايته.
- وضع الفهارس:
  - فهرس للآيات القرآنية حسب ترتيب سورها.
  - فهرس للأحاديث المرفوعة والموقوفة.
  - فهرس للآثار على ترتيب أصحابها.
  - فهرس للكلمات الغريبة.
  - فهرس البلدان والأماكن.
  - فهرس شيوخ المؤلف الذي روى عنهم في الكتاب مع الإشارة إلى الأماكن التي ورد فيها ذكرهم، وذلك ببيان الأرقام للحديث أو الأثر.
  - فهرس للأعلام المترجم لهم سوى شيوخ المؤلف مع الإشارة إلى المواضع التي وردت فيها ترجمتهم.
  - فهرس لموضوعات الكتاب
  - فهرس للمصادر والمراجع.
  - فهرس لموضوعات الرسالة.

وكل هذه الفهارس على ترتيب حروف المعجم إلا الآيات القرآنية، فإنها على ترتيب سورها في القرآن، وفهرس الموضوعات في الكتاب فإنها على ترتيب المؤلف.

الجدير بالذكر هنا أن الاشتغال بفن تحقيق النصوص والعناية بالمخطوطات، هو اشتغال بأمر مرهق للغاية، فهو حقل علمي صعب شاق، ولا يجيده إلا شخص محب للتراث، ومخلص لأمجاد الأجداد، ومتحلي بالأمانة العلمية، ومتمكن من العلوم الشرعية واللغوية ومتسلح بالمهارة والإتقان، وملم بالقواعد والضوابط الخاصة بهذا الفن. وتحقيق الدكتور المباركفوري هذا خير دليل على أن هذه الصفات توافرت في شخصيته على وجه أتم حيث إنه اختار أسلوبا عصريا وطريقة علمية في دراسته وتحقيقه لهذا الكتاب، واعتمد على المصادر الأصيلة الموثوقة، وقام ببالغ من التحقيق والتدقيق والبحث والتمحيص للوصول إلى السداد والصواب. فعلى سبيل المثال لقد حاول المحقق للحصول على أكبر عدد ممكن من النسخ الخطية للكتاب، وبعد عناء طويل ومشقة كبيرة نجح في الحصول على ثلاث عشرة نسخة منه فقام بدراستها جميعا دراسة عميقة لمعرفة صحة نسبتها إلى المؤلف فوجد أنه لا يصح من هذه النسخ المنسوبة إلى المؤلف إلا أربع وأقام الدليل والبرهان على ما وصل إليه من النتيجة فيكتب المحقق بهذا الصدد "والمقصود هنا أنه تبين لي من خلال التتبع والبحث في هذه النسخ عدم الصحة والصواب في عزوها جميعاً إلى أبي الشيخ، وإن كان قد كتب في أكثرها أنها له سوى أربع نسخ، هي التي نستطيع أن نجزم فيها بأنها نسخ من كتاب العظمة، لأنها هي التي تتفق مع المقتبسات الموجودة في بطون كتب المتأخرين، وهو وحده يكفي للقطع بما تقدم من عدم اطلاع بروكلمان وفؤاد سزكين على النسخة الصحيحة وأنهما اكتفيا بالاعتماد على كتب الفهارس أو الاطلاع على بعض النسخ منها، لأن ما ذكراه من اعتماد المؤلف على كتب دانيال التي وصلته عن طريق عبد الله بن سلام لا يوجد في النسخ الأربع التي ذكرنا فيها أنها هي النسخ الصحيحة المعتبرة لكونها تتفق مع ما جاء من مقتبسات في بطون كتب المتأخرين إلى جانب موافقتها لأسلوب المؤلف في تأليفاته الأخرى".[8]

وكذلك يكتب في تحديد عمر المؤلف فيقول "وقد وقع خلاف في تحديد عمره فقال أبو نعيم: توفي وله ست وتسعون سنة، بينما ذكر الذهبي وابن العماد أنه توفي وله خمس وتسعون سنة. وهذا هو الموافق للصواب لما تقدم أن ولادته كانت سنة أربع وسبعين ومائتين، وفي الإمكان توجيه قول أبي نعيم حيث إنه أضاف المحرم من سنه تسع وستين فحسبه سنة، وغيره لم يضف هذه السنة لأنه توفي في أولها".[9]

كما يكتب في نسبة المؤلف فيقول "الأصفهاني الأنصاري الحياني الوزان. واتفقت المصادر في نسبته على ذكر الأصفهاني، وأما الأنصاري فلم يذكره إلا الذهبي وبروكلمان. والحياني ذكره السمعاني وابن الأثير والفيروزابادي والزبيدي والذهبي وابن حجر والكتاني. والوزان ذكره إسماعيل البغدادي".[10]

ومن أهم ميزات تحقيق الدكتور المباركفوري أنه لا يكتفي بمصدر واحد في جمع المعلومات بل إنما يعتمد على مصادر كثيرة متنوعة، وكذلك يحيل القارئ إلى مزيد من المصادر في هوامش الكتاب لمن يريد التفصيل فمثلا يكتب عند توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلف "ذكره الذهبي أثناء ترجمته له وذكره ابن تغري بردي وحاجي خليفة وإسماعيل باشا البغدادي والكتاني والزركلي وبروكلمان وعمر رضا كحالة وفؤاد سزكين كما ذكره ابن حجر".[11]

وكذلك إنه لا يقف موقفاً ولا يرى رأياً إلا ويثبته ويقويه بدلائل متنوعة وبراهين مختلفة، ويرد على رأى مخالف بأسلوب علمي رصين فمثلا يكتب في تحديد مكانة المؤلف لدى العلماء وتوثيقهم له بعد ذكر أقوال عدد كبير من العلماء من معاصريه ومن بعدهم على توثيقه وتعديله وعلى الاعتراف بعلمه الغزير واطلاعه الواسع، فيقول "وبهذا يتبين أن أبا الشيخ كان على درجة رفيعة من العدالة والصدق في العلم والمعرفة، وعليه استحق أن ينال من العلماء الثناء المجيد، ومن أئمة الجرح والتعديل التعديل الجدير.....ولكن الكوثري قد تكلم فيه في أماكن متعددة....ولم يعتبر بأقوال هؤلاء الأئمة الأعلام الذين اتفقت كلمتهم على توثيقه وتعديله فقال فيه مرة: متكلم فيه. وقال مرة أخرى: إن العسال ضعّفه. وقال في موضع آخر: صاحب كتاب العظمة والسنة، وفيهما كثير مما هو مردود. هذا كلام لا يصدر إلا ممن كان يضمر في قلبه حقداً، فإنه لم يبين سبب الجرح، وكل من له أدنى إلمام بعلم الجرح والتعديل يعرف جيدا أن الجرح المبهم غير مقبول، لاسيما وقد وجد من وثقوه بأعلى مراتب التوثيق والتعديل، ثانياً لم يبين المصدر الذي نقل منه تضعيفه، ثالثاً ذكر أثناء كلامه عليه أنه صاحب العظمة والسنة، وفيهما كثير مما هو مردود فهل هذا يعتبر مما يقدح في عدالته وصدقه؟ وإيراده لما هو مردود لا يقدح إلا في منهجه الذي نهج عليه في تأليف الكتاب لا سيما وقد ساق لكل ما أورده فيه سنداً مما يبرئه من عهدته".[12]

هذا، وإن المحقق بالإضافة إلى إبراز جوانب تتعلق بأهمية الكتاب العلمية والتاريخية يسجل أيضاً ما وقع فيه المؤلف من الخطأ في هذا الكتاب من الناحية العلمية والفنية، وذلك في دلالة واضحة على ما اختار المحقق من أسلوب علمي في تحقيقه لهذا الكتاب. وأما الأخطاء من الناحية العلمية فذكر المحقق منها إيراده في الكتاب من الواهيات والموضوعات شيئاً كثيراً، وإكثاره في الكتاب من الروايات الإسرائيلية بصفة تنال من أهميته وتخل بشأنه، وكذلك إكثاره من الآثار حيث يتجاوز عددها عن عدد الأحاديث، وعدم الكلام على إسناد الحديث والآثار مع أنه من كبار المحدثين. وأما من الناحية الفنية فذكر المحقق منها عدم الدقة في تبويب الأبواب حيث يوجد في أبوابه تداخل وتكرار مما يدل على أن المؤلف لم يستخدم في تبويب الأبواب أسلوب الدقة، وعدم الدقة في إيراد الأحاديث والآثار المتعلقة بترجمة الباب، وتكرار بعض الأحاديث والآثار بنفس السند والمتن في باب واحد ومكان واحد.[13]

هذه بعض المآخذ التي أخذها المحقق على صاحب الكتاب، غير أنه يبدو في نفس الوقت مدافعاً عنه في كثير من هذه المآخذ، وذلك فيما يبدو لإقامة التوازن في ملاحظاته ومآخذه على الكتاب، فمثلا هو يكتب بعد أخذه على المؤلف في إيراده لكثير من الواهيات والموضوعات في الكتاب "ويبدو أن المؤلف قصد من إيراده لهذه الواهيات والموضوعات جمع كل ما ورد في الموضوع بغض النظر عن كونه غثاً أو سميناً- وليس المقصود الاستدلال بها على المراد، وعصر المؤلف عصر الرواية والإسناد. فإنهم إذا ساقوا الحديث بالإسناد اعتقدوا أنهم خرجوا من العهدة وبرئت الذمة..... وأما ما يوجد في الكتاب من الضعاف فيمكن أن يعتذر عن المؤلف في ذلك بأن في إيرادها فائدة مهمة من الناحية الصناعية، وهي ارتقاء الحديث عن درجته إذا وجد ما يؤيده ويشهد له".[14] وكذلك يكتب بعد أخذه على المؤلف في إكثاره من الآثار التي في رأى المحقق لا تنهض حجة في باب العقيدة، فيقول "وقد يعذر له بأن المقصود من إيراد هذه الآثار في باب العقيدة ليس الاستدلال أو التأييد بها، وإنما هو بيان موقف السلف الصالح من هذه الأمة من تلك الآثار التي ذكرها المؤلف فهو من باب التأكيد لا التأييد والاستدلال".[15]

ومن الملاحظ أن الدكتور المباركفوري كان يتمسك بالعقيدة السلفية بقوة ويدعو إلى اتباع منهج السلف الصالح في هذا الباب ويتحمس للدفاع عنه تحمساً شديداً ويرد على كل عقيدة يراها ضالة ومنحرفة ردا عنيفا ولا يخاف في ذلك لومة لائم، وملامح ذلك

موجودة بكثرة في جميع كتاباته عامة وفي هذا الكتاب خاصة فعلى سبيل المثال، إنه يكتب عن آثار حركة الترجمة في العهد العباسي فيقول "ومما يؤسف له هنا أن الترجمة لم تقتصر على النافع منها في القضايا الدنيوية التي كان المجتمع الإسلامي في حاجة إليها بل تدخلت في الإلهيات والأمور الغيبية الاعتقادية التي تركت وراءها آثارا سيئة إذ نشأت منها أفكار وعقائد تخالف العقيدة الصحيحة التي جاء بها الكتاب والسنة وساعدت في ظهور النحل والمذاهب المختلفة".[16] ويكتب في موضع آخر عن خدمات أصحاب العقيدة السلفية في أصبهان في عصر المؤلف "قد اجتمع في هذا العهد في أصبهان من أصحاب العقيدة السلفية عدد كبير.... وكانت أصبهان معقلاً حصيناً لأهل السنة والجماعة ولأصحاب العقيدة السلفية.... ثم كيف آلت إلى أن صارت مبعثاً للبدع والخرافات، والسلطة فيها في أيدي المبتدعين من غلاة الروافض، ويعامل فيها أهل السنة والجماعة بما لا يخفى على أحد من القتل والتشريد والتضييق".[17] ويكتب أيضاً "وهذه هي شيمة المخالفين لمن أثبت لله تعالى كل ما جاء في الكتاب والسنة الصحيحة الثابتة من الأسماء والصفات دون تأويل أو تعطيل أو تشبيه أو تكييف- فإنهم يرمونهم بالتجسيم والتشبيه، ويسمونهم بالمجسمة والمشبهة وغير ذلك من التسميات التي تنفر الناس عنهم. كما نرى ذلك في هذا العصر في كتابات الكوثري ومن على شاكلته، فإنهم لا يتورعون عن تسمية المثبتين لصفات الرب من أمثال الدارمي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم بالمجسمة والمشبهة والحشوية".[18]

ومن أثر هذا الانحياز للعقيدة السلفية والتحمس للدفاع عنها أننا نرى المحقق يستطرد أحيانا في قسم الدراسة من هذا التحقيق عند الكلام عن موضوع يتعلق بالعقيدة الإسلامية أو أمر يخالف منهج السلف الصالح، فنراه يقوم بتوضيح العقيدة السلفية ومنهج السلف الصالح ويكرّره في مواضيع عدة في الكتاب ويطيل الكلام عنهما حتى وإن كان المقام لا يقتضي ذلك. فعلى سبيل المثال لا الحصر، إنه أتى ببحث مطول عن الإسرائيليات وحكم روايتها عند السلف الصالح أثناء تسجيل مآخذه على الكتاب.[19] وهذا البحث الطويل وإن كان له من القيمة العلمية ما لا يمكن الإعراض عنه، ولكن المقام لم يكن بحاجة إلى هذا الاستطراد والإطالة.

وبالرغم من هذا الانحياز للعقيدة السلفية فإن هذا التحقيق في مجمله يتصف بالعلمية والدقة والموضوعية والموثوقية والصدق والأمانة، وادخر فيه المحقق معلومات كثيرة

نافعة شاملة معتبرة ببالغ من التحقيق والتدقيق والبحث والتمحيص، واستفاد فيه من المصادر المتنوعة الموثوق بها لتأييد أقواله وآرائه.

وأما من ناحية اللغة والتعبير فيمتاز أسلوبه، لاسيما في قسم الدراسة من هذا الكتاب، باستخدام الألفاظ السهلة، والتجنب من التعبيرات بعيدة الفهم، والبعد من الغموض في المعاني، والابتعاد عن السجع والصنعة، وعبارته وافية بالغرض ولا يشعر القارئ فيها خللا في التركيب أو نقصا في التعبير، بل إنه يتمتع بالقراءة ولا يواجه مشكلة في فهمها، وذلك لأن الدكتور المباركفوري كان يكثر من مطالعة الكتب، وحصل على شهادة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه من الجامعة الإسلامية بمدينة المنورة، واستفاد من أكابر علمائها كما أنه تلمذ على علامة الزمان تقي الدين الهلالي، أستاذ ابى الحسن علي الندوي وسليمان الندوي وغيرهم من الشخصيات الفذة في الهند، وحصل منه على أسرار اللغة العربية،[20] فكان من الطبيعي أن ينعكس أثر كل هذا في أسلوب كتاباته.

الخاتمة: قد يقول قائل إن التحقيق عمل يقدر عليه كل واحد، ولو كان رجلا عاديا ذا ثقافة عادية، وهذا كلام قد يكون له شيء من الصحة، ولكن لا يمكن أن يؤخذ على عمومه، فإن هناك بعض المخطوطات في بعض الفنون يأخذ من المحقق ما لا يأخذه البحث من الباحث من الجهد وعناء البحث والوقت. لا سيما المخطوطات في العقيدة تختلف تماماً عن المخطوطات الأخرى، فإنها تتطلب من الطالب أن يوليها من الدقة والعناية والبحث والتنقيب شيئاً كثيراً، حيث لا تفوت عليه قضية من القضايا تخالف الكتاب والسنة. فهذا حقل علمي صعب شاق بدون شك، ولا يجيده إلا شخص محب للتراث، ومخلص لأمجاد الأجداد، ومتحلي بالأمانة العلمية، ومتمكن من العلوم الشرعية واللغوية ومتسلح بالمهارة والإتقان، وملم بالقواعد والضوابط الخاصة بهذا الفن. وتحقيق الدكتور المباركفوري هذا خير دليل على أن هذه الصفات توافرت في شخصيته على وجه أتم حيث إنه اختار أسلوبا عصريا وطريقة علمية متصفة بالأمانة والدقة في دراسته وتحقيقه لهذا الكتاب واعتمد على المصادر الأصيلة الموثوقة وقام ببالغ من التحقيق والتدقيق والبحث والتمحيص للوصول إلى السداد والصواب.

الهوامش

[1] راجع للتفصيل عنه ورقتي في العدد الأخير من هذه المجلة بعنوان "الدكتور رضاء الله المباركفوري في ضوء كتاباته العربية" ص: 155.

[2] المباركفوري، د. رضاء الله، **دراسة وتحقيق كتاب العظمة للأصفهاني**، (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1408هـ) ص: 56.
[3] **المرجع نفسه**، ص:71.
[4] **المرجع نفسه**، ص:71.
[5] **المرجع نفسه**، ص: 128.
[6] **المرجع نفسه**، ص: 9.
[7] **المرجع نفسه**، ص: 10.
[8] **المرجع نفسه**، ص: 107.
[9] **المرجع نفسه**، ص: 60.
[10] **المرجع نفسه**، ص: 54.
[11] **المرجع نفسه**، ص: 109.
[12] **المرجع نفسه**، ص: 97.
[13] **المرجع نفسه**، ص: 130.
[14] **المرجع نفسه**، ص: 132.
[15] **المرجع نفسه**، ص: 146.
[16] **المرجع نفسه**، ص: 28.
[17] **المرجع نفسه**، ص: 36.
[18] **المرجع نفسه**، ص: 41 (حاشية).
[19] **المرجع نفسه**، ص: 38.
[20] الفريوائي، عبد الرحمن عبد الجبار، **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة** (بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ط2، 1406هـ) ص: 182.

المصادر والمراجع

- الفريوائي، عبد الرحمن عبد الجبار. **جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة، ط2**. بنارس: إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، 1406هـ.
- المباركفوري، د. رضاء الله. **أحكام الجنائز، ط1. (تعريب)**، نيو دلهي: مكتبة ترجمان، 1427هـ.
- المباركفوري، د. رضاء الله. **دراسة وتحقيق كتاب العظمة للأصفهاني**، ط1. الرياض: دار العاصمة، 1408هـ.

آليات السرد الحديثة في الفضاء الرقمي: رواية فيسبوكية "على بعد مليمتر واحد فقط" أنموذجا

د. محمد فوّاز. ك*
favasmvr@gmail.com

ملخص البحث: السرد ظاهرة تتنوع وتتعمق حسب السياقات، كلما يتولد السرد من وسائل صياغة النص المختلفة والظروف المتنوعة تتغير أساليبها وتقنياتها كما تختلف دلائلها ومعانيها، فإن آليات السرد في الإبداعات التي تشكلت من الفضاء الرقمي (Digital Space) متميزة بنظيرها الورقي بما فيها خصائص وسمات شتى في البناء الفني السردي. حيث تتوفر في السرديات في الفضاء الرقمي التقنيات السردية الحديثة مثل "الواجهة الرقمية" (Digital Outlook) والنص المتفرع (Hypertext) و"التفاعلية" (Interactivity) "الصورة" و"اللون" و"الحركة" وغيرها من المميزات من ناحية الشكل، أما على مستوى المضمون يتميز السرد الرقمي بغاية الواقعية الحقيقية والافتراضية. تتمثل الروايات التي تم صياغتها عن طريق موقع الفيسبوك في هذا الصدد، ولعلها خير مثال لتوظيف آليات السرد الحديثة في إبداع النص الروائي العربي. تتخذ هذه الورقة البحثية رواية "على بعد ملمتر واحد فقط" عينة المسح ليرصد خصائصها وسماتها والجمالية في البناء الفني من منظور الأدب الرقمي، ستركّز الدراسة على تقنيات السرد وجماليتها ومميزات الوسيط الرقمي في تأليف النص وتلقيها.

كلمات مفتاحية: آليات *السرد الحديثة، الفضاء الرقمي، الأدب الرقمي، رواية فيسبوكية، عبد الواحد استيتو، على بعد مليمتر واحد فقط*

المقدمة: لقد أحدثت التكنولوجيا الحديثة تغييرا جوهريا في صياغة النص وتلقيها من حيث الشكل، مما جعلت تبدّل معايير الإبداع والاتقان في تكوين النص الأدبي، لما تشكل الأدب من فضاء العالم الإلكتروني تنوعت سماتها ودلائلها من حيث الشكل والمضمون، على صعيد الشكل تم توظيف واستثمار معطيات التكنولوجيا نحو الأجهزة الذكية

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية بكلية أنوار الإسلام العربية بكونيل، ملابورام، كيرلا

والإنترنت والرابط المتفرع وغيرها، واصطبغ السرد بصبغة عصرية في الحوار مثل تشات أو الدردشة واستخدام الرموز واللغة الإنترنيتية، فالقائمة تطول ولا تنحصر في بنود خاصة، ولعل الأدب الرقمي خير مثال لهذا التغير والإبداع، هو كل نص أدبي نشأ وترعرع في بيئة إلكترونية كما عرفه بعض متخصصي الأدب الإلكتروني في الساحة العربية[1]. له فروع وأشكال متعددة في الفضاء الرقمي، ومنها ما تعرف بالرواية الفيسبوكية.

الرواية الفيسبوكية وواقعها في الأدب العربي

الرواية الفيسبوكية نمط جديد من أنماط الأدب الظاهرة في الفضاء الرقمي، يكون فيها الإطار موقع "الفيسبوك" للإبداع والنشر، وينبع هذا الشكل الروائي من العالم الافتراضي الحي، فتتميز بجوانبها الفنية والجمالية والتقنية بما فيها توظيف المؤثرات السمعية والبصرية وغيرها، وتأتي هذه الروايات بصفة التفاعلية، ولذا اعتبرها النقاد رواية تفاعلية من الطابع الرقمي.

في ساحة الأدب العربي قلت النماذج في نوع الرواية الفيسبوكية، يعتبر الكاتب المغربي "عبد الواحد استيتو" رائد هذا الشكل الروائي وصاحب تجربة أول رواية عربية فيسبوكية في العالم العربي، عنوانها "على بعد ملمتر واحد أو زهراليزا"، كما يقول الكاتب بنفسه: "أول رواية عربية تفاعلية تكتب على الفيسبوك فصلا بفصل"[2]، تحقق الكاتب -بلا منازع- نجاحا عظيما في تقديم رواية عربية أولى في نوعها، إقبالها العظيم من قبل القراء والمتلقين جعل الروائي أن يكرّس جهوده في هذا المجال ويأتي بروايته الثانية المعنونة بـ"المتشرد" والثالثة الموسومة بـ"الدببة"، روايته الرابعة عمل مشترك مع الكاتبة السودانية آن الصافي، بعنوان "في حضرتهم". وهي على قيد التشكل والنشر.

تشكيل رواية "على بعد مليمتر واحد فقط"

انطلقت هذه الرواية من فكرة قصة قصيرة لدى الكاتب، ثم تطورت حتى أضحت رواية مستقلة متميزة في الإبداع، يتحدث المبدع استيتو عنها قائلا: "ما حدث هو أنّني كتبت بداية قصة قصيرة على جدار الفيسبوك الخاص بي)، لكنني لم أكملها ووعدت القرّاء بأن أنهيها فيما بعد، بعد هذه تفاجأت بكم القراء الذين ينتظرون التتمة، عندما جاءتني فكرة تحويل ذات القصة إلى رواية طويلة ومع الإمكانيات التفاعلية الرهيبة التي يوفّرها (الفيسبوك) بدأت الفكرة تتضخم أكثر وتأخذ أبعادا تفاعلية كبيرة"[3].

يستهّل إبداع الرواية بإنشاء صفحة على الفيسبوك باسم الرواية نفسه، ثم قام المبدع بوضع صورة تعريفية للصفحة لتعبر عن جنس الرواية كما هو موضح في صورة الشاشة أدناه.

ثم نشر الكاتب روايته فصلا بعد فصل على تلك الصفحة في كل يومين تقريبا، بعد كل فصل تفاعل متابعو الصفحة والمتلقون مع النص بطرح الاقتراحات والتعليقات على أحداث الرواية وسيرورتها، حتى في بعض الأحيان يشاركون في تغيير الأحداث في الرواية – كما نناقش فيما بعد- لقد استخدمت الكاتب كل التقنيات والآليات المتوفرة في الفيسبوك لإكمال روايته في أحسن الوجه - كما سنرصدها تفصيلا فيما يتعلق بتقنيات السرد في الرواية – هو حقا يجعل منها إبداعا يضاهي إبداع لغته.

مرت الرواية بمراحل مختلفة في عملية الإبداع والنشر، الأول: مرحلة الإنتاج والإبداع؛ وهي مرحلة كتابة الرواية فصولا على صفحة الفيسبوك مع تفاعل القراء بشكل مباشر، والثاني: مرحلة ما بعد الإنتاج؛ وهي التي يعدّ فيها المبدع استيو الرواية للنشر الورقي، ويستمر التفاعل مع القراء في هذه المرحلة أيضا، حيث يقبل منهم الاقتراحات لاختيار العنوان وصورة الغلاف. والثالث: إرسال الكاتب روايته عبر البريد الإلكتروني لكل من طلبها في موقع فيسبوك، هذه الرواية مكتوبة تماما في هذه المرحلة وهي ترسل بصيغة بي دي اف بدون تفاعلات القراء، والرابع: النسخة الورقية في الرواية: تم نشر الرواية بصيغة ورقية نظرا إلى اهتمام القراء بهذه الرواية ورواجها وطلب المتلقين أن ينشرها ورقيا.[4]

الرواية منشورة فصولها على الرابط الإلكتروني (https: / /www.facebook.com /rewayaonline) وبمجرد النقر عليه

يمكن التعامل مع هذا العمل التجريبي.

مميزات اللغة في رواية "على بعد مليمتر واحد فقط"

ومن أهم ما يميّز أسلوب ولغة السرد في الرواية الأسلوب المباشر أو التعبير المباشر بعيدا من الغموض اللغوي والتعقيد المعنوي مهما كان في الكلمات أو تراكيب الجمل أو الوصف. يبدو أسلوب الخطاب المباشر (direct speech) ماثلا في بعض نصوص الرواية، هذا الأسلوب عام في النصوص الرسائلية، وهو القائم على مقومات الأسلوب الثلاثة: السرد والحوار والوصف.

يقول السارد في إحدى فصول الرواية: "عمّ الصمت من جديد، انتهى الصخب الإلكتروني كما بدأ. شعر ببعض الوحشة، لم يفهم كيف ملأت تلك المجهولة عالمة فجأة! ليس متسرعا أبدا، بل هو ممتلئ لحدّ التخمة بتجارب تجعله يكره التسرع"[5]. هذا المقطع وصف لحالة محمد، اللغة فيها فصيحة ونقية تماما، والكلمات والمفردات سهلة وبعيدة عن التعقيد اللغوي والغموض المعنوي، والتراكيب صحيحة من حيث اللغة ومميزة بجودتها وأدائها. أحيانا ظهرت الكلمات الفصيحة الرائعة في صورة شعرية إيقاعية أيضا، في الرواية يروي السارد: "ليل طنجة يبدأ صمته الصاخب. يضع ذقنه على ظهر كفّه وهو ينظر إلى أضواء الميناء الناعسة التي عشقها دوما"[6].

لا بدّ الإشارة إلى المفردات والمصطلحات الرقمية التي وظفت في السرد نتيجة لتصوير الواقع الافتراضي في الروايات. توقفنا عند مفهومها ودلالاتها ببيان في الفصول السابقة، على كل حال، في رواية "على بعد مليمتر واحد فقط" نجد مفردات، نحو: "الفيسبوك"، "الافتراضية"، "رسالة فيسبوكية"، "الدردشة"، "الصخب الإلكتروني"، "زرّ الفأرة"، "لوحة المفاتيح"، "جدار الفيسبوك" وما إلى ذلك من مفردات الإنترنيت والحاسوب.

آليات السرد الحديثة في "على بعد مليمتر واحد فقط"

تتميز رواية "على بعد مليمتر واحد فقط" عن نظيرها الورقي بما يكمن في فصولها أو فضاءها من خصائص المؤثرات البصرية والسمعية. لقد وظّف المبدع تقنيات الواجهة الرقمية والصورة والصوت في تشكيل الرواية، هو يقوم بإبداعين، الإبداع في الكتابة

والإبداع في الإخراج، ولذا استعمل بعض النقاد مصطلح "المبدع" محل "الكاتب" لهؤلاء الأدباء، لأن دوره لم يكن مقصور على الكتابة فقط، بل يتعدى إلى الإبداع بواسطة استخدام الحاسوب والانترنت[7] .سنوضح تقنيات السرد الرقمية المذكورة في الرواية فيما يلي.

الواجهة الرقمية: تعتبر الواجهة الرقمية عتبة نصية رئيسية في رواية تشكلت في الفضاء الرقمي، لا يمكن فصلها عن الرواية على المستوى القرائي بحيث أنها تقوم باختزال المتن السردي. تعتمد رواية "على بعد مليمتر واحد فقط" على واجهة رئيسية ذات دلالات متنوعة كما توضحها صورة الشاشة التالية، وهي تشتمل على أيقونات علاماتي توصّلنا إلى فكرة موضوع الرواية.

هذه الواجهة تتضمن صورة الفتاة التي تحيلنا إلى شخصية "الموناليزا" أو الزهرليزا" المغربية، والتي هي شكلت بناء موضوعيا محوريا في حدث الرواية، كما تشتمل تصميم ميناء طنجة ليلا، كان لهذا المكان أثر كبير في سياق نص الرواية، ولا سيما في نفسية البطل، وهذا ما يعكس الفصلان (الثالث عشر، والثالث والعشرين). لقد وضّحت الواجهة اسم المؤلف، وعنوان الرواية بذكر خصوصية الرواية: "أول رواية عربية تفاعلية تكتب على فيسبوك فصلا بفصل"، ومن الملاحظ أن الواجهة حددت من أيقوناتها المكانين: "الواقعي" و"الافتراضي" للشكل الروائي، حيث تشير صورة ميناء طنجة إلى مكان الرواية الواقعي، بينما كان الرابط الإلكتروني فيها (https://www.facebook.com/rewayaonline) يلمح إلى مكان الرواية الافتراضي. ما سبق يؤكد القول بأن الواجهة عتبة نصية مهمة ذات ملامح وأبعاد متعددة، كما لها وظائف تحيل وتعين الأوصاف التي تتصف بها.

الصورة: للصورة مكانة عظيمة في عالم الفضاء الرقمي، حيث أصبحت الصورة خطابا موازيا لخطاب الكلمة [8]، وكأن كل شيء مع تقنية الفضاء الرقمي صار صورة، الشخصيات نفسها في هذا العالم الرقمي ما هي الا صورة أو ايقونة، فممّا لا شك أن تأتي الصورة قوية الحضور في متن رواية قدمت في الفضاء الرقمي، إلى جانب الكلمة السردية، الأهداف من وراء جلب الصورة في النص الرقمي هي "تعزيز النصّ أو إضافة

المزيد من البدائل لتوضيح المعنى للقارئ، ويمكن للصورة أن تجعل النصّ أكثر إثارة وتشويقا"[9].

لقد وظف عبد الواحد استيتو الصورة في إبداعه بشكل جيد، وذلك بدلا من الاستطراد في وصف الأماكن والمشاهد، حيث أدرج الكاتب المبدع صورا واقعية لأماكن متعددة. وقد كان من تلك الصور الموظفة، صورة مدينة طنجة وميناءها وصورة المتحف الأمريكي المغربي والمقهى الذي تتلاقى فيها خالد ومحمد وهكذا أماكن متنوعة في بلجيكا، نحو شاطئ بلايادي بولونيا بمدينة كاديس، الذي وصل إليه خالد بعد تحطم قاربه وكذا صورة بلدة واترلو البلجيكية. لقد ساعدت هذه الصور لربط القراء بهذه الأماكن، ومما يفهم من هذا التوظيف، كأنه يريد إقناع القارئ بواقعية الأحداث، كانت الصور الموظفة في الرواية عبارة عن الإيهام بواقعية السرد.

ومن الجدير بالذكر أن هذا الأمر حقق تعاطفا كبيرا وحبا جما من قبل القراء، حيث أظهروا إعجابهم في التعليقات. هم كانوا مشاركين في اختيار وتصميم الصور حسب مناسبة النص، لما نشر المؤلف صورة السجن والموناليزا المزيفة بادر القراء أن يتفاعلوا معها عن طريق تعليقاتهم من شتى النواحي.

يمكننا تقسيم الصور التي نرى في هذه الرواية الرسائلية الفيسبوكية إلى ثلاثة أشكال:[10] ، الأول؛ صور الأماكن التي وردت في الرواية، الثاني: صور خاصة بمشهد أو لقطة من داخل الرواية، (مثل صورة المركب المزدحم الذي سافر فيه خالد) والثالث: صور توازي لأحداث ووقائع الرواية، هي كل الصور في الرواية التي تتعلق بالرواية نفسها بشكل غير مباشر، ومن بين الأمثلة فيها صور المؤلف أثناء الكتابة، يوجد فيه صورة الكاتب وهو يجلس أمام الشاشة لكتابة فصل من الرواية كما يتضمن هذا النمط صور إعلانية لهذه الرواية[11] .

فيمكننا القول – بناء على ما سبق- بأن الصورة واحدة من أبرز البنى الرئيسية في العمل الروائي الرسائلي النابع عن الفيسبوك، هي إبداع موازي لإبداع الكلمات في العمل التفاعلي.

توظيف تقنية الصوت: وظّف الراقمون (مبدعو الأدب الرقمي) الصوت المادي في إبداعاتهم إلى جانب توظيف الصورة، يتمثل الصوت في الأغاني والموسيقى، ومقاطع الفيديو، وذلك لجعل التجارب الرقمية أكثر إيقاعا ومسموعا ومؤثرا. بناء على ذلك

يتوقف القارئ عند الصوت الموظف في النص الأدبي وفي توقيت توظيفها ومدى مناسبتها للنص من حيث بنيته الكلية العامة وبنيته الجزئية المختلفة، ولا بد أن يكون مناسبا للكلمة والمعنى[12].

يرى النقاد والباحثون توظيف الصوت من المستويين: الأول؛ المستوى الداخلي، حيث يتحقق توظيف الصوت في متن الرواية أما الثاني هو: المستوى الخارجي، حيث يكون توظيفه في إطار عام للعمل الروائي، يعني أنه قابل للتحميل والتشغيل أثناء القراءة[13]. في روايتنا المختارة نجد المستوى الخارجي لتوظيف الصوت، حيث تمثل الصوت في مقاطع الفيديو وإرفاق روابط بعض الأغاني، كلها وردت خارج المتن السردي من قبل المبدع استيتو، تساعد هذه الفيديوهات القراء أن يستحضروا المشاهد السردية في متن الرواية كما تثير الإغراء والإثارة في متابعة العمل وقراءته.

فعلى سبيل المثال، في الفصل الثالث عشر نرى مشهدا سرديا حول رحلة خالد إلى بلجيكا، هو يستمع إلى الأغاني عن طنجة أثناء هذه الرحلة، بعد نشر هذا الفصل في صفحة الفيسبوك تفاعل معه القراء، فأضاف المؤلّف نص الأغنية وموسيقاها في نفس الصفحة كاتبا عنوانها "الأغنية التي كان يستمع لها خالد في الطائرة أثناء توجهه إلى بلجيكا... شاركوه أحاسيسه"، في الحقيقة هذه الأغنية تتفق مع سياق النص الروائي.

لقد ازداد هذا التوظيف في الرواية، حيث يقوم المؤلّف بتوظيف الفيديوهات الخاصة بالمتحف الأمريكي ولوحة الزهرليزا، كما يحيل القرّاء إلى فيديوهات على موقع اليوتيوب مثل فيديو يتحدث عن مدينة طنجة ومعالمها، ورابط الفيديو للأغنية الحزينة "لونلي لونلي ما نداي مورنين" بصوت مغنيها الأصلي[14]، وذلك كلها لتقريب القراء إلى موضوع الرواية وعالمها. لقد عمل المؤلف على تحويل الرواية إلى فيديو غنائي قليل الحجم بعد الانتهاء من كتابتها، بعنوان "طنجة حكات أغنية رواية على بعد مليميتر واحد فقط"، هذا الفيديو الغنائي متوفر في اليوتيوب[15].

ما سبق يعزز القول بأن الصوت والصورة لم تكن مجرد تزين للرواية، بل كانت جزءا رئيسيا للعمل، ومقوّما مهما ومكونا أساسيا لمعرفة دلالة هذه التجربة التفاعلية، كانت إبداع يوازي الإبداع الأصلي للكلمة والنص.

تقنية السرد "التفاعلية" في الرواية: لعل سمة التفاعلية (Interactivity) من أبرز

مميزات وسمات النصوص الرقمية بشكل عام ونصوص الروايات الرسائلية الرقمية بشكل خاص، تُعنى التفاعلية بقدرة النص على التفاعل مع القارئ أو تفاعل القارئ معها. هذه الميزة غير متوفرة في نص نشأ في بيئة ورقية تماما، يتخذ هذا التفاعل أشكالا متعددة في النصوص الرقمية، وذلك حسب تقنية البناء السردي وتوظيف تقنيات التفاعل.

تنطلق سمة "التفاعلية" في رواية "على بعد مليميتر واحد فقط" من طراز جديد يسيطر على صياغة أجزاء النص، كانت هذه الرواية دعوة صريحة إلى القراء للتفاعل معها، ولذا هي اتخذت الفيسبوك وسيلة لإبداعه، كلما ينشر الروائي منشورا في صفحة الفيسبوك (الفصل من الرواية) تعقبها التعليقات والإعجابات والآراء والتعقيبات، فكان الكاتب حريصا في الرد على أهم التعليقات منها ويراعيها في الفصول القادمة.

لقد أثّرت تفاعلات القراء وملاحظاتهم وآرائهم وانطباعاتهم في فكرة الرواية وراودت أفكار الكاتب والتي أدت إلى تغير تفاصيل الرواية، كأن التفاعل كلمة السر في هذه الرواية[16]. لما نرى متابعي الصفحة الذين يتعدى عددهم إلى أكثر من 7000 متابع نشعر بأنه يصبح جنس أدبي جديد يشكّل المتلقي فيه محورا رئيسيا في سياق النص. يمكن لنا حصر التفاعلية في نمطين: الأول: استراتيجية المؤلف لاستطلاع الرأي وطرح التساؤلات وتقديم الإرشادات كي تجذب القراء وتجعلهم خائضين في التجربة وحاضرين في تشكيل مسار النص، أما الثاني، فهو متعلق بالقراء من خلال تعليقاتهم، هم يعرضون وجهات نظرهم وآرائهم حول أهم القضايا والمحاور المطروحة في حبكة الرواية.

النمط الأول كان من أبرز الاستراتيجيات التي استخدمها الكاتب في تشكيل الرواية، حيث استخدمه في كثير من مسارات الرواية، فيطرح السؤال حول الأحداث القادمة في سياق الرواية، وكيف يريد القراء أن يرتب تلك الأحداث بعد ذلك، ومن صور التفاعل في هذه الرواية: تفاعل الكاتب مع القراء بواسطة الصور والفيديوهات التي ترسم مشاهد الرواية بكل الوضوح، تم إدراج تلك الصور والفيديوهات عن طريق التفاعل بطرح السؤال إلى المتلقين أو باستطلاع الرأي، ومن ذلك نشر الكاتب صورة ميناء طنجة في الليل مصورا ما يبدو لخالد من نافذة الغرفة (الصورة مرفقة في الملاحق)، ومطرحا

هذا السؤال كتعليق للبوست: "هل أثارت أضواؤه الناعسة شيئا في مشاعركم كما فعلت معه؟"[17]، توالت ردود القراء وتفاعلاتهم لهذا المنشور بشكل كبير.

النمط الثاني الذي يمثّل التفاعلية في الرواية جاء صريحا في تعليقات القراء مع ما نشر وكتب في الصفحة. تعطي هذه التعليقات دلالات موازية للنص الأصلي كما تشتمل فيها وجهات نظر جديدة توفّر النص تعددية صوتية، وقد تعددت هذه التعليقات، بعضها جاءت في صورة الثناء والتهاني، مثل: ("رائع جدا" "فصل مشوق وجميل"، "رائع جدا"، "ما أجمل قصصك وما أروعها").

يتضح مما سبق أن رواية "على بعد مليمتر واحد فقط" تتميز بصور تفاعلية متعددة على مستوى الإبداع والتلقي، حيث اعتمدت الرواية على القراء بصورة فائقة واعتبرتهم جزءا لا يتجزأ في نسيج العمل التفاعلي. ولا شك هذا الأمر الذي أدّى المؤلف إلى تسجيل على غلاف الرواية بأنها أول رواية تفاعلية تكونت من الفيسبوك، وكانت التفاعلية من أهم جماليات هذه التجربة الروائية، وهذا ما يبدو لنا في تعقيب القراء على سؤال المؤلف بعد انتهاء من التجربة: "ما الذي أعجبكم في رواية "على بعد مليمتر واحد فقط" اللغة، الحبكة، الواقعية، أو وجود مدينة طنجة، التفاعلية باعتبارها أول رواية تكتب على الفيسبوك؟"[18].

الخاتمة: إن النص الأدبي الذي نتج عن وسائل التكنولوجيا وآليات التواصل الجديدة قد اتخذ أسلوبا جديدا في إبداع النص الأدبي من ناحية الشكل مختلفا عن نظيره الورقي الذي يتشكل سرده على العناصر السردية التقليدية مثل المكان والزمان والشخصيات وما إليها، ومن أهم ما يبرز لنا منه ولا سيما بعد قراءة الأدب الإلكتروني، كل من الواجهة الرقمية والنص المتفرع وتوظيف الصوت والحركة والصورة وغيرها من المؤثرات السمعية والبصرية. فالرواية الفيسبوكية تتمثل هذا التغير الذي يواكب العصر، تتميز باكورة الأعمال في هذا الفرع "على بعد مليمتر واحد فقط" بتقنيات افتراضية مثل الواجهة الرئيسية والصورة والصوت وغيرها من العناصر السردية الرقمية، وكأن الصورة والصوت فيها موازية لخطاب الكلمة، والرواية رقمية وتفاعلية من حيث توظيف المشاهد الرقمية وتسريدها في بنية الحكاية. لقد اهتمت الرواية القارئ اهتماما كبيرا، دوره متمثل في صناعة النص وترتيبها من خلال

استطلاعات الرأي والتعليقات والتعقيبات.

الهوامش

[1] ريهام، دكتورة حسني. "من الدادا إلى الجافا: الأدب الإلكتروني بين النشأة والتطوّر"، مقالة منشورة في **موقع أكاديمية اي دي يو**، ص: 7 .

[3] انظر: https://www.facebook.com/rewayaonline

[4] مقابلة مع الكاتب، موقع جريدة الأخبار، 2013م.

[5] شنقار، أسماء إبراهيم. "الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي: رواية (على بعد مليمتر واحد) نموذجا"، **مجلة سياقات اللغة والدارسات البينية**، أبريل 2017م، ع5، ص: 389.

[5] على بعد مليمتر واحد فقط، مصدر سابق، الفصل الثاني.

[6] على بعد مليمتر واحد فقط، الفصل الثالث، الرابط: https://www.facebook.com/rewayaonline

[6] يقطين، الدكتور سعيد. **من النصّ إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ط1**، بيروت: المركز الثقافي العربي، 2008م، ص: 47.

[8] شنقار، أسماء إبراهيم. "الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي: رواية (على بعد مليمتر واحد) نموذجا"، **مجلة سياقات اللغة والدارسات البينية**، أبريل 2017م، ع5، ص: 15.

[9] فاطمة، البريكي. الكتابة والتكنولوجيا، مرجع سابق، ص: 81.

[10] شنقار، أسماء إبراهيم. "الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي: رواية (على بعد مليمتر واحد) نموذجا"، **مجلة سياقات اللغة والدارسات البينية**، أبريل 2017م، ع5، ص: 396.

[11] استيتو، عبد الواحد. على بعد مليمتر واحد فقط، مصدر سابق، الفصل الخامس.

[12] انظر: فاطمة البريكي، الكتابة والتكنولوجيا، مرجع سابق، ص: 84.

[13] حسين، د. محمود. الورقي والرقمي، مرجع سابق، ص: 355.

[14] استيتو، عبد الواحد. على بعد مليمتر واحد فقط، الفصل الثالث، رابط الأغنية: https://tinyurl.com/u3nya8h9

[15] رابط الفيديو: https://www.youtube.com/watch?v=HtSE6xM-PpU

[16] انظر: اسيتتو يتفاعل فيسبوكيا مع قرائه "على بعد مليمتر واحد فقط"، تاريخ النشر: 09 يناير 2013م، موقع الطنجة، الرابط: https://tinyurl.com/2p8h3rvy

[17] المصدر السابق، الفصل الخامس.

[18] على بعد مليمتر واحد فقط، صفحة الفيسبوك، مصدر سابق.

المصادر والمراجع

- استيتو، عبد الواحد. على بعد مليمتر واحد فقط، 2013م، على الرابط الإلكتروني: https: / /www.facebook.com /rewayaonline
- يقطين، الدكتور سعيد. **من النصّ إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، ط1.** بيروت: المركز الثقافي العربي، 2008م.
- جمعة، مصطفى عطية. الرواية العربية والفضاء الإلكتروني، أعمال المؤتمر الدولي: الرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر 21-22 أغسطس 2016م.
- شنقار، أسماء إبراهيم. "الرواية الفيسبوكية العربية بين الإبداع والتلقي: رواية "على بعد مليميتر واحد" نموذجا"، **مجلة سياقات اللغة والدارسات البينية**، ع5، أبريل 2017م.

قضايا مسرحية الأطفال في الأردن في القرن الحادي والعشرين

مسرحية "خضراء يا بلادي خضراء" نموذجا

محمد مظهر *
mazharjamali@gmail.com

ملخص البحث: *مسرح الأطفال هو مرآة الحياة حيث تعكس صورة المجتمع، فهو يساعد كل إنسان أن يفهم الحياة والعالم. وهو وصف أدبي يعالج مشكلات الأطفال، وينمي مشاعرهم وأحاسيسهم، إضافة إلى أنه لون من ألوان الفنون الأدبية.*

أن نشأة مسرح الطفل وبداياته في الأردن، لم تكن بأفضل حال من بدايات مسرح الطفل في العالم والدول العربية في العصر الحديث، لاسيما أن الأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية قامت بدور واضح في تأخر ظهور إبداعات المبدعين في هذا المجال.

بدأت مسيرة مسرح الطفل في الأردن عام 1971م، بمسرحية "عنبرة والساحرة"حين قدمت على مسرح الواصفية وعلى إثرها تم تأسيس مسرح الأطفال في الأردن عام 1971م، في دائرة الثقافة والفنون، وكان الهدف من تأسيسه إيجاد عمل مسرحي وجمهور مسرحي في البلاد.

رغم الإمكانيات المحدودة التي تحد من نشاط أدب الأطفال، إلا أن مسرح الأطفال في الأردن، بكل أبعاده الأدبية والإبداعية، بدأ في ثمانينيات القرن الماضي ليأخذ خطوات جادة، وأظهر مسرح الأطفال ازدهاره مع المسرحيات والعروض المتتالية. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي حالة وقضايا مسرح الطفل الأردني في القرن الحادي والعشرين؟ سيحاول هذا البحث الإجابة عليه. ويقدم كيفية مسرح الأطفال في الأردن بالتركيز الخاص على ***مسرحية "خضراء يا بلادي خضراء"*** *للكاتب يوسف الغزوة.*

وفي هذا الصدد تعتبر الدراسة أن المحتوى المسرحي للطفل يعني: نصوص المسرح الأدبي للطفل ومعانيها وأفكارها وقيمها في كافة المجالات الدينية أو الوطنية أو الاجتماعية أو العلمية بهدف إيصالها إلى المجتمع. وجاءت محتوياته الأدبية حول قضايا تعكس هموم المجتمع العربي عامة والأردن بشكل خاص لمعالجة العديد من القضايا المتعلقة بالإنسانية.

كلمات مفتاحية: *الأردن، قضايا، مسرحية الطفل، مسرحية خضراء يا بلادي خضراء*

المقدمة: يشير مصطلح "مسرحية الطفل" إلى العروض الموجهة إلى جمهور من الأطفال واليافعيين، التي يقدمها الأطفال أو الكبار، وتتراوح أهدافهم وغاياتهم بين التعليم والتثقيف والترفيه والترويح عن النفس. قد يشمل الاسم عروض الدمى التي يتم توجيه أعمالها عادةً إلى الأطفال. يُعلم المسرح بعدة تعريفات منها: "مرآة الحياة حيث تعكس صورة المجتمع؛ فهو يساعد كل إنسان أن يفهم الحياة والعالم. ووصف أدبي يعالج مشكلات الأطفال، وينمي مشاعرهم وأحاسيسهم، إضافة إلى أنه لون من ألوان الفنون الأدبية "[1].

مسرحية الأطفال في الأردن: "وعلى الرغم من وجود معالم أثرية للمسرح في الأردن، ممثلة بالمدرجات المسرحية التي لها صلة بالأنباط والرومان والأمويين، إلا أن نشأة مسرح الطفل وبداياته في الأردن، لم تكن بأفضل حال من بدايات مسرح الطفل في العالم والدول العربية في العصر الحديث"[2]، خاصة أن الأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لعبت دوراً واضحاً في تأخير ظهور إبداعات المبدعين في هذا المجال. وشهدت هذه المنطقة معارك سياسية وعسكرية صعبة قبل ولادة الأردن الحديث على يد الهاشميين كما نرى اليوم. على الرغم من المحاولات الأدبية للكتابة قد بدأها راضي عبد الهادي وعيسى الناعوري وواصف فاخوري وتغريد النجار وغيرهم في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، إلا أن هذه المحاولات اقتصرت على كتابة قصة أدبية للطفل بعيدة عن نشاط أدب مسرح الأطفال"[3]. يقول أبو معال عبد الفتاح: "بدأ مسرح الأطفال في الأردن في المدارس والجمعيات، والنوادي الخاصة بالأطفال"[4]. في راي مقدادي، "بجهود أفراد من المعلمين ومشرفي النوادي، والجمعيات والأندية ولم يبدأ في المسارح المتخصصة"[5]. وتقول عبير النواسية: "تشير الدراسات إلى أن مسرح الأطفال في الأردن بدأ بالمسرح العفوي، على يد مارجو ملتجيان"[6]. ووفق نظرية شهاب "لقد اقتصر مسرح الطفل في الأردن في بداياته على تجارب فردية بأنماط بدائية غير منظمة قد حكم عليها بالنجاح أو الفشل. وبمبادرة من الفنانة مارجو ملاتجليان بدأت مسيرة مسرح الطفل في الأردن عام 1971م، بمسرحية "عنبرة والساحرة حين قدمت على مسرح الواصفية"[7]، وعلى إثرها تم تأسيس مسرح الأطفال في الأردن عام 1971م في

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، الهند

دائرة الثقافة والفنون، وكان الهدف من تأسيسه إيجاد عمل مسرحي وجمهور مسرحي في البلاد[8]. هذا وقد قدمت مارجو ملاتجليان عشرين مسرحية للطفل خلال العشر السنوات الأولى من عمر مسرح الطفل الأردني كانت معظمها مترجمة عن الأدب الأجنبي ولم يحظ العمل الأردني إلا بمسرحيتين فقط. إضافة إلى تقديم عروض لعدة أعمال مسرحية آدمية وعرائسية تنتمي لمختلف البلدان العربية والأجنبية[9]. وزارت كثير من الفرق المسرحية العربية والعالمية للأطفال الأردن في فترة السبعينات من القرن العشرين، وعرضتها على خشبة المسرح الأردني منها: "مسرح العرائس السوري، الذي قدم مسرحية "دعوى للمرح" عام 1976م. ومسرح العرائس الروماني. ومسرح الدمى البلغاري"[10].

فبدأ المبدعون في ميدان المسرح والأدب المسرحي للطفل بإظهار مواهبهم وإبداعاتهم سواء على صعيد كتابات المسرحية للطفل الذي تمثل ببروز كتاب محليين أمثال: "محمود اسماعيل بدر، ونانسي باكير، ومنيرة شريح، وأكرم أبو الراغب، ووفاء قسوس، ويشير هواري، ومحمد ملص وغيرهم."[11]. أم على صعيد المتعاملين مع مسرح الطفل ببروز ممثلين ومخرجين مبدعين أمثال: "زهير النوباني، وربيع شهاب، وجميل عواد، وجوليت عواد وفؤاد الشوملي، وآخرون...ولذلك ظهرت عدة مسرحيات كان لها أبعادها التربوية والأخلاقية والقيمية مثل: مسرحية "الأمانة والكنز" ومسرحية "الثعلب الماكر" ومسرحية بيسان وغيرها ... "[12].

تأثير المسرح على الطفل: المسرح يساعد الطفل على اكتساب الثقة بالنفس، خاصة إذا كان الطفل منخرطًا بشكل مباشر في العمل المسرحي، من خلال الوقوف على خشبة المسرح للتمثيل أمام الجمهور. كما أنه شارك في تحسين نطقه أيضًا، ويبعدهم عن الخوف والعار.

يشارك المسرح في غرس روح التعاون والانضباط والنظام والعمل الجماعي لدى الطفل مع أقرانه، وتشبعه بالعادات والتقاليد والتراث الاجتماعي ونقلها من جيل إلى جيل. كما يبرز قدرته على رعاية الطفل في منحه القدرة على التكيف مع الحياة اليومية وزيادة إحساسه بوعي نفسه ومجتمعه وفهم واقعه. حيث يلتزم بموعد واحد من خلال مواعيد التدريب "البروفات" مع فريق العمل. وهو من أنجح الأساليب في مجال التأثير

والتربية الأخلاقية والسلوكية، وبالتالي يخلق في الطفل مجموعة من المعايير والقيم الدينية والسلوكية بعيدًا عن التلقين الممل.

قضايا مسرح الطفل الأردني: دور قضايا المسرحية ومحتواها في نمو وتطور العمل المسرحي للطفل، وفي رغبة الطفل في قراءته ومشاهدته لاحقًا، خاصة وأننا نعيش في عصر الفضائيات وتكنولوجيا المعلومات المتمثلة في الإنترنت وما لها من سحر وتأثير على الصغار والكبار مما يحد من اهتمام الطفل بقراءة هذه النصوص وقراءتها بما أنها تنافس العمل الأدبي المسرحي في عروضه، ومليئة بالمشاهد الملونة والمدبلجة التي تجذب الطفل، لذلك من أجل منع الطفل من ترك القراءة الأدبية بشكل عام والنص المسرحي بشكل خاص، لابد من التركيز على طريقة وأسلوب عرض القضايا المسرحية ومحتواها.

"كما تعد قضايا مسرح الطفل المحور الأساسي في تكوين الأدب المسرحي، فالكاتب حينما يشرع في كتابة النص المسرحي، فإن أول ما يحدده هو موضوع المسرحية أو قضاياها ومحتوياتها، قبل أن يحدد الشخصيات والحوار"[13]. وعليه فإن المسرحية بمحتواها هي الأكثر تأثيرا بين أنواع الفنون الأدبية في معالجة القضايا الإنسانية الشمولية المتعددة لكونها تتمتع بالشخصية المجسدة، يشغل وجدان الطفل ومعظم حواسه. كما يهدف المحتوى المسرحي إلى التقدم التربوي والحضاري والتعايش الاجتماعي وتعزيز الانتماء اللغوي والديني والوطني للطفل، مثلما يحقق هذا النوع من الأدب أهداف في إثراء خيال الطفل وإبداعه الأدبي[14].

مفهوم قضايا المسرح ومحتوياته: يجب أن تتمتع القضايا التي تتناولها المسرحية بالخصوصية من حيث الوضوح والتبسيط والتشويق، من حيث طول المسرحية والوقت الذي تستغرقه، والفئة التي توجه إليها الأعمال. لأن الأطفال لا يستطيعون التركيز لوقت طويل، وملهم يأتي بسرعة. إذا أخذت هذه الخصوصية بعين الاعتبار فإن العمل المسرحي يكون قريباً من الطفل ويؤثر عليه[15]، "يتناول الكتاب مفهوم القضايا أو المحتويات عموما، ليعبروا عما تحتويه النصوص الأدبية من معان وأفكار ومعلومات وقيم واتجاهات بشكل عام، يوصلها الكتاب إلى المتلقين للتأثير في سلوكياتهم"[16].

"وتكون عناصره وأدبياته واضحة للمتلقي، مما يجعل الفكرة أو الحادثة تصل إلى مدارك الطفل فتثري لغته وخياله، لكن هذا التبسيط لا يتهاوى بالعمل المسرحي

وقضاياه إلى حد الركاكة والابتذال، والسذاجة والاستخفاف بمدركات الطفل واتجاهاته وخياله الواسع والخصب، فينعكس سلبا على ما وظف من أجله"[17]. "وتتفق المسرحية في طرحها للقضايا الدينية والوطنية والاجتماعية ومعالجتها مع جميع أنواع العمل الأدبي من رواية وقصة وشعر، رغم اختلافها مع هذه الأنواع من حيث الشكل والأسلوب الأدبي والفني"[18].

أهم القضايا في مسرحية الأطفال الأردنية

القضايا الدينية والتاريخية: "إن تناول القيم الدينية من خلال أدبيات العمل المسرحي للطفل وتجسيد بعض الشخصيات الدينية، هو خير وسيلة التقويم النفس البشرية منذ الطفولة وحثها على السلوك السوي من صدق وأمانة وعدل"[19].

من أجل بناء الضمير الديني في عقل الطفل، لا بد من تعريفه بالمبادئ السمحة التي يدعو إليها الدين الإسلامي وكيف تم تطبيقها من خلال الأحداث التي مرت في أمتنا، وتعريفهم بالشخصيات الإسلامية التي كان لها بصمتها في تغيير تاريخ هذه الأمة ليكونوا قدوة لهم.

القضايا الوطنية: "إذا ما تتبعنا بدايات مسيرة النصوص المسرحية المقدمة للطفل في الأردن، نجد أنه قد غلب على مضامينه القضايا الوطنية، بالرغم من تأخر ظهوره عن بقية أنواع الأدب"[20]. "ومن العوامل التي ساعدت على بروز القضايا الوطنية، وتعميمها في بدايات العمل المسرحي للطفل دون غيرها من القضايا، دخول البلاد في أحداث تاريخية، بدأت منذ دخول الاستعمار الغربي بلاد الشام ثم الاحتلال الصهيوني الأجزاء من الوطن العربي (فلسطين)، واصطناع دولة يهودية عاصمتها القدس"[21].

لذلك نجد أن هناك العديد من الأحداث الواقعية التي تصور حقيقة وحدة النضال الأردني الفلسطيني ضد البريطانيين والصهيونية، متداخلة عدة عوامل أهمها: الوحدة الجغرافية، والتوأمة بين الأردنيين والفلسطينيين. وكانت هذه الأحداث مصدر إلهام للكتاب لإظهار إبداعهم المسرحي والأدبي.

ومن هنا سيطرت على مؤلفات الأدب المسرحي ومسرح الأطفال في الأردن أبرز القضايا الوطنية على الساحة. كُتبت المسرحيات الوطنية الموجهة للطفل لتفتح عينيه على الواقع السياسي الذي يعيشه العالم العربي بشكل عام والأردن بشكل خاص. من خلال

هذه المسرحيات تجسد نضال الشعب العربي، لإظهار أهمية الوطن وقضاياه للفرد أينما كان وفي جميع الفئات سواء كان طفلا أو شابا أو امرأة أو شيخا من هذا القبيل.

القضايا الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية: يلعب المحور الاجتماعي دورًا رئيسيًا في نسج الدراما المسرحية للأطفال الأردن. وهو في محاوره يعد تكاملية ومتناغمة مع القضايا الدينية والوطنية والتربوية، حيث ترسم جوانب اجتماعية واقتصادية متعددة، وعلاقات ثقافية مبنية على القيم الحميدة المتمثلة في الحب والتعاون والصدق والأمل والنجاح والنظافة. تسعى كل هذه القيم الاجتماعية وغيرها. يجب أن يغرس مسرح الطفل في نفس الطفل، لتنظيم الحياة البشرية بكل أبعادها، وبذلك يكون العمل المسرحي مفيدًا وخيرا للطفل وللإنسانية جمعاء. وإمكان القول إن هناك تحولاً حاداً في القضايا التي تناولها مسرح الأطفال في الآونة الأخيرة، حيث نلاحظ أن قضايا مسرح الأطفال بعد ما يقرب من ألفين سيطرت على المضامين ومحتواها، وتعاملها مع القضايا الاجتماعية والإنسانية، والسبب هو نظرا لتطورات الحياة وتعقيداتها في ظل العولمة والتقدم التكنولوجي والأزمات الاقتصادية المتتالية، وبالتالي انعكست هذه التطورات على فكر الكاتب المسرحي للأطفال.

قضايا التراث الشعبي: هناك توازن وفير وموضوعات غنية من الحكايات الشعبية يمكن الاستفادة منها عند إعداد العمل المسرحي للطفل، التراث الشعبي مليء بالقصص والأساطير والحكايات الشعبية، وينتصر فيها الخير على الشر، ويدمر الشر نفسه بنفسه. ويمكن توظيف التراث الشعبي في مسرح الأطفال للترفيه عن الأطفال وتنمية خيالهم وتنمية شخصيتهم ليصبحوا أفراداً قادرين على تحمل المسؤولية.

يقول الدكتور عبد الرؤوف أبو السعد: "يستطيع مبدع أدب الأطفال أن يستفيد من هذا التراث ليقدم قصصا، أو عملا مسرحيا، وتدور موضوعات هذا المستوى حول المزج بين الأساطير العربية بالحكايات الشعبية، لإبراز طرق مساعدة الأطفال العاجزين. حين يحلمون ويأملون، فتظهر قوة متمثلة في "عروس البحر" أو "أميرة البر" لتساعد هؤلاء الأطفال، ويدور الصراع غالبا بين العجز والحياة الطليقة، والفقر والفقدان والثراء الفاحش والتحالف المثمر بين عالم البشر، ويمثله عالم الأطفال والعوالم الأخرى المتمثلة في الطيور، أو الحيوانات أو الكائنات غير المرئية، ويفضل العمل على تنمية الفعل البشري والإفصاح عن قدرة الطفل الكامنة وتفجير طاقاتها"[22].

"ويمكن أن تكون النصوص المسرحية، ذات البعد الشعبي محملة بالتوجهات التربوية، المليئة بالخيال العاقل الرشيد، الذي يحمل في طياته بعدا واقعيا، وحكمة مرتبطة بمفاهيم الطفل ومدركاته"[23]، "ومستواه الثقافي والاجتماعي، عاملة على تشكيل وجدان الطفل، وتنمية قدراته العقلية والحسية"[24].

التشكيل الفني وجماليات النص المسرحي: "تبني مسرحية الطفل كغيرها من المسرحيات على مجموعة من العناصر، أهمها: الموضوع أو الحدث والشخصية والبناء الدرامي، فالعمل المسرحي للطفل نوع من أنواع الأدب: كالقصة والرواية والشعر، إلا أن ما يميزه هو انبعاث الحياة من خلال مفرداتها التي تتجسد بحركته الفنية والجمالية على خشبة المسرح؛ فالمسرحية تكتب لتمثل، والقصة تكتب لتقرأ ..."[25]. من هنا تنبع أهمية الرؤية التحليلية للتكوين الفني التي تدعم جماليات عناصر المسرحية للطفل ويحفظ بنيانه. ستتناول الدراسة "مسرحية خضراء يا بلادي خضراء" كنماذج تطبيقية والوصول إلى جماليات النص المسرحي للطفل.

مسرحية "خضراء يا بلادي خضراء"[26]: جاء مضمون مسرحية "خضراء يا بلادي خضراء" للكاتب يوسف الغزوة حول موضوع حب الوطن والتضحية، وتحيط المسرحية على القضايا الاجتماعية والإنسانية، حيث حثت بشكل غير مباشر على عدم التفكير السيئ، لأن الفكر السيئ أصاب عائلته، عندما فكر النشمي في أن صديقه عماد يظن أنه سيئ، وذلك بنقله إلى إحدى القرى النائية. أنه لن يستقبل إدارة المستشفى كما يعتقد نشمي، كما أظهر مدى الفروسية والشهامة التي أظهرها المواطن الأردني بشكل عام والمزارع بشكل خاص في شخصية المزارع "عودة"، حيث أظهر مدى حنان الوالدين وخوفهما على ابنهما، وأن العلم ليس شرطًا للشهامة، كما أن الجهل ليس شرطًا لفقدانها.

أما الأثر الذي تتركه هذه المسرحية على الطفل فيتمثل في غرس حب الأرض والوطن بجميع أجزائه وريفه ومدنه، وغرس القيم الأخلاقية بالوقوف مع الأصدقاء في أوقات الأزمات والشدائد، وحب العمل التطوعي لخدمة أبناء وطنه.

تعليق المسرحية

عنوان المسرحية: تحمل عنوان مسرحية "خضراء يا بلادي خضراء"[27] للكاتب "يوسف الغزوة "[28]، بشكلها الفني والجمالي في قلب الطفل حب الطبيعة وحب الوطن من خلال تكرار كلمة "خضراء" ومثلما اقتبس هذا العنوان من التراث الشعبي لأغنية "خضراء يا بلادي خضراء" له مسرحية غنائية صدى في أذن الطفل.

الفئة العمرية: ولم يحدد الكاتب الفئة العمرية التي وجه النص من أجلها، لكنه تركها مفتوحة ومبهمة بالقول على الغلاف إن هذا العمل معروض للأطفال والفتيان، وبعد القراءة تظهر أن المسرحية تستهدف الفئة العمرية من ثمانية إلى ثلاثة عشر عاما، فالمسرحية تحتوي على المغامرة من خلال الرحلات والسير في الطرق الوعرة، وحب الطفل للقيادة بأخذ زمام المبادرة للتحدث نيابة عن زملائه الطلاب، وحبه للمتعة والمزاح من خلاله يمزح مع والده عندما يصحح والده المثل القائل: "اكفي القدر على ثمه، بيطلع الوالد لأمه"، ماجد: البنت يا بابا مش الولد.

شخصيات المسرحية: أدرك الكاتب أن الطفل المتلقي لا يزال في بدايات نموه العقلي والمعرفي، فهو يعلم جيداً أن الطفل المتلقي لا يستطيع حفظ الشخصيات المتعددة إلى حد الكثرة، وبهذا السبب يحصر عدد الشخصيات بخمس شخصيات و أضاف مجموعة من الأطفال.

النشمي: طبيب مشهور يعمل في إحدى مستشفيات العاصمة من حيث العمل، ولكن على الصعيد النفسي، نشمي هو ذلك الرجل الحكيم العقلاني والمنطقي الذي يأخذ الأمور كمثال ومن المصائب فائدة. كانت شخصية نشمي في بداية المسرحية ترفض تمامًا للذهاب إلى الريف للعمل كطبيب هناك رغم كل التسهيلات والبدلات، لكن بعد تعرض ابنه ماجد للحادثة التي فقد فيها ولم يجد احدا ينقذه غير ذلك المزارع الذي يعيش في الريف، وفي تلك اللحظة أدرك أن الريف بحاجة فعلاً إلى طبيب، ولهذا أصر في النهاية على أن يذهب إلى الريف ويعمل هناك.

زهرة: زوجة الدكتور نشمي هي أم لطفل واحد هو ماجد، وزهرة تجسد الأمومة بكل معانيها. هي الأم الحنونة التي تخاف على طفلها من كل شيء وتخاف عليه وعلى نفسيته ومشاعره. كانت تحاول دائمًا الوقوف إلى جانبه ودعمه حتى وصل الأمر إليها أن حاولت إقناع زوجها نشمي بقبول انتقاله إلى الريف، ليعمل هناك بما يتماشى مع

رغبة ماجد وحبه للريف الأخضر، وزهرة هي المرأة العاطفية التي تحكم عواطفها لا تفكيرها، وقد اتخذها الكاتب، بالإضافة إلى ما سبق، وسيلة للكشف ما هو موجود. يجري في نفسية نشمي. هي الزوجة التي يكشفها لها الزوج عن مكونات نفسه.

عماد: طبيب ومدير المستشفى حيث يعمل نشمي فيه، وعماد ما هو إلا شخصية ثانوية تساهم في تطور الأحداث ونموها ونمو الشخصيات دون أن تتطور الشخصية نفسها مع الرفض، تظهر علامات الأزمة التي تتطور وتنمو فيما بعد.

ماجد: هو الابن الوحيد للنشمي وزهرة، وهو الطفل الذي أحب الريف، فعرف القرية الخضراء بجمالها وبساطتها، وتعلق بالريف عن كثب لدرجة أنه تمنى أن يعيش في الريف، و إذا لم يكن ذلك ممكنا فهو يرغب في الذهاب في رحلة يومية إلى الريف ويكون ماجد هو الشخصية الرئيسية (البطل) في المسرحية، وهذا سبب وجود الأزمة وتصعيدها إلى ذروتها، ومن ثم فك العقدة. ماجد طفل يحب الريف وشخصية بارزة. يتحدث نيابة عن جميع الأطفال في المسرحية، لكنه ترك الجماعة ويسقط من فوق الصخر، ويبقى كذلك حتى عاد الفلاح وينقذه من هذا المأزق، ويعود إلى المنزل بسلام.

عودة أبو شومة: مزارع من قرية نائية تسمى خضراء. إنه يمثل المزارع البسيط واللطيف والمتعاون الذي يجلب الفرح للأطفال، وينقذ ماجد مما وقع فيه، وعودة شخصية متواضعة وهادئة تحب الفكاهة والمرح.

هذه الشخصيات هي بشرية مدركة للأطفال. تمثل شخصية "ماجد ونشمي" الشخصيات الرئيسية، ويمكن اعتبار الشخصيات "زهرة وعماد وعودة أبو شامة" شخصيات ثانوية داعمة ومكملة للعمل المسرحي. تظهر هنا في نهاية المسرحية علاقة إيجابية بين جميع الشخصيات.

الحوار: أما بالنسبة للحوار، فقد نسج لنا الكاتب حوار هذه المسرحية بكل بساطة ووضوح. تخدم هياكلها وجملها القصيرة القضايا التربوية، بعيدا كل البعد عن الاصطناعية. كان هذا الحوار منسجما مع الحبكة والبناء الفني للمسرحية، مزينة بلوحات راقصة جميلة وأغاني وطنية تتلاءم وتنسجم مع الموقف والمشهد. كما استخدم الكاتب المونولوج الداخلي لإعطاء النص المسرحي عناصره الفنية الجميلة، حيث قال ماجد: "سأتجاهل هؤلاء وأمشي خلف هذا المزارع من مسافة بعيدة ... لأرى قريته الجميلة ولو من بعيد، و ثم أعود دون أن يشعر بي المشرف أو أي منهم. ربما جاء الحوار هنا كشكل متكامل للفت انتباه الأطفال نحو المسرحية ومعرفة نهايتها.

المكان: جرت أحداث هذه المسرحية في مكانين: منزل الدكتور نشمي الواقع في المدينة، وهو مكان يجمع أفراد الأسرة.

الريف: بمساحاته المفتوحة المليئة بالأشجار، يغري أهل المدينة بأجواء الرحلات بعيدًا عن صخب المدينة.

الصراع: تجسد الصراع في المسرحية بالصراع الخارجي بين شخصية "نشمي" وشخصية "عماد" في بداية عرض المسرح، لكن شخصية نشمي التي لم تأت بشر دوره في مفهومه الواضح عن الطفل، لكنه جاء في البداية مع الدور السلبي الذي فشل في تقديم الخدمة، ثم سرعان ما عادت هذه الشخصية إلى مسارها الإيجابي والصحيح.

ثم هناك صراع مع الطبيعة إذا جاز التعبير عندما ضاع ماجد فيها ولم يتم العثور عليه إلا فيما بعد. أما بالنسبة لشخصيات "ماجد" و "الأم" و "عماد" والفلاح "عودة"، فقد تمثل دورهم في الجانب الإيجابي من الصراع، ثم في نهاية المسرحية شخصية الطبيب انضم إليهم "نشمي" والد "ماجد" الذي رفض العمل في الريف وكره مدير المستشفى. وعماد الذي كان ينوي نقله للعمل في الريف كطبيب مقيم. في نهاية المسرحية يوافق على العمل في الريف بعد إصابة ابنه ماجد أثناء الرحلة، ولعدم وجود طبيب في تلك القرية، اقتنع بالذهاب إلى هناك.

اللغة: كما استخدم الكاتب اللغة الفصحى في هذه المسرحية لرفع مخزون الطفل اللغوي. ومع ذلك بعض الوقت استخدم اللغة العامية، التي تهدف من ورائهاإلى محبة الطفل المحلي على سبيل المثال: ابتعرفوا يولاد، أنا جاي على بالي أغنيها معكم ..."، وقد قصد الكاتب جذب انتباه الجمهور من خلال طرق الاستفهام والتعجب مثل: "هل أتسمعين ما يقول ابنك يا زهرة؟ " إلى أين يا عم؟" "أين أنت؟" "كيف ضعت؟" "أين ذهبت؟" "انظر كم هو جميل ورائع المكان!" زهرة: ولدي؟ !! ماذا حدث لولدي يا نشمي؟!" ويعمل الكاتب على ربط الأبناء بالتراث الديني من خلال كثرة الدعاء في النص لأن الدعاء يؤثر على روح الطفل من الغيب مثل: "سامحك الله"، "حفظكم الله لأهلكم"، "ماشاء الله".

لم ينس الكاتب أن المتلقي هو طفل في مرحلة النمو العقلي وفي مرحلة التربية الأخلاقية والاجتماعية، لذلك نوى تزويده بذلك من خلال توضيح آداب التعامل مع

الناس واحترامهم والترحيب بهم مع أفضلهم. كما أشار إلى الزي الشعبي الذي يتكون من "الشماغ والعقال" لتعريف الطفل بالملابس الشعبية المرتبطة بالريف والصحراء، وأراد الكاتب تشجيع المتلقي على الجد والنشاط من خلال ما قدمه له من العمل الذي قام به الفلاح عودة مما يدل على كل شواهد النشاط والمثابرة". وأضاف إلى خزانة الطفل اللغوية للأدوات الزراعية مثل "منجل، فأس، مذراة" وأسماء أصوات بعض الحيوانات مثل "عواء الذئاب".

وهدف تعليم الطفل، إلى أن وجود ملابس خاصة بالمدرسة وملابس للمنزل. "زهرة: صح يا ماجد... ادخل وغير ملابسك استعدادا للغداء"[29].

استخدم الكاتب في عمله المسرحي عدة أساليب نحوية مثل التوكيد: "النجد، النجد"، "أنا قادم، أنا قادم"، "استرح، استرح" و أما ما يؤخذ على الكاتب فقد استخدم بعض الكلمات الغريبة على الطفل، مثل:" متكدر، تترنم، ينسل، تتشبث". كما أن الكاتب لم يعط الإملاء حقه من خلال أخطاء في بعض الكلمات، مثل: "ابن، إليه، شبي، استقالة، اسم"، كما كانت هناك أخطاء مطبعية من ذلك: "يرمى، تحما، وجها، إهلا، عماذا". ثم استخدم الكاتب مصطلحات أجنبية مع العلم أن هناك بديلًا لها باللغة العربية، مثل: "كنبات، هستيريا، الدكتور".

أما اللغة فكانت بسيطة وواضحة وصادقة، بعيدة كل البعد عن الطعن والتصنيع في فقراتها ومفرداتها التي تناسب جمهور الأطفال ولا تتجاوز إنتاجهم اللغوي بمختلف مستوياته من حيث فصاحة اللغة وأدائها ودلالاتها. جمع الكاتب بأسلوبه البسيط بين قدرته على التعبير عن مشاهد حوار قصيرة لتوضيح وإشباع مشهد الحوار في ضوء التفاعل بين الشخصيات في النص المسرحي. كما استطاع الكاتب أن يجمع بين المسرح الغنائي والنثر الذي ينسجم مع الحدث والوضع بما يتناسب الطفل. حتى لا يواجه الطفل أي صعوبات عند قراءة النص.

البناء الدرامي: يحتوي هذا النص على خطين متساويين من حيث الأزمة على النحو التالي:

بدأت الأزمة الأولى في نهاية الفصل الثالث، عندما قرر ماجد ترك مجموعته في الرحلة واللحاق بالمزارع الذي رآه في القرية بدافع الفضول (رؤية القرية ورؤية الحقل)، ثم

تصاعدت الأزمة عندما شعر الأهل بتأخير عودة ماجد من الرحلة. لأنه لم يعتد على التأخير. "زهرة: ماجد لم يعد من الرحلة بعد"[30].

ثم تتطور الأزمة وتتصاعد بإخبار الأب "نشمي" عبر الهاتف أن ابنه ماجد قد اختفى ولم يعد مع الأطفال من الرحلة المدرسية. بلغت الأزمة ذروتها عندما طلب ماجد المساعدة: "النجدة النجدة إنني أوشك أن أموت النجدة إلحقوني أدركوني"[31].

ثم تنحسر هذه الأزمة تدريجياً، عندما يعود المزارع لإنقاذ ماجد بعد سماعه صراخه طلباً للمساعدة. ثم خرج عودة ومعه ماجد وقد كسرت قدمه، ثم يوضح للفلاح كيف وقع في ذلك المأزق تنيجة تركه للمجموعة ثم قفزه على صخرة كبيرة أدت إلى وقوعه عنها وإصابته، فيقرر عودة أن يحمله على ظهره ويسير به إلى الطريق العام وذلك بسبب قلة المواصلات في القرية وغياب الطبيب أيضًا، مما يضطره لحمله ونقله إلى المدينة بمساعدة صديقه سعد وهو الوحيد الذي يملك سيارة في تلك القرية.

أما الأزمة الثانية، فقد بدأت في الفصل الثاني بعودة الدكتور نشمي حزينا بشكل غير عادي إلى منزله، وبعد حوار مع زوجته تبين أن سبب حزنه كان نية نقله إلى العمل كطبيب إلى قرية نائية في الريف، وهنا تحاول زوجته إقناعه بالقبول، مستشهدة بالمخصصات وحب ماجد للريف، لكنه يرفض ذلك. تفاقمت الأزمة باستقالة نشمي للمستشفى ومحاولة زوجته إقناعه بالتفكير والتراجع. عندما قرر نشمي وعماد الذهاب إلى المكان الذي يفضله ماجد في الريف للبحث عنه هناك. تبدأ الأزمة في التراجع، ويبدأ الحل في التدفق مع دخول عماد، يليه المزارع ، ثم ماجد، وهنا أراد الكاتب أن يتوق الأطفال إلى النهاية السعيدة، لذلك انتقل الدكتور بقوة إلى تلك القرية إلى العمل كطبيب هناك، وبذلك يكون الكاتب قد وضع أزمتين في النص واستمرت كل منهما في النمو والتطور حتى التقيا أخيرًا وتشابك مع بعضهما البعض بحيث كان الحدث الثاني سببًا لإيجاد حل للأولى.

الخاتمة: اعتمد هذا البحث على سؤال فضفاض: هل هناك كتاب متخصصون في الكتابة الأدبية الموجهة للأطفال في الأردن؟ في سياق بحثنا في هذا الموضوع، أوقفنا العديد من العبارات التي ظهرت في أكثر من كتاب، أهمها عدم وجود كتاب متخصصين في الكتابة الأدبية الموجهة للأطفال في الأردن. اعتماده كمشروع كاتب فاشل، وكأنه يريد الانتقام من الآخرين بتفجير إنتاجهم الأدبي.

ليس من الخطأ أن يتعرف الإنسان بشكل عام على مختلف العلوم والمعرفة بشرط أن يشمل أكبر قدر من العلم والمعرفة في مجال واحد يتخصص فيه حتى يتمكن من التعرف على هذا التخصص وتعميقه والابتكار فيه. هو يقدم للكبار والصغار على حد سواء، ويستحب للكاتب أن يضع نفسه في المجال المناسب لقدراته وقربه من نفسه، ثم يدرس ويعمق الدراسة ويرى كل ما يحيط بهذا الموضوع حتى يتعرف عليه. الكتابة الأدبية من جميع جوانبها تنمو وتتطور وفق اجتهاد صاحبها ومعرفته بالمنتج وتجارب الآخرين.

إذا أردنا إسقاط هذا الشيء على الأدب بشكل عام ومسرح الأطفال بشكل خاص، فهناك كتاب يعملون كمدرس، وكاتب في الصحف والمجلات، أو كاتب لمسلسلات تلفزيونية، وقد يجمع كل ذلك، وربما يمكنه أن يكون محترفًا في مهنة لكسب المال له ليكون قادرًا على تغطية احتياجاته اليومية إنه مثل الممارس العام الذي يتعمق في كل شيء يكتب الشعر والقصص والمسرحيات والمقالات ... الخ.

لماذا لا تجد كاتبًا متخصصًا في نوع واحد من الأدب؟ لذلك يقرأ ويتعرف على كل جوانب الموضوع بأبعاده النفسية والتربوية والاجتماعية حتى يتعرف على هذا النوع الأدبي من جميع جوانبه، خاصة إذا كان هو المتلقي كما هو الحال في الدراسة. إنه طفل يحتاج إلى متخصصين على دراية بالنوع الأدبي من جميع جوانبه المختلفة، وخاصة معرفة الفئات العمرية وخصائصها والأدب المناسب لكل فئة من تلك الفئات.

بعد مراجعة وتحليل بعض النصوص المسرحية المعروضة على الطفل الأردني، اتضح لنا أن الأردن أرض خصبة يزرع فيها الكتاب بذور أدبهم. حتى تأتي بذورهم تأكلهم.

الهوامش

[1] المصلح، أحمد. **أدب الأطفال: قراءة نظرية ونماذج تطبيقية، ط2.** ص: 254.

[2] الحسيني. **المسرح: نشأته وآدابه وأثر النشاط المسرحي في المدارس، ط1.** ص:215.

[3] أبو الراغب. **تجربتي مع أدب الأطفال ومسرحهم.** ص: 15.

[4] أبو معال، عبد الفتاح. **في مسرح الأطفال، ط1.** عمان: دارالشروق للنشر والتوزيع، ص:17-18.

[5] مقدادي، موفق رياض. **القصة في أدب الأطفال في الأردن، ط1.** 2000م، ص:28.

[6] النواسية، عبير. **أدب الأطفال في الأردن: الشكل والمضمون، ط1.** عمان: داراليازوري، 2004م، ص:16.

[7] شهاب. **أدب الطفل ومسرحه في الأردن وفلسطين حتى أواخر الثمانينات.** ص: 59.

[8] المرجع نفسه، ص: 59.

[9] المرجع نفسه، ص:59.

[10] المرجع نفسه، ص:61.

[11] أبو مغلي، وآخرون. **دراسات في أدب الأطفال.** ص: 152.

[12] مصلح. **أدب الأطفال في الأردن.** ص: 111.

[13] عثمان. **المسرح والمسرحية: دراسة نظرية الأصول المسرح وقواعده وطريقة الكتابة فيه ودراسة تطبيقية لهذه الأصول على أحدث النصوص المسرحية.** مكتبة الجامعة الأردنية، ص: 18.

[14] أبو الرضا. **النص الأدبي للأطفال: أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية، ط1.** ص: 103.

[15] عبد الله. **قصص الأطفال ومسرحهم، ط1.** ص:56-57.

[16] أحمد. **أدب الأطفال: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية.** ص: 266.

[17] النوايسة. **أدب الأطفال في الأردن: الشكل والمضمون.** ص:25.

[18] المرجع نفسه، ص: 26.

[19] أبو الرضا. **النص الأدبي للأطفال: أهدافه ومصادره وسماته رؤية إسلامية.** ص: 103.

[20] شهاب. **مدخل لدراسة أدب الطفل ومسرحه.** عمان: دار البشير، ص: 51.

[21] المرجع نفسه، ص: 64.

[22] أبو السعد. **الطفل وعالمه المسرحي، ط1.** ص:171.

[23] الجمزاوي. **أنا الفرح.** ص: 174-189.

[24] أبو السعد. **الطفل وعالمه المسرحي، ط1.** ص:172.

[25] النوايسة. **أدب الأطفال في الأردن: الشكل والمضمون.** ص: 209.

[26] الغزو، يوسف. **خضراء يا بلادي خضراء.** عمان: المكتبة الوطنية، 2004م، ص: 4-70.

[27] المرجع نفسه، ص: 4-70.

[28] المرجع نفسه، ص: 22.

[29] المرجع نفسه، ص: 34.

[30] المرجع نفسه، ص: 41.

[31] الجمزاوي. **أنا الفرح.** ص: 132-156.

المصادر والمراجع

- أبو الراغب، أكرم. **تجربتي مع أدب الأطفال ومسرحهم.** عمان: المكتبة الوطنية، 2003م.
- أبو الرضا، سعد. **النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته رؤية اسلامية، ط 1.** مكتبة العبيكات، 2005م.

- أبو السعد، عبد الرؤوف. **الطفل وعالمه المسرحي، ط1**. القاهرة: دار المعارف، 1993م.
- أبو مغلي، سميح وآخرون. **دراسات في أدب الأطفال**. 1992م.
- أبو معال، عبد الفتاح. **في مسرح الأطفال، ط1**. عمان: دارالشروق للنشر والتوزيع.
- أحمد، سمير عبد الوهاب. **أدب الأطفال: قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ط2**. عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2009م.
- الهدهد، روضة الفرخ. **حكايات كتب: البخلاء للجاحظ، السيرة النبوية لابن هشام، كليلة ودمنة لابن المقفع، وحدي مع الأيام سلسلة المسرح، ط1**. عمان: دار كندة للنشر والتوزيع، 2007م.
- الجمزاوي، نهلة. **أنا الفرح ومسرحيات أخرى، ط1**. عمان: المكتبة الوطنية، 2009م.
- الحسيني، عيسى خليل. **المسرح: نشأته وآدابه وأثر النشاط المسرحي في المدارس، ط1**. عمان: دار جرير للنشر والتوزيع، 2005م.
- شهاب، أسامة يوسف. **أدب الطفل ومسرحه في الأردن وفلسطين حتى أواخر الثمانينات**. دار البشير.
- عبد الله محمد، حسن. **قصص الأطفال ومسرحهم**. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.
- عثمان، فتحي محمد. **المسرح والمسرحية: دراسة نظرية الأصول مسرح وقواعده وطريقة الكتابة فيه ودراسة تطبيقية لهذه الأصول على أحدث النصوص المسرحية**. عمان: مكتبة الجامعة الأردنية، 2005م.
- الغزو، يوسف. **خضراء يا بلادي خضراء**. عمان: المكتبة الوطنية، 2004م.
- المصلح، أحمد. **أدب الأطفال في الأردن**. عمان: منشورات دار الثقافة والفنون، 1983م.
- مقدادي، موفق رياض. **القصة في أدب الأطفال في الأردن، ط1**. 2000م.
- النواسية، عبير. **أدب الأطفال في الأردن: الشكل والمضمون، ط1**. عمان: داراليازوري، 2004م.

أمل الرندي: وإسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية

قمرالإسلام*
Kamrulau2016@gmail.com

الملخص: *تعد القصة أبرز جنس من الأجناس الأدبية للأطفال. لأن القصة تؤدي دورًا ملموسًا إلى حياة الأطفال من حيث تنمية تفكيرهم وقدراتهم وخيالهم. ولذا قد اهتم الأدباء والأديبات بكتابة قصص الأطفال. ومن هؤلاء الأدباء والأديبات أن الأديبة الكويتية أمل الرندي تعتبر من أبرز كاتبات قصص الأطفال باللغة العربية في العصر الراهن. ولها أكثر من أربعين كتابًا في مجال أدب الأطفال. وحصلت على عدة جوائز من الكويت ومختلف الدول العربية. وقد كتبت عددًا ضخمًا من الأبحاث والكتب والقصص الموجهة إلى الأطفال واليافعين. وتستمر في كتاباتها القصصية الإبداعية للأطفال حتى يومنا هذا.*

ونظرًا إلى إسهامات الأديبة أمل الرندي في قصص الأطفال، قد اخترتُ هذا الموضوع. وفي هذه المقالة، سأسلّط الضوء على حياة الكاتبة أمل الرندي بشكل موجز، وأناقش إسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية. كما سأتناول بعض أهم قصصها الإبداعية المتضمنة لموضوعات شتى بالتحليل الوصفي.

كلمات مفتاحية: *أمل الرندي، مرحلة الطفولة، أدب الأطفال، قصص الأطفال، التحليل الوصفي.*

المقدمة: يمر الإنسان بمراحل مختلفة في الحياة الإنسانية منذ الولادة حتى الوفاة. وتعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في كل حياة الإنسان. لأن هذه المرحلة تلعب دورًا بارزًا في حياة الإنسان لبناء مستقبل الأمة. ومن هنا تأتي أهمية أدب الأطفال وانتشر أدب الأطفال بشكل كبير على مرور الزمن في العالم العربي مع مختلف الفنون الأدبية.

ومنها أنّ قصص الأطفال تعد من أبرز فنون أدب الأطفال. وتلعب قصص الأطفال دورًا كبيرًا في تنمية الأطفال في مختلف جوانب شخصيتهم اللغوية والعقلية والانفعالية والاجتماعية. لأنّ القصص تعطي الأطفال شعورًا واضحًا بالعلاقة بين خبراتهم

* باحث الدكتوراه، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهرلال نهرو، الهند

الشخصية والخبرات الإنسانية كلها. ولذا قد اهتم الأدباء والكاتبات بكتابة قصص الأطفال وشهد العالم العربي تطورًا مذهلاً في مجال أدب الأطفال والقصص الموجهة للأطفال بشكل خاص. فظهر جيل من الأدباء المهتمين بالأطفال في العالم. ومن هنا نرى أن الأديبة أمل الرندي تعد نجمًا من النجوم اللامعة في سماء قصص الأطفال الكويتية. ولها دور بارز في مجال تطور قصص الأطفال الكويتية في العالم العربي.

قبل مناقشة موضوع البحث يحسن بنا أن أقدم مسيرة حياة أمل الرندي موجزًا.

مسيرة حياة أمل الرندي موجزًا: الأديبة أمل عبد الجبار مزعل عبد الجليل الرندي ولدت في الكويت[1] من أب كويتي وأم مصرية. ولكنها نشأت في مصر بحضارتها المتنوعة حيث حصلت على دراستها العلمية. قالت الأديبة الرندي عن طفولتها: "كنت في طفولتي أحب الاشتراك في أنشطة المدرسة، كالتمثيل والعزف على الأوكورديون والاكسيلفون، والاشتراك أيضًا في العمل الكثفي. كنت أحب الأنشطة كثيرا"[2].

وبعد إكمال دراستها الثانوية، التحقت بكلية التربية في قسم رياض الأطفال بجامعة حلوان- القاهرة[3]. درست فيها مادة أدب الطفل وعلم النفس والاجتماع وغير ذلك. وهذه الدراسة ساعدتها للتعرف على تركيبة النفس البشرية ونفسية الطفل واحتياجاته ودوافعه[4]. والتقت بالدكتور يعقوب الشاروني، عميد أدب الطفل في الوطن العربي. وهناك درست منه أدب الأطفال وتأثرت منه تأثيرا كثيرا. فاهتمت بمجال أدب الأطفال وبدأت كتابة الأطفال خلال دراستها الجامعية.

وبعد التخرج من الجامعة، انتقلت الأديبة الرندي إلى الكويت. وبدأت حياتها العملية كصحفية بكتابة في مجلة "أسرتي" الكويتية عام 2005م[5]. ثم انضمت إلى جريدة "الراي" الكويتية وبدأت فيها كتابة المقالة الأسبوعية تحت عنوان "نافذة الأمل" منذ عام 2006م وحتى يومنا هذا[6]. وقد نالت هذه المقالات الأسبوعية قبولا حسنا لدى القراء. لأنّ الأديبة الرندي ناقشت في هذه المقالات الأسبوعية سبل الوصول إلى أفكار جديدة لحل الظروف الصعبة في حياة الإنسان من الاكتئاب واليأس والحزن وغيرهم. كما كتبت الأديبة الرندي المقالات المتنوعة التي تعالج الموضوعات المختلفة للأطفال في العديد من مجلات الأطفال المتخصصة؛ ومن أهمها: "العربي الصغير"، و"مجلة أجيالنا للأطفال" و"مجلة كونا الصغير" وغيرها[7]. تحدثت الرندي عن تجربتها

الصحفية: "كانت تجربة صحفية هامة وثرية حرصت فيها على تطوير نفسي دائمًا والبحث عن الأفضل، والتركيز على المقالات الهادفة"[8].

علاوةً على ذلك، تتمتع الأديبة الرندي أيضًا بمشاركة فعالة في العديد من المجالات الثقافية والبرامج التلفزيونية والإذاعية المختصة بالأطفال في الكويت وخارجها.

إسهاماتها في قصص الأطفال الكويتية: إنّ الأديبة أمل الرندي لم تتوقع يومًا أن تكون كاتبة أدب الأطفال، رغم أنها تحب الأدب بشكل عام وتستمتع به كثيراً. لا يعرف أحد أين يذهب مصيرنا، أحيانًا لا تسير الأمور كما يشتهي المرء. ولذا نحن نرى في بعض الأحيان أن القدر يأخذنا إلى مستقبل باهر أو عكسه. كتبت الرندي أوّل قصة للأطفال عندما كانت طالبة بكلية التربية في قسم رياض الأطفال بجامعة حلوان بالقاهرة[9].

كما تحدثت الرندي عن بداياتها الإبداعية للأطفال: "فعندما كنت في السنة الثالثة بكلية التربية في قسم رياض الأطفال في جامعة حلوان بالقاهرة، طلب منا الدكتور يعقوب الشاروني، وهو من رواد أدب الطفل في الوطن العربي، كتابة قصة للأطفال، ووعد الطلاب بأن القصة التي يجدها مناسبة سينشرها في مجلة "نصف الدنيا". حينها كتبت أول قصة في حياتي وكانت بعنوان "الفيل صديقي"، وشكلت نقطة انطلاقي الأولى في عالم أدب الطفل، وعندما أبدى د. يعقوب الشاروني إعجابه بها، وفعلاً نشر القصة ولم تكن الدنيا تتسع لفرحتي"[10]. هكذا بدأت الأديبة الرندي مسيرتها الأدبية للأطفال بمحض الصدفة. وتستمر في كتاباتها القصصية الإبداعية للأطفال حتى يومنا هذا.

قدّمت الأديبة الرندي العديد من القصص والكتب المتنوعة التي تعالج الموضوعات المختلفة حتى تجاوجت نحو 40 كتابًا في مجال أدب الأطفال[11]؛ ومن أهمها: مجموعة "قصص الأمل التربوية" (الصادرة عن دار الحافظ للطباعة والإنتاج والنشر والتوزيع، دمشق) ومجموعة "حدائق العسل" (الصادرة عن دار شمس الكويت، 2015م)، وقصة "نجم المستطيل الأخضر" (الصادرة عن دار المؤلف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2016م) وغيرها. كما أصدرت الرندي العديد من الإصدارات المختلفة في مجال التنمية البشرية[12]؛ ومنها: كتاب "نافذة الأمل" (الصادر عن دار اليقين، القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م)، وكتاب "هل أنت" (الصادر عن دار اليقين،

القاهرة، الطبعة الأولى، 2013م)، وكتاب "صباح الحياة" (الصادر عن دار شمس الكويت، 2014م) وغيرها. وقد نالت قصصها الأطفال قبولا حسنا لدى الأطفال. ولأجل ذلك نرى، نظرا لأهمية أعمالها القصصية، قد انتشرت أعمالها القصصية في العالم شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا. وساعدتها إلى الشهرة والإبراز على انتشار أعمالها الأدبية في مجال أدب الأطفال. وأدرجت كثير من الدول العربية بعض قصصها لتكون ضمن المنهج الدراسي الرسمي في المرحلة الابتدائية. كما قد اختارت "إدارة المكتبات" في وزارة التربية والتعليم مجموعة من قصصها الأطفال لتوزيعها على مكتبات رياض الأطفال في الكويت[13].

إنها قد شاركت في الكثير من الأنشطة الأدبية المتعلقة بالطفل في مختلف الدول العربية؛ ومنها:

في الكويت: شاركت في ورش عمل أقامتها جامعة الكويت على هامش "مؤتمر المواطنة وتعزيز قيم الولاء والانتماء".

وفي الشارقة: شاركت في ملتقى الإمارات للإبداع الخليجي عام 2016م الذي أقيم تحت شعار "الطفولة..تربية الإبداع".

وفي القاهرة: شاركت في "مؤتمر أدب الأطفال وتنمية الإبداع محليًا وعربيًا وعالميًا"[14]. كما شاركت في العديد من البرامج التلفزيونية والإذاعية المختصة بالأطفال في الكويت وخارجها.

ولها أيضًا مشاركات فعالة في العديد من الورش للقراءة والندوات والمؤتمرات المختصة بالأطفال في المدارس والجامعات الحكومية والخاصة في مختلف الدول العربية. كما نظّمت حلقة نقاشية حول "إعلام الطفل بين الحاضر والمستقبل" في جمعية الصحافيين الكويتية[15]. وساهمت في إطلاق مبادرات متنوعة مختصة بالأطفال لتشجيع القراءة ومشاركة الأطفال فيها بصورة مباشرة؛ ومنها: أسَّست الرندي مبادرة "أصدقاء المكتبة" في دولة الكويت بالتعاون مع رابطة الأدباء الكويتيين، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب[16]. وهذه مبادرة ثقافية مختصة بالأطفال في المكتبات، حيث يأتي فيها الأطفال مع والديهم لحضور الجلسات المختلفة التي يحضرها كاتب القصة ليعرض عمله على الأطفال، ويتحدث الكاتب في حلقات نقاش مع

الأطفال، حيث يتحاور فيها الأطفال مع صاحب العمل مباشرة. وقد لقيت هذه المبادرة ترحيبًا حارًا لدى الأطفال ونالت استحسان الأطفال ومشاركتهم.

إنها شاركت الرندي في تحكيم عدد كبير من المسابقات والجوائز في العالم العربي حتى حصلت على العديد من الجوائز من الكويت مختلف الدول العربية؛ ومن أبرزها: جائزة الدولة التشجيعية في أدب الطفل من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت مرتين[17]: للمرة الأولى عام2011م عن مجموعتها القصصية "مجموعة الأمل التربوية"؛ وللمرة الثانية في عام2015م عن مجموعتها القصصية "حدائق العسل"، وجائزة الشيخ راشد بن حميد للثقافة والعلوم في عجمان بالإمارات العربية المتحدة في مجال قصص الأطفال مرتين متتاليتين لعامي 2015م و2016م[18] في مجال قصص الأطفال وغيرها. كما كرّمها العديد من كبار الشخصيات والمنظمات العربية للفنون والإعلام داخل الكويت وخارجها لإبداعها الأدبية في مجال أدب الأطفال؛ ومن أبرزها: رئيس الوزراء الكويتي الشيخ جابر المبارك الصباح لإبداعها في مجال أدب الطفل عام2014م[19]، ووزير التربية والتعليم الكويتي السابق د. رشيد الحمد عن مجموعتها القصصية "قصص الأمل التربوية" للأطفال في حفل تكريم المعلم العالمي عام2005م[20]، ووزيرة التربية والتعليم الكويتية السيدة د. نورية الصبيح على انضباطها وتميزها في العمل عام2004م[21] وغيرها.

إنها قد أعطت شكلا وملامح مميزة وجديدة لكتابة قصص العربية للأطفال واليافعين. وفتحت أمامهم الأبواب الجديدة. ولأجل ذلك تنتشر قصصها الأطفال وتمتد في جميع أنحاء الوطن العربي بدون قيد أوشرط. وهكذا تحتل الأديبة الرندي مكانة مرموقة في نفوس الأطفال واليافعين حتى أُختيرت من ضمن 14 شخصية نسائية لعام 2016م في مجال الأدب من قبل جريدة النهار الكويتية[22].

وهنا نستطيع القول إنّ الأديبة أمل الرندي قد كتبت عدداً ضخمًا من الكتب والقصص الموجهة إلى الأطفال واليافعين. وتستمر في كتاباتها القصصية الإبداعية للأطفال حتى يومنا هذا.

وهذه دراسة مختصرة عن أعمالها القصصية للأطفال واليافعين، وعندما نتكلم عن أعمالها البارزة، يمكننا أن نتناول تعريف أعمالها المهمة الشهيرة بالإيجاز؛ فيما يأتي:

حدائق العسل: هذه مجموعة قصصية للأطفال. وتصدر هذه المجموعة القصصية عن دار شمس الكويت في الكويت عام 2015م[23]. تحتوي على أربع قصص متنوعة تعالج الموضوعات المختلفة للأطفال بين الخيال والقيم وحقوق الأطفال وغير ذلك. وهذه القصص الأربع هي:

القصة الأولى بعنوان **"الكرسي المتحرك لا يعيقني"**: تتحدث الأديبة الرندي في هذه القصة عن طفل يعرف مفهوم التعاون والمساعدة وحسن التعامل مع الأخرين.

القصة الثانية بعنوان **"جميل في كل مكان"**: تتناول هذه القصة عن حقوق الطفل ومساعدة الأطفال الذين يرمي بهم الدهر.

القصة الثالثة بعنوان **"حدائق العسل"**: تتحدث الرندي في هذه القصة عن طفل يتعرف إلى معنى المثابرة، وعالم النحل النشيط، حيث يحرص الطفل على أن يكون مثابرًا ويتجنب الكسل في حياته.

القصة الرابعة بعنوان **"أحمد ونورة...والكناري"**: تبيّن هذه القصة عن الطفل الذي يتعرف إلى عصفور "الكناري" يسكن في قفص بدون الحرية. ثم يدرك الطفل أهمية الحرية في الحياة، والحرص على العطف والرفق بالطيور.

وكتبت الأديبة الرندي هذه المجموعة القصصية بأسلوب شيّق ولغة سهلة. ويتعلم الأطفال من خلالها القيم الأخلاقية والاحترام المشترك وحسن التعامل مع الآخرين. قد لاقت هذه المجموعة القصصية قبولا حسنا لدى القراء حتى فازت الأديبة الرندي بها بجائزة الدولة التشجيعية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام 2015م[24].

نجم المستطيل الأخضر: هي قصة لطيفة تدعو إلى قيم التسامح والمنافسة الشريفة. وتصدر هذه القصة عن دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع في بيروت، لبنان عام 2016م[25]. تتحدث هذه القصة عن البطل يوسف الذي تلميذ ودود ولاعب كرة القدم في المدرسة ويتمتع بأخلاق رياضية عالية في الملعب. فيصفّق الجميع لمهارته، لكن زملائه لا يعرفون سوى العدوان. ثم يحاول يوسف أن يوحد بين زملائه في الفريق ويمنع الخلاف بينهم. كما يستمر حلمه في أن يكون "ميسّي" اللاعب.

نحن نستطيع أن نقول إن هذه القصة تعزز قيم التسامح في نفوس الأطفال، من خلال اعتبار ملعب المدرسة رمزًا للعالم الذي نعيش فيه. والجدير بالذكر أن هذه القصة قد

حازت على المركز الثاني لجائزة الشيخ راشد بن حميد للثقافة والعلوم في عجمان بالإمارات العربية المتحدة في مجال قصص الأطفال[26].

قصص الأمل التربوية: كتبت الرندي سلسلة قصص تحت عنوان "قصص الأمل التربوية" لمرحلة الطفولة المبكرة والمتوسطة. ثم تصدر هذه المجموعة بين عامي 2006م و2009م عن دار الحافظ للطباعة والإنتاج والنشر والتوزيع، دمشق[27]. تحتوي هذه المجموعة على أكثر من 40 قصة للأطفال واليافعين؛ ومن بينها: الطفل السعيد، وراما تلعب مع الشمس، والحاسوب صديقي وغيرها. وتضم هذه المجموعة معلومات علمية مبسطة كثيرة للأطفال واليافعين. وتركز الأديبة الرندي خلال أحداث القصص على غرس قيم المجتمع العربي وعاداته الأصيلة في نفوس الناشئة والأطفال. قد لاقت هذه المجموعة القصصية قبولا حسنا لدى القراء حتى حازت هذه المجموعة على جائزة الدولة التشجيعية من المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب عام 2011م[28].

اللغة والأسلوب في أعمالها القصصية: لا شك فيه أنّ الكتابة للأطفال مهمة صعبة ومختلفة عن الكتابة للكبار من حيث الأسلوب واللغة المستخدمة في أدب الأطفال في بعض طرائقها عن اللغة المستخدمة للكبار. لأن الكتابة للكبار لا تلتزم بالضرورة بمعايير تربوية وأخلاقية وتنموية. ولكنّ الكتابة للأطفال تفرض الكثير من المسؤولية على أصحابها، لا بد من معرفة على نفس الطفل، وخصائص كل مرحلة عمرية، وفهم طبيعة الاحتياجات في كل مرحلة من مراحل الحياة. كما قالت الأديبة الرندي "إن الكتابة للطفل مسؤولية مضاعفة، مشددة على حرصها في انتقاء الفكرة في كل قصة تكتبها للأطفال وأن تكون معالجة لجانب من جوانب الطفل"[29].

تكتب الأديبة الرندي قصصها بأسلوب إبداعي، فحتى أننا نجد أنها تحرص دائمًا على البسمة في الكتابة، وعلى وجود أبطال إيجابيين في قصصها لغرس قيم التسامح والتعاون والاحترام المشترك في نفوس الأطفال. ولذا حينما نقراء قصتها الشهيرة "نجم المستطيل الأخضر"، نجد فيها أن بطل القصة يوسف هو بطل إيجابي يمثل الطفل الذي يسامح من يمارس العنف ضده ويحاول أن يوحد بين زملائه ويمنع الخلاف بينهم. كما قالت الرندي "إن قصتها "نجم المستطيل الأخضر" تصور ملعب المدرسة

يمثل العالم، ويوسف لاعب كرة القدم يمثل من يتصرف بتسامح مع من يمارس العنف ضده في أسلوب يمتص ردود الفعل ويمنع تفاقم الخلاف بين اللاعبين"[30].

نحن نرى أن الكاتبة الرندي قد فهمت في أعمالها القصصية ضرورة تصميم اللغة بأسلوبها المتميز، وجرأتها في طرح المواضيع المختصة بالأطفال. كما اهتمت باستخدام اللغة البسيطة التي تحمل الأفكار، وبالأسلوب المناسب لإلقاء المعرفة في ذهن القارئ الصغير. ولذا حينما نقرأ قصتها الشهيرة "مفاجأة أبي"، نجد فيها أن هذه القصة تهدف إلى غرس القيم الأخلاقية واحترام الأخرين في نفوس الأطفال لحل المشكلات والعقبات في حياتهم بسهولة ويسر. وتتناول هذه القصة إلى عدة أفكار كعلاقة الأب بالابن الإيجابية، وكيف يكون الأب قدوة حقيقية للأبناء بالأفعال لا بلأقوال والتلقين وغيرها من القيم الأخرى. كما نرى أيضا أن اختيارها لحكاياتها دائما ينطوي على الرغبة في غرس قيم عالية وجميلة للطفل بأسلوب محبب.

وجدير بالذكر أن ميزات قصصها الكويتية للأطفال بعدها عن التراكيب الغامضة والألفاظ الغريبة وخلوها من الكلمات المعقدة والتراكيب الصعبة.

الخاتمة: وفي الأخير نحن نستطيع أن نقول إن الكاتبة أمل الرندي من أهم الكتاب في مجال كتابة الطفل على مستوى العالم العربي. إنها قد أعطت شكلا وملامح مميزة وجديدة لكتابة القصص العربية للأطفال واليافعين وفتحت أمامهم الأبواب الجديدة ولأجل ذلك تنتشر قصصها الإبداعية الحديثة لليافعين وتمتد عبر أرجاء الوطن العربي بدون قيد أو شرط. وهكذا تحتل الكاتبة الرندي مكانة مرموقة في تاريخ أدب الأطفال العربية الحديثة. ولها دور كبير في التواصل مع الكتاب العرب في جميع أنحاء الوطن العربي. وقد جعلت مكانة خاصة في نفوس قراء الأطفال. وقد أصبحت كاتبة متميزة في مجال القصص العربية لليافعين عند رواد أدب الأطفال.

الهوامش

[1] يوسف، وداد. "الكاتبة الكويتية أمل الرندي- الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل"، **مجلة مرامي**، سبتمبر 2020م، ع143.

[2] "الكاتبة الكويتية أمل الرندي تتحدث عن واقع الطفولة والتأسيس نحو القراءة"، **جريدة الوطن**- https: //alwatan.com، تاريخ النشر:28يوليو 2019م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[3] توفيق، محمد. أمل الرندي: "أحلم بجيل جديد بعيد عن العنصرية"، **صحيفة القبس**- www.alqabas.com، تاريخ النشر:24أغسطس 2020م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[4] رشدي، فيصل. "حوار مع الكاتبة أمل الرندي"، **مكتبة ثقافات**-thaqafat.com، تاريخ النشر:3يناير 2017م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[5] أنظر إلى موقع "دار ناشري للنشر الإلكتروني"-www.nashiri.net .

[6] المرجع نفسه.

[7] المرجع نفسه.

[8] يوسف، وداد. "الكاتبة الكويتية أمل الرندي- الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل"، **مجلة مرامي**، سبتمبر 2020م، ع143.

[9] توفيق، محمد. أمل الرندي: "أحلم بجيل جديد بعيد عن العنصرية"، **صحيفة القبس**- www.alqabas.com، تاريخ النشر:24أغسطس 2020م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[10] الفضلي، حسين. "أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل..وكان وفيا لي"، **صحيفة القبس**- www.alqabas.com، تاريخ النشر:25أبريل 2017م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[11] "أمل الرندي: ثقافة الطفل تؤسس لمستقبل المجتمعات"، **جريدة نبض**- https://nabd.com، تاريخ النشر:31مارس 2022م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[12] أنظر إلى موقع "دار ناشري للنشر الإلكتروني"-www.nashiri.net .

[13] المرجع نفسه.

[14] الفضلي، حسين. "أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل..وكان وفيا لي"، **صحيفة القبس**- www.alqabas.com، تاريخ النشر:25أبريل 2017م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[15] "الكاتبة الكويتية أمل الرندي في ضيافة صالون عواطف الزين"، **جريدة كنوز عربية** - https://kenoozarabia.com، تاريخ النشر:29مارس 2022م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[16] عبد السميع، محمد. "أمل الرندي: أدب الطفل فضاء للإلهام"، **جريدة الاتحاد**- www.alittihad.ae، تاريخ النشر:18سبتمبر 2022م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[17] يوسف، وداد. "الكاتبة الكويتية أمل الرندي- الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل"، **مجلة مرامي**، سبتمبر 2020م، ع143.

[18] المرجع نفسه.

[19] أنظر إلى موقع "دار ناشري للنشر الإلكتروني"-www.nashiri.net .

[20] المرجع نفسه.

[21] المرجع نفسه.

[22] "قرينة حاكم عجمان تكرم الفائزات بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم"، **وكالة الأنباء الإمارات-وام**-http: //wam.ae /ar ، تاريخ النشر:23أبريل 2016م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[23] الرندي، أمل. **"حدائق العسل"**، الكويت: دار شمس الكويت، 2015م.

[24] رشدي، فيصل. "حوار مع الكاتبة أمل الرندي"، **مكتبة ثقافات**-thaqafat.com، تاريخ النشر:3يناير 2017م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[25] الرندي، أمل. **"نجم المستطيل الأخضر"**، لبنان: دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع، 2016م.

[26] أنظر إلى موقع "دار ناشري للنشر الإلكتروني"-www.nashiri.net .

[27] رشدي، فيصل. "حوار مع الكاتبة أمل الرندي"، **مكتبة ثقافات**-thaqafat.com، تاريخ النشر:3يناير 2017م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[28] أنظر إلى موقع "دار ناشري للنشر الإلكتروني"- .www.nashiri.net.

[29] الفضلي، حسين. "أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل..وكان وفيا لي"، **صحيفة القبس**-www.alqabas.com، تاريخ النشر:25أبريل 2017م، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

[30] وجه من الأخبار "أمل الرندي"، **جريدة الأخبار** من دولة الكويت-وزارة الإعلام قطاع الأخبار والبرامج السياسية-https: //news.gov.kw ، تاريخ النشر:11نوفمبر 2015م ، تاريخ الزيارة:20نوفمبر 2022م.

المصادر والمراجع

- الرندي، أمل. **"حدائق العسل"**، الكويت: دار شمس الكويت، 2015م.
- الرندي، أمل. **"نجم المستطيل الأخضر"**، لبنان: دار المؤلف للنشر والطباعة والتوزيع، 2016م.
- الرندي، أمل. **"قصص الأمل التربوية"**، دمشق: دار الحافظ للطباعة والإنتاج والنشر والتوزيع، 2009م.
- الفضلي، حسين. "أمل الرندي: أخلصت لأدب الطفل..وكان وفيا لي"، **صحيفة القبس**-www.alqabas.com.
- توفيق، محمد. أمل الرندي: "أحلم يجيل جديد بعيد عن العنصرية"، **صحيفة القبس**-www.alqabas.com.
- رشدي، فيصل. "حوار مع الكاتبة أمل الرندي"، **مكتبة ثقافات**-thaqafat.com.
- يوسف، وداد. "الكاتبة الكويتية أمل الرندي- الكتابة وحدها لا تكفي لترتقي بثقافة الطفل"، **مجلة مرامي**، سبتمبر 2020م، ع143.

- عبد السميع، محمد. "أمل الرندي: أدب الطفل فضاء للإلهام"، **جريدة الاتحاد**- .www.alittihad.ae
- "الكاتبة الكويتية أمل الرندي في ضيافة صالون عواطف الزين"، **جريدة كنوز عربية**- .https: / /kenoozarabia.com
- "قرينة حاكم عجمان تكرم الفائزات بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم"، **وكالة الأنباء الإمارات-وام**- . http: / /wam.ae /ar
- وجه من الأخبار "أمل الرندي"، **جريدة الأخبار** من دولة الكويت-وزارة الإعلام قطاع الأخبار والبرامج السياسية- . https: / /news.gov.kw

ISSN: 2348-2613
No. 10-2023

Dirasat Arabia

(Arabic Studies)
Annual Refereed Journal
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, JNU, New Delhi-110067

Editor in Chief: Prof. Rizwanur Rahman
Chairperson, Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi-110067

Editorial Board	Editorial Advisory Committee
Prof. Mujeebur Rahman Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Prof. Rizwanur Rahman** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Dr. Ubaidur Rahman** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Dr. Md. Qutbuddin** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Dr. Khurshid Imam** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Dr. Md. Akram Nawaz** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Dr. Mohammad Ajmal** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Dr. Akhtar Alam** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India **Dr. Zar Nigar** Centre of Arabic and African Studies, SLL&CS, JNU, New Delhi, India	**Prof. Khaldoun Saeed Sobh** University of Dmascus, Syria **Prof. Gelal Saeed Henawi** Cairo University, Egypt **Prof. Dr. Sanaa Shalan** University of Jordan, Writer and Critic **Prof. Anisur Rahman Manzurul Haq** Al-Madina Global University, Malaysia **Dr. Wafa Abdur Razzaq** Prominent Novelist from London **Prof. A.Y. Lodhi** Uppsala University, Sweden **Prof. Ahmad Farhat** Arab Thought Foundation, Beirut, Lebanon **Prof. Ahmed Ali Ibrahim** Department of Arabic, University of Fallujah, Iraq **Prof. Tarek Tabet** Department of Arabic Language & Literature, University Hadji Lakhdar, Batna, Algeria **Prof. Amine Masreni** Department of Arabic Language and Literature,Tilmsan University, Algeria

Published by:
Centre of Arabic & African Studies
School of Language, Literature & Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
dirasatarabiajnu2014@gmail.com

ISSN: 2348-2613
No. 10-2023

Dirasat Arabia
(Arabic Studies)

A peer reviewed Journal of Centre of Arabic and African Studies, School of Language, Literature & Culture Studies, Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067, No 10, March 2023

ISSN: 2348-2613 ISSN: 2348-2613 No. 10-2023 No. 10-2023

Dirasat Arabia

(Arabic Studies)

A peer reviewed Journal No 10, March 2023

Centre of Arabic and African Studies,
School of Language, Literature & Culture Studies,
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067